بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية الدعوة وأصول الدين

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات

الاسم (رباعي): خالد بن عبد الله بن عبد العزيز القاسم **كلية:** الدعوة وأصول الدين **قسم:** العقيدة والمذاهب المعاصرة

الأطروحة مقدمة لنيل درجة: الدكتوراه / **في تخصص:** العقيدة والمذاهب والمعاصرة.

عنوان الأطروحة: «العقيدة الإسلامية في دائرة المعارف الإسلامية - عرض ونقد بحسب الترجمة العربية».

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فبناءً على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة أعلاه - والتي تمت مناقشتها بتاريخ ٢/٧/١٤١٧هـ - يقبولها بعد إجراء التعديلات المطلوبة، وحيث قد تم عمل اللازم؛ فإن اللجنة توصي بإجازتها في صيغتها النهائية المرفقة للدرجة العلمية المذكورة أعلاه...

والله الموفق...

أعضاء اللجنة

المشرف	المناقش الداخلي	المناقش الخارجي
الاسم: د. علي بن نفيع العلياني	الاسم: د. أحمد سعد حمدان	الاسم: د. محمد الغيط أبو الفرت
التوقيع:	التوقيع:	التوقيع: ....

يعتمد

رئيس القسم

الاسم: ....

التوقيع: ....

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة



العقيدة الإسلامية

في دائرة المعارف الإسلامية

عرض ونقد

بحسب الترجمة العربية

رسالة علمية لنيل درجة الدكتوراه

إشراف الدكتور

علي بن نفيع العلياني

إعداد

خالد بن عبد الله القاسم



ملخص للرسالة

عنوان الرسالة : العقيدة الإسلامية في دائرة المعارف الإسلامية عرض ونقد -بحسب الترجمة العربية -.

الدراسة : تقع دائرة المعارف الإسلامية في كلا الطبعتين العربيتين بعد حذف المكرر في ٢٥ مجلد ، وضعت على هيئة مواد بلغت ٣٩٣٠ مادة إشترك في تأليفها ٤٨٦ مستشرق صدرت باللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية وترجمت إلى العربية والأردية والتركية والفارسية وغيرها ، وتناولت دراستي لموضوعات العقيدة المختلفة كالتالي :

١- نظرة عامة لما في الدائرة عن كل موضوع.

٢- تقديم النموذج الأمثل لكل موضوع .

٣- جمع الأخطاء والمفتريات المتعلقة بالموضوع .

٤- مناقشة تلك الأخطاء والمفتريات، والرد عليها .

وقدمت بدراسة عامة للإستشراق ، ودراسة خاصة عن الدائرة من حيث منهجها وأسلوبها وتراجم لأبرز مؤلفيها .

أهم النتائج :

تجلية دائرة المعارف الإسلامية ، وبيان خطورتها ومنهجها ، وسبر أخطاءها ومفترياتها العقدية والرد عليها .

أهم التوصيات :

١- إنشاء موسوعة إسلامية شاملة حسنة الترتيب سهلة الأسلوب وافرة المعلومات من قبل علماء أهل السنة في جميع العلوم الإسلامية .

٢- العمل على وقاية المسلمين من سموم المستشرقين من خلال تدريس موضوعات الإستشراق بالجامعات، وتحصين المبتعثين بالمعلومات عن طريق الكتب والمحاضرات .

٣- تحسين سمعة الإسلام عند غير المسلمين لإصلاح ما أفسده المستشرقون عن طريق النشر والإعلام .

عميد الكلية	مشرف الرسالة	الباحث
	د/ علي بن نفيع العلياني	خالد بن عبدالله بن عبد العزيز القاسم

المبحث الثاني

زعمُ الدائرةِ

استقاءَ النبيِّ ﷺ الدينَ

من الأمم السالفة

أولاً: دعاوى الدائرة:

يكاد يُجْمِع المستشرقون قديماً وحديثاً، على أن ما جاء به النبي ﷺ هو وليد بيئته، وأنه مُستقى من الجاهلية العربية، ومن الحضارات القديمة، ومن اليهودية والنصرانية.

وقد سبقهم بهذه الدعوى يوحنا الدمشقي[١] في كتابه: «محاورة مع مسلم» حيث ادعى: «أن القرآن تلفيق للتوراة والإنجيل بمساعدة راهب أريوسي[٢] كان يلتقي بمحمد سراً»[٣].

وكما هو واضح من ضعف دليله، وعدم توثيق كلامه، وإبهامه

---

(١) تقدمت ترجمته ص ٢٧.

(٢) نسبة إلى أريوس وهو من النصارى الذين أنكروا التثليث ودعوا إلى التوحيد في القرن الثالث الميلادي.

(٣) الاستشراق بين الموضوعية والانفعال لقاسم السامرائي ٥٥.

لاسم الراهب، فكذلك سنرى ضعف حجج كتبة الدائرة في نفس الدعوى.

إن ما جاء به النبي ﷺ على أميته من الأخبار الصادقة المفصلة عن الأنبياء السابقين والأمم المتقدمة، والشرائع المعجزة من الأدلة الناصعة على تلقيه كل ذلك من الوحي الإلهي، لذا حرص المستشرقون على الدعوى بأن مصدر ذلك هو الأمم السابقة وتثبيت هذه الدعوى باستماتة بالغة؛ لأن من شأن ذلك تكذيب النبي ﷺ، وهدم دين الإسلام بالكلية، كما أن فيه بقاء ديانتهم التي نسخها الإسلام وأبان تحريفها.

ومن أجل ذلك كانت هذه الدعوى أكثر الدعاوى التي يرددها المستشرقون على الإطلاق، وألفت من أجلها عشرات المؤلفات[١]، وقد تطرفت دعواهم وتباينت أقوالهم المتجردة من البراهين فهذا قولد زيهر يقول: «تبشير النبي العربي ليس إلا مزيجاً منتخباً من معارف وآراء دينية عرفها واستقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها التي تأثر بها تأثراً عميقاً»[٢].

---

(١) انظر على سبيل المثال: أصول الإسلام في بيئته المسيحية لبل، ومصادر تاريخ القرآن لآثر جيفري، واليهودية في الإسلام لابراهام كاش، ومحمد في مكة لمونتقمري وات، وغيرها كثير.

(٢) العقيدة والشريعة في الإسلام، قولد زيهر ١١ – ٢١، ترجمة محمد يوسف موسى وآخرين، دار الكتاب الحديث بمصر، الطبعة الثانية دت.

وهذا مونتقمري وات يقول في كتابه «محمد في مكة» : «ومن الفرضيات التي يقوم عليها الكتاب القول بأن عظمة الإسلام تعتمد اعتماداً كبيراً على صهر هذا العنصر «العادات العربية» مع بعض النظريات اليهودية والمسيحية»(١)، فغاية ما في الإسلام من عظمة عند هذا المستشرق هو قدرته على جمع تلك المعارف من أهل الكتاب وخلطها بالعادات العربية.

ونجد هذا الامتداد في الدائرة؛ إذ يعجب قارئ الدائرة من جرأة كتابها وكثرة ادعاءاتهم باستقاء النبي ﷺ من أهل الكتاب وغيرهم، ومن لا يعرف الإسلام يظن هذا الدين خليطاً من مذاهب وأديان شتى كالمجوسية وأديان فارس، ومعتقدات أهل جنوب جزيرة العرب، بالإضافة إلى اليهودية والنصرانية وما يدين به مشركو العرب.

وفي هذه الدائرة نجد كثرة تلك الدعاوى حتى زعم كارده فو: أن النبي ﷺ لم يأت بجديد سوى ما لم يفهمه مما نقله من الأديان السابقة(٢).

ولكثرة ذلك سأذكر في هذا المبحث المواضع على سبيل السرد، وسأذكر جميع حججهم في ذلك، وسأحيل إلى الردود التفصيلية في حال وجودها إلى مواضعها من هذا البحث تجنباً للتكرار، أما الردود الإجمالية فقد أفردت لها مبحثاً خاصاً بعد هذا المبحث.

(١) محمد في مكة ٥١.

(٢) الدائرة الأولى ٩/ ١٠٣، دنيا، كارده فو.

. وقد صنفت ذلك إلى أربعة أصناف:

الأول: ما زُعِم أنه أُخِذ من الأديان السماوية السابقة لأهل الكتاب، أو من الأديان والحضارات القديمة كالبابليين والرومان وبلاد اليمن والسامرية والبهلوية.

ثانياً: ما زُعِم أنه أخذ من اليهود.

ثالثاً: ما زُعِم أنه مأخوذ من النصرانية.

رابعاً: ما زُعِم أنه مأخوذ من العرب قبل الإسلام.

أولاً: ما زُعِم أنه مأخوذ من الحضارات القديمة:

جاء في الدائرة العديد من الادعاءات في نسبة ما جاء به النبي ﷺ إلى الأديان والحضارات القديمة، وهذه بعض النقول بالنص أو المعنى:

- (ولم يكن قصد محمد خلق نظام يضبط به أتباعه، أو وضع أصول هذا النظام على الأقل، بل ظل القانون العرفي العربي القديم - الذي تضمن كثيراً من العناصر الدخيلة من رومية إقليمية وبابلية ويمنية - يسير في الإسلام سيره الطبيعي، ودخلت عليه بعض التغييرات لتلائم بينه وبين الظروف الإقليمية للبدو وأهل مكة وهي مدينة تجارية، وأهل المدينة وهي مركز زراعي، وكان همُّ محمد في التشريع قاصراً على تصحيح بعض المسائل مدفوعاً إلى ذلك باعتبارات دينية؛ وذلك لأن الأحكام التي تمس الحياة الاجتماعية تقوم أيضاً على أساس ديني. وفي مثل هذه المسائل كانت الحوادث الخارجية هي

الدافع إلى معالجة أكثرها)[1].

ـ ومفهوم الصبر في القرآن بكل ما يتضمنه من معانيَ هو في جوهره يرجع إلى التفكير اليوناني المتأخر، ويشمل فكرة السكون عند الرواقيين، وهو صبر النصارى[2].

ـ والاسبوع مأخوذ من البابليين أو اليهود[3].

ـ ولفظة سجل في القرآن هي مشتقة من سجلوم نقلاً عن الكلمة اليونانية[4].

ـ ولفظة سجيل في القرآن مشتقة من الكلمتين الفارسيتين «سنكت وكل» أي الحجر والطين[5].

ـ والسيرة أطلقت على الروايات الخاصة بالنبي ﷺ أسوة بسير الملوك البهلوية، وخُلد ذكر المغازي على غرار ما كان يفعل العرب في الجاهلية لقوادهم، فلا يختلف اختلافاً مشهوداً عن أمراء الجاهلية، فليست هذه المغازي إلا تطوراً لأيام العرب[6].

ـ وقطع اليد في السرقة قد يكون من أصل فارسي[7].

---

(١) الدائرة ٣/٤٩٢، أصول، شاخت.

(٢) الدائرة، الأولى ١٤/١٣٩، الصبر، فنسنك.

(٣) الدائرة، الأولى ١٠/٣٧٨، زمان، هارتنز.

(٤) الدائرة، الأولى ١١/٢٩٧، سجل، فكا.

(٥) الدائرة، الأولى ١١/٣٠٢، سجيل، فكا.

(٦) الدائرة، الأولى ١٢/٤٤٠ ـ ٤٤٤، السيرة، ليفي دلافيدا.

(٧) الدائرة، الأولى ١١/٤١، سارق، هيفننك.

- وأن السامرية أثرت في الإسلام ابتداء بشهادة التوحيد، والبسملة التي أخذها عن اليهود والنصارى عامة ومن السامرية على وجه الخصوص، ويجوز أن فكرة استقبال القبلة أخذها محمد منهم، كما يلاحظ التشابه بين الفاتحة وما عند السامرة من طقوس، وهو لم يأت بمحض الصدفة، بل إن الفاتحة عند المسلمين معتمدة على ما عند السامرة، وكذلك التشابه في أعداد الملائكة، وفواتح السور التي تحل لنا الكلمات الغامضة في القرآن، وكذلك فكرة المهدي، ومقارنة أصول العقيدة السامرية بأصول العقيدة الإسلامية سيبين أن السامرة قد أثروا أثراً عميقاً في تكييف الدين الذي جاء به محمد فأثروا فيه[1].

ثانياً: ما زُعِم أنه مأخوذ من اليهودية:

جاء في الدائرة الكثير من الدعاوى التي تنسب ما جاء به النبي ﷺ في القرآن والسنة لليهودية، وهذه بعض النقول بالنص أو المعنى:

- لفظة الزبور في القرآن منقولة من المزمور، بل إن آية الأنبياء التي فيها الزبور تكاد تكون منقولة من المزمور ٣٧ بالنص، ويحتمل أن يكون ذلك تم عن طريق الشعراء الجاهليين، كقول أمرئ القيس: كخط زبور في مصاحف رهبان[2].

- ومن اليهودية استقى النبي لفظة إبليس[3].

(١) الدائرة، الأولى ١١/ ٩٠ - ٩٧، السامرة، كاستر، يلاحظ سبعة أمور ادعى تأثر الإسلام بها منهم.

(٢) الدائرة، الأولى ١٠/ ٣٣٥، زبور، هوروفتز، ولم أجدها في المزمور ٣٧.

(٣) الدائرة، الأولى ١٤/ ٤٧، شيطان، ترتون.

- وصفة الباري أخذها محمد من العبرية دون أن يقصد منها معنى خاصاً[1].

- ومعرفة سليمان للغة الطير والحيوان في سورة النمل تعتمد على سفر الملوك الأول[2].

- ومن الجائز أن يكون البر بأهل الحاجة أخذ من اليهود؛ لأن العرب لم يكونوا يأبهون كثيراً لأحاسيس المشاركة للغير في آلامهم[3].

- والسيرة النبوية تأثرت بالسنن اليهودية والمسيحية وذلك بنسج القصص على منوال القصص الواردة في العهدين القديم والحديث[4].

- والصلاة أخذها محمد من اليهود والنصارى وجيرانه، ولم يكن بين يديه أول الأمر المادة الوافية لهذه الشعيرة، ولقد كانت تعوزه النصوص التي يتلوها اليهود والمسيحيون في صلاتهم، وأن الصلاة أول الأمر كانت مرتين في اليوم ثم أضيفت الصلاة الوسطى في المدينة محاكاة لليهود، ثم أصبحت خمساً بأثر فارسي في قول قولد تسهير، ويذهب كايتي إلى أنه لم تتحدد بخمس إلا في عهد عمر بن عبد

---

(١) الدائرة ٤ / ٢٤٩، مادة «الله»، ماكدونالد.

(٢) الدائرة، الأولى ١٢ / ١٦٧، سليمان، ووكر.

(٣) الدائرة، الأولى ١٤ / ١٦٩ صدقة، فاير.

(٤) الدائرة، الأولى ١٢ / ٤٤٧، السيرة، ليفي دلافيدا.

العزيز، ويرى متقوح وجود التأثير اليهودي في ركعتي النافلة، وختاماً فإن الصلاة احتفظت بالعادات القديمة والعادات الشائعة وبعض سنن الجاهلية[١].

ـ والنظام المحدد للصلاة يوم الجمعة والعيدين إنما نشأ بعد وفاة النبي، وهذا النظام يعتمد على ثلاث عناصر: الخطبة الجاهلية، والسنة، والمثل المستقاة من اليهود والنصارى[٢].

ـ وصلاة الجمعة أقامها النبي على طريقة اليهود[٣].

ـ والمثل المذكور في آخر سورة الفتح: ﴿**مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ... ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ**﴾ منقول من المزامير[٤].

ـ والعبارة التي وردت في سورة المائدة: ﴿**مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ...**﴾ الآية[٥] مشتقة من مشنة سنهدرين[٦].

ـ وصفة الرسول في سورة الأحزاب: ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً (٤٥) وَدَاعِياً**﴾[٧] منقولة من سفر أشعيا[٨].

---

(١) الدائرة، الأولى ١٤/٢٧٧ ـ ٢٩٥، الصلاة، فنسنك.

(٢) الدائرة، الأولى ٨/٣٧٥، الخطبة، فنسنك.

(٣) الدائرة ١٢/٢٨٦، الجمعة، جونيبول.

(٤) الدائرة ١٠/١٤٠، التوراة، هوروفتر، ولم أجدها في المزامير.

(٥) المائدة ٣٢.

(٦) الدائرة ١٠/١٤٠، التوراة، هوروفتر.

(٧) الأحزاب ٤٥ ـ ٤٦.

(٨) الدائرة ١٠/١٤١، التوراة، هوروفتر، ولم نجدها في سفر اشعيا.

- (ويمكننا أن نقول على وجه التحقيق إن يوم السبت عند اليهود كان من الناحية الأخرى المثال الذي احتذاه المسلمون في إقامة يوم الجمعة، وفي الحديث ما يدل على ذلك دلالة قاطعة، وقد استعار المسلمون في إقامتهم يوم الجمعة في صورته المتأخرة كثيراً من سنن السبت عند اليهود)[١] .

- والخطبة الأولى يوم الجمعة منقولة عن قداس اليهود، وأما الخطبة الثانية فتطابق العظة والصلاة الجامعة عند النصارى[٢] .

- وقصة إلياس التي في القرآن - ويقصد بها قصة الخضر - أصلها القصة اليهودية[٣] .

- وآزر الخادم الأمين لإبراهيم كما في سفر التكوين انتهت إلى محمد فالتبست عليه على أنه أبو إبراهيم[٤] .

- وزوجة فرعون المؤمنة في القرآن هي أخت فرعون في التوراة ولكن حصل بعض الالتباس[٥] .

- وتحريم الصور في الإسلام متأثر باليهود[٦] .

---

(١) الدائرة، الأولى ١١/٢٢٤، سبت، بالاش.

(٢) الدائرة، الأولى ٨/٣٧٥، الخطبة، فنسنك نقلاً عن بكر.

(٣) الدائرة ٤/٣٨٣، إلياس، فنسنك.

(٤) الدائرة ١/٥١، آزر، جفري.

(٥) الدائرة ١/٦٣، آسية، فنسنك.

(٦) الدائرة، الأولى ١٤/٣٧٧، صورة، فنسنك.

- وقصة داود مأخوذة من التوراة مع بعض التحريف[١].

- وقصة بلقيس مع سليمان أصلها يهودي ولكنها حرفت نتيجة تأثرها بالمصادر الإيرانية[٢].

- و«بعل» سمعها محمد من التوراة[٣].

- والنهى عن الزنا وفضل العفة التي في القرآن من تأثر اليهودية أو النصرانية[٤].

- والرجم يرجع بلا شك إلى الشريعة اليهودية[٥].

- والشفاعة أخذها من اليهود والنصارى[٦].

- وكذلك العدد سبعة ودوره في العبادات، كالطواف والسعي وعدد آيات الفاتحة، ونزول القرآن على سبعة أحرف، وغسل الأواني القذرة سبع غسلات، والسجود على سبعة أعضاء، وخلق الكون فالسموات سبع والأرضون سبع، ولجهنم سبعة أبواب.

فسِرُّ الرقم سبعة يرجع بعضه إلى ما أخذه المسلمون من اليهود والنصارى وغيرهم من الملل، وبعضه إلى عقائد متأصلة عند الجاهليين

---

(١) الدائرة، الأولى ٩/ ١٢١ - ١٢٤، داود، كارده فو.

(٢) الدائرة ٨/ ٣١، بلقيس، كادره فو.

(٣) الدائرة ٧/ ٣٤٨، بعل، ماكدونالد.

(٤) الدائرة، الأولى ١٠/ ٤١١ - ٤١٢، زنا، شاخت.

(٥) الدائرة، الأولى ١٠/ ٤١١ - ٤١٢، زنا، شاخت.

(٦) الدائرة، الأولى ١٣/ ٣٢٣، الشفاعة، فنسنك.

كالطواف والسعي، وقد جرى المسلمون على سنة المسيحيين فجعلوا الخطايا الموبقات سبعاً[1].

– وشعيرة السلام في الصلاة جاءت متأثرة بالأقوال المسيحية واليهودية[2].

– والزكاة مأخوذة من اليهودية، وعرف النبي الصدقة معرفة أدق من يهود المدينة[3].

– واستعارة الإقامة من البركات التي تتلى في صلاة اليهود، أو على منوال القداس عند النصارى[4].

– كما جاء ما نصه: (إن معظم آيات القرآن التي تذكرنا في معناها أو في نطقها بالتوراة مأخوذ من المزامير)[5].

ومن ذلك ما تحاول الدائرة جاهدة في ربط أصول الكلمات القرآنية بالعبرية الواردة في التوراة، مثل:

« صدقة » ليست سوى الكتابة العربية للكلمة العبرية « صداقا » التي تدل على السيرة الصالحة[6].

---

(١) الدائرة، الأولى ١١/٢٤٣ – ٢٤٤، سبع، فنسنك.

(٢) الدائرة، الأولى ١٢/٤٤، السلام، أرندنك.

(٣) الدائرة، الأولى ١٠/٣٥٦ – ٣٥٧، زكاة، شاخت.

(٤) الدائرة ٤/٩٤، إقامة، جوينبول.

(٥) الدائرة، الأولى ١٠/٣٣٥، زبور، هوروفتز.

(٦) الدائرة، الأولى ١٤/١٦٤، صدقة، فاير.

« أمة » الدالة على جماعة ليست مشتقة من الكلمة العربية « أُمّ »، بل هي كلمة دخيلة مأخوذة من العبرية « أُمّا » أو من الآرامية « أُميثا »، لذلك فلا صلة مباشرة بينها وبين كلمة أمة التي تدل على معان أخرى مثل [حين من الزمن، هود ٨] أو [الجيل، الزخرف ٢٢]، ومهما يكن من شيء فإن محمداً أخذ هذه الكلمة واستعملها، وصارت منذ ذلك الحين لفظاً إسلامياً أصيلاً[١].

« الزكاة » أخذها النبي عن استعمال اليهود « زاكوت »، والمعاني الأخرى التي تفهم من الزكاة كالطهارة، تلك المعاني ليست عربية أصيلة وإنما مأخوذة من اليهودية[٢].

– وأخيراً جاء في الدائرة مانصه : (إلى جانب مثل هذه الإشارات البينة إلى التوراة : قصص وأحكام استقاها منها ورددها في مواضع كثيرة دون أن يذكر المصدر الذي نقل عنه، وقد ساق أغلب هذا القصص في صيغته الهجائية وحوَّر بعضه بحيث يلائم أغراض محمد الخاصة.

ولم يعرف محمد من أسفار العهد القديم – إلى جانب التوراة – سوى الزبور، أي المزامير. ولعله كان يقصد بالتوراة ما يقصده اليهود أنفسهم أحياناً، وهو أنها تشمل جميع أسفارهم)[٣].

---

(١) الدائرة ٤ / ٤١١ – ٤١٢، أمة، باريه.

(٢) الدائرة، الأولى ١٠ /٣٥٦، زكاة، شاخت.

(٣) الدائرة ١٠ / ١٤٠ – ١٤١، التوراة، هوروفتر.

ثالثاً: ما زعم أنه مأخوذ من النصرانية:

جاء العديد من الافتراءات التي تنسب ما جاء به النبي ﷺ للنصرانية، وهذه بعض النماذج:

ـ صفة السلام قد تكون بقيت في ذاكرة محمد من العبارات التي تتلى في صلوات النصارى[1].

ـ والصوم في الإسلام تقليد للصوم الأربعيني عند النصارى عند «شبرنكر»، و«ليبسك» يرى أنه أشبه بالصيام عند المانوية، ولكن «فنسنك» نبه إلى اتصال ذلك بالعرب قبل الإسلام اعتماداً على الصبغة المقدسة التي كانت لشهر رمضان خاصة[2].

ـ والنبي عرف جبريل من خبر البشارة الواردة في الإنجيل، ولكنه لم يكن بمقدوره أن يعرف الإنجيل بغير واسطة، ولعلة سمع ذلك الخبر من أفواه بعض الفلاسفة أو الباحثين في الأديان أو من أحد الحنفية وقد وصلهم هذا الخبر مشوهاً[3].

ـ وفكرة الشيطان مستعارة[4].

ـ وقصة إبليس في القرآن تستند إلى الروايات النصرانية[5].

---

(١) الدائرة ٤/٢٤٨، مادة «الله»، ماكدونالد.

(٢) الدائرة، الأولى ١٤/٣٩٩، الصوم، بيرك.

(٣) الدائرة ١١/٦١ – ٦٢، جبرائيل، كارده فو.

(٤) الدائرة، الأولى ١٤/٤٩، شيطان، ترتون.

(٥) الدائرة ١/١٨٥، إبليس، فنسنك.

ـ وما يتعلق بالشهيد في سبيل الله، إنما هو تأثر بالروايات النصرانية[١].

ـ ومقابلة النبي ﷺ للأنبياء في الإسراء ربما نسجت على منوال ظهور عيسى على جبل تابور[٢].

ـ والتهجد في الإسلام له صلة بالزهاد النصارى[٣].

ـ ويذهب «سيل» إلى أن النبي استقى فكرة حور الجنة من المجوس، ولما كان المصدر المجوسي أحدث من القرآن فإن «فنسنك» يرجح أن الحور والولدان في القرآن مأخوذة من الصور المسيحية للملائكة ولم يفهمها النبي فنقلها على أنه حور[٤].

ـ وكذلك الولدان والحور أخطأ محمد أو معلموه المجهولون عندما رأوا صورة ملائكة فظنوها ولدان وحور[٥].

ـ وزكريا منقول من إنجيل لوقا[٦].

ـ والرواية التي عند الغار وفيها: «يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل» إنما أضيفت فيما بعد من إنجيل لوقا[٧].

---

(١) الدائرة، الأولى ١٣/ ٤٢٨، الشهيد، بيوركمان.

(٢) الدائرة ٣/ ٢٨٨، إسراء، شريك.

(٣) الدائرة ١٠/ ١٠١، التهجد، فنسنك.

(٤) الدائرة ١٦/ ١٤١، الحور، فنسنك.

(٥) الدائإة ١٢/ ٤١٧، الجنة، كارده فو.

(٦) الدائرة، الأولى ١٠/ ٣٦٨، زكريا، برنار هيلر.

(٧) الدائرة ١١/ ٦١، جبرائيل، كادره فو.

ـ وقصة جريج يمكن القول دون خشية الزلل أن هذه القصة عرفها المسلمون من النصارى، ثم دخلت آخر الأمر في الحديث(1).

ـ وفكرة الأجر مستمدة من الأصول المسيحية(2).

ـ والنقول من الكتاب المقدس كثيرة، ومنها حوض النبي، وأن من شرب منه لايظمأ أبداً(3).

ـ وقصة خلق المسيح لطير من الطين مأخوذة من الإنجيل.(4)

ـ وعبارة روح القدس لم يفهمها محمد عندما استقاها من الإنجيل، فخلط بينها وبين جبريل(5).

ـ والصورة الوصفية في آية النور(6) مأخوذة من صورة المذبح المضاءة عند النصارى(7).

ـ وكان النبي ـ وهو من طائفة التجار ـ يؤثر التجارة وهو أمر طبيعي في جمهورية تجارية كالمدينة مع تحذيره من شرورها، إلا أنه تغيرت نظرته إليها بفضل آراء الزهاد النصارى، ومع أنه لم يحرمها، فقد رأى

---

(1) الدائرة ١١ / ٢٤٠، جريج، هوروفتز، ولم أجدها في الأناجيل.

(2) الدائرة ٢ / ٢٣٦، الأجر، شاخت.

(3) الدائرة ١٦ / ١٨٠، الحوض، فنسنك.

(4) الدائرة ٤ /٥٧٨، إنجيل، كارده فو، ولم أجدها في الأناجيل.

(5) الدائرة ٤ /٥٧٩، إنجيل، كارده فو.

(6) النور ٣٥ ـ ٣٧.

(7) الدائرة ٤ /٢٤٩، مادة «الله»، ماكدونالد.

فيها ما قد يعوق المؤمنين عن عبادة الله ويصرفهم عن الصلاة. ويظهر هذا بأجلى بيان في وصف الصوامع الذي ورد في سورة النور المدنية الذي ورد فيها ﴿رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾[1][2].

رابعاً: ما زُعِم أنه مأخوذ من الجاهلية العربية:

حتى الجاهلية العربية قيل في الدائرة أن النبي ﷺ أخذ منها الدين، وهذه بعض النماذج:

ـ وساق القرآن من أخبار العرب ما حلّ بعاد وثمود، كما ساق من أخبار العهدين القديم والحديث ما حاق بغير العرب[3].

ـ والسكينة التي جاءت في سورة البقرة لم يتبين النبي ﷺ معناها، ولعل ذلك راجع إلى تصورات استقاها من العقائد الوثنية في الجن[4].

ـ والوقوف في عرفات أثر لفكرة جاهلية[5].

ـ ورمي الجمرات شعيرة أخذها الإسلام من الوثنية فلم ينص عليها صراحة في القرآن[6].

---

(١) النور ٣٧.

(٢) الدائرة ٩/٢١٦، التجارة، هفننك.

(٣) الدائرة ١٠/٣٤٥، ثمود، براو.

(٤) الدائرة، الأولى ١٢/١٩، السكينة، جويل.

(٥) الدائرة ١٣/٣٥١، الحج، فنسنك.

(٦) الدائرة ١٢/٢٧١، الجمرة، بول.

ـ والأضحية عادة جاهلية أقرها الإسلام[١].

ـ وأخذ محمد صفة الرحمن الرحيم من جنوب بلاد العرب[٢].

ـ وربط خطبة الجمعة بقاضي الجاهلية[٣].

ـ وكثير من أحكام البيع في القرآن والشريعة إنما ترجع إلى الجاهلية ذلك أن القانون التجاري بمكة الذي بلغ مستوى من التقدم، ومن أمثلة ذلك خيار المجلس، بل وتشير جميع الظواهر إلى أن ركني العقد «الإيجاب والقبول» إنما تعود إلى هذا التكوين الجاهلي[٤].

ـ والتيسير الحاصل في رمي الجمار في الحج يعود إلى التأثر بالعادات القديمة أكثر مما كان بدوافع التسهيل[٥].

ـ والتشريعات الخاصة بجعل الرضاع من الموانع في الزواج متمشية مع الرأي الجاهلي القديم مع مخالفتها لصريح القرآن[٦].

ـ وقصة ثمود ساقها القرآن من أخبار العرب[٧].

ـ وشعيرة الطواف ترجع إلى إبراهيم ويفعلها المسلمون على عادة

---

(١) الدائرة ٣ / ٥٠٦، أضحى، أيوار.
(٢) الدائرة ٤ / ٢٥١، مادة «الله»، ماكدونالد.
(٣) الدائرة، الأولى ٨ / ٣٧١ ـ ٣٧٥، الخطبة، فنسنك.
(٤) الدائرة ٩ / ٣٧، بيع، شاخت.
(٥) الدائرة الأولى ١٠ / ٦٢، الرجم، ديمومبين.
(٦) الدائرة الأولى ١٠ / ١٣٠، الرضاع، شاخت.
(٧) الدائرة ١٠ / ٣٤٥، ثمود، براو.

الوثنيين(١).

- والقيام بالتضحية في منى عادة جاهلية أقرها الإسلام (الحج ٣٤ - ٣٧)(٢).

قلت: بل وصل الأمر ببعضهم في النهاية إلى الزعم بأن النبي ﷺ لم يأت بجديد والاستدلال بالقرآن على ذلك، فقد جاء في الدائرة: (وجاء في القرآن أيضاً: ﴿**بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (١٧) إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ**﴾(٣)، ونحن نستدل من هذه الآيات أن محمداً لم يدَّع أنه أتى بجديد، وهو يلقي بمواعظ من هذا القبيل. على أن الشيء الذي ينسب هنا لليهودية يجب أن ينسب إلى المسيحية)(٤).

ثانياً: الرد الإجمالي على دعواهم استقاء النبوة من الأمم السالفة:

إن جُل حُجج أولئك المستشرقين في إثبات استقاء النبي ﷺ الدين من الأمم السابقة تدور حول التشابه بين ما جاء به النبي ﷺ وما عند الأمم الأخرى كما لُوحظ في المبحث الأول.

وهناك أيضاً أمر آخر وهو محاولة اختلاق وسائل اعتمدها النبي ﷺ - حسب زعمهم - في الأخذ من غيره، وهذا يكفي عندهم للجزم باستقاء النبي ﷺ من غيره.

---

(١) الدائرة، الأولى ١٥ / ٣١٧، طواف، بول.

(٢) الدائرة ٣ / ٥٠٦، أضحى، شاخت.

(٣) الأعلى ١٦ - ١٩.

(٤) الدائرة، الأولى ٩ / ٣٠١، دنيا، كارده فو.

وقد سبقت الأدلة على نبوة محمد ﷺ[1]، وهي في حد ذاتها كافية، لإثبات نبوته ﷺ وقطع كل التخرُّصات، ومع ذلك سأتناول الرد على دعاواهم على النحو التالي:

أولاً: بيان افتقاد الموضوعية في تلك الدعاوى.

ثانياً: الرد على مزاعمهم باستقاء النبي ممن أخذ من أهل الكتاب وغيرهم كالحنفيين وبعض الصحابة.

ثالثاً: بيان أن التشابه بين الديانات هو أمر طبيعي.

رابعاً: بيان استحالة أن يكون النبي ﷺ قد استقى ما زعموا من أهل الكتاب، وغيرهم.

كما ستكون الردود التفصيلية على كثير من تلك الادعاءات في موضعها.

أولاً: بيان افتقاد الموضوعية في تلك المزاعم:

في بداية الرد على دعاوى الدائرة أنبِّه إلى أمر مهم وهو افتقادهم الحد الأدنى من الموضوعية الضرورية للبحث العلمي المقبول، ويتجلى ذلك من أربعة وجوه:

الأول: الكذب والتلفيق: إذ كثير من الأمثلة المذكورة لم أجدها في الكتب السابقة كما هو موضح بالهامش في مواضعها[2].

---

(١) انظر ص ٣٢١، ٣٨٣.

(٢) انظر ص ٣٩١، ٣٩٨.

الثاني: إتيانهم بالأمور المستغربة المخالفة للقطعي من الأدلة، على أنها مُسلَّمات؛ يلاحظ ذلك جلياً في ثلاثة أمثلة:

١ – ورود بعض العبارات المجزُوم بها مثل: محمد سمعها من التوراة، أو رأى محمد أو معلموه المجهولون الصورَ المسيحية فلم يفهموها.

٢ – قول «شاخت»: إن النبي لم يكن يقصد خلق نظام يضبط به أتباعه، أو وضع أصوله على الأقل.

٣ – ما نقله «فنسنك»: أنه لم تتحدد الصلوات بخمس إلا في عهد عمر بن عبد العزيز، وأن صفة صلاة الجمعة والعيدين، إنما وضعت بعد وفاة النبي ﷺ.

ونلاحظ في الدعوى الأولى الجُرأة في الجزم بسماع النبي ﷺ عبارات محددة من كتب سابقة، وأنه لم يفهم بعضها!

أهكذا يكون البحث العلمي! إنه تلبيس على الناس بالقطع بمثل هذه النتائج مجردة من أي برهان تاريخي دال عليها كما لو كانت مسلمة؛ بل ويترك ما ثبت قطعاً من دلائل صدقه، ومعجزاته ﷺ.

كما يُلاحظ في الدعوى الثانية الافتراء البيِّن بالجزم بأن النبي ﷺ لم يكن يقصد وضع نظام لضبط أتباعه!

إن أي متدبر للقرآن والسنة يعلم ضرورة أن فيهما نظاماً شاملاً للحياة، فيجد تلك الشريعة كاملة متضمنة لجميع جوانب الحياة حتى

في أدق الأمور، فجاء الإسلام تاماً شاملاً كما قال سبحانه: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً ﴾(١)، وقال سبحانه: ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَماً وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً ﴾(٢).

قال الشافعي رحمه الله: «فليست تنزل بأحد من المسلمين نازلة إلا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها»(٣).

إن النبي ﷺ أوحي إليه بشريعة كاملة محتوية على نظام محكم في كافة فروع الأنظمة كالأسرة والمعاملات والعبادات والقضاء وسياسة الرعية، يعرف ذلك كل من له أدنى علم بالإسلام، وإذا كان النبي ﷺ بعد ذلك لا يقصد وضع نظام أو أصوله على الأقل؛ فليس هناك أحد على وجه الأرض يقصد وضع نظام.

إن الشريعة الإسلامية فيها من التفصيل والشمول ما أعجب به من غير المسلمين، حتى قال أحد النصارى(٤): «إن محمداً أعظم عظماء العالم ولم يجئ الدهر بمثله، والدين الذي جاء به أولى الأديان وأتمها

---

(١) المائدة ٣.   (٢) الأنعام ١١٤.

(٣) الرسالة، محمد بن إدريس الشافعي ٢٠، تحقيق أحمد محمد شاكر، المكتبة العلمية، بيروت، دطت.

(٤) هو فارس الخوري بك ولد في لبنان سنة ١٨٧٧م ارثوذكسياً ثم اعتنق المذهب البروتستانتي وتخرج من كلية الحقوق. انتخب عام ١٩١٢م نائباً عن دمشق ثم أصبح وزيراً للمعارف ورئيساً للوزارة كما انتخب ثلاث مرات رئيساً للمجلس النيابي السوري، ومثّل سوريا في هيئة الأمم، وكان عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق. (انظر: من هم في العالم العربي؟ الجزء الأول سوريا ٢٢٨ - ٢٣٠ إصدار مكتب الدراسات السورية العربية، دمشق، ١٩٥٧م).

وأكملها، وإن محمداً أودع شريعته المطهرة أربعة آلاف مسألة علمية واجتماعية وتشريعية»[1].

بل لم يملك حتى بعض المستشرقين إلا التصريح بتلك الحقيقة، حيث يقول جب: «ليس الإسلام ديناً بالمعنى المجرد الخاص، بل هو مجتمع بالغ تمام الكمال، ويقوم على أساس ديني، ويشمل كل مظاهر الحياة الإنسانية..... والحق أن الإسلام ليس مجرد نظام من العقائد والعبادات، إنه أعظم من ذلك كثيراً، فهو مدنية كاملة»[2].

وإنه من العجب أن تتحول المناقب إلى مثالب بهذه الطريقة.

والعجب العجاب في الدعوى الثالثة التي تبين منهجية القوم وعلومهم وتحاملهم.

إن الصلوات الخمس فرضها الله على نبيه ﷺ في السماء، وجاء الأمر بها في الكتاب والسنة، ونُقلت متواترة عن النبي ﷺ يصليها الناس في كافة الأمصار الإسلامية أفراداً وجماعات، ولا يُتصور أن يجرؤ أحد أن يغيرها فضلاً أن تقبل الأمة بذلك.

كما أن النبي ﷺ كان يصلي الجمعة مع أصحابه كل أسبوع، والعيدين مرتين في السنة بالجمع الغفير، وقد نقل صحابته – رضي الله عنهم – صفة ذلك بالتفصيل.

إن ما يريده كُتّاب الدائرة تكذيب النبي ﷺ، والادعاء أن ما جاء

---

(١) الإسلام والرسول في نظر منصفي الشرق والغرب، أحمد بن حجر آل بوطامي ١٨٢، مكتبة الثقافة، الدوحة، الطبعة الثالثة ١٣٩٨هـ.

(٢) شبهات التغريب لأنور الجندي ٣٠٢ – ٣٠٣.

به لم يكن وحياً من الله تعالى.

الثالث: الجزم بالاستقاء في جميع الأحوال، وكان الأصل في دعواهم أنه ﷺ أخذ ذلك من أهل الكتاب، ولمّا كان ذلك متعذراً نظراً لعدم وجود كل ما جاء به النبي ﷺ عندهم، فإنهم أخذوا يبحثون عن أقرب ما يكون من الديانات إلى ما جاء به النبي ﷺ ونسبته إليه من غير دليل ولا برهان.

لذا نجد نسبة الكثير إلى الديانات والحضارات القديمة، وإلى عرب الجاهلية، وعند تعذر هذا أو ذاك فإنه من العجب أيضاً أن نجد الجزم باستقاء النبي ﷺ حتى في حالة الجهل بالمصدر، ومن ذلك:

- «ولكننا لا نستطيع أن نتحقق من المصدر الذي استقى منه محمد ﷺ اسم صالح وقصة الناقة»[1].

- «أما من أين أتى النبي بلفظة «سورة» فأمر لا يزال غير ثابت على الرغم من المحاولات التي بذلت لتتبع أصلها، ويذهب نولدكه أنها الكلمة العبرية شورا التي تعني الترتيب أو السلسلة»[2].

- «ومن الممكن أن يكون محمد قد تأثر في تعيينه لموضع الجبل الذي رسا عليه فلك نوح ببعض روايات قديمة كانت شائعة في بلاد العرب»[3].

---

(١) الدائرة، الأولى ١٤/١٠٧، صالح، بول.

(٢) الدائرة، الأولى ١٢/٣٥٨، سورة، بول. (٣) الدائرة ١٣/٣٥، الجودي، شترك.

- «ولفظة حنيف ينبغي أن نسلم أن محمداً كان في استعماله لها متبعاً استعمالاً مقرراً»(١).

إننا كما نلاحظ فقد وضعت النتائج سلفاً، وهذا في حد ذاته مُسقِط لموضوعية البحث والنتائج معاً.

الرابع: تناقض أولئك المستشرقين في الدائرة نفسها في هذا الموضوع، بل يلاحظ تردد الكاتب نفسه في إرجاع ما يزعم أنه مستقى إلى أكثر من مصدر، وذلك لافتقاد الموضوعية، وما ذلك إلا محاولة للتعلق بأي شَبَهٍ لما في الإسلام مع الديانات السابقة للتعلق به، ومن ذلك:

١ - يزعم «ترتون» أن لفظة إبليس مستقاة من اليهودية، بينما نجد أن «فنسنك» يرجعها إلى النصارى.

٢ - يزعم «جونيبول» أن الخطبة الأولى مأخوذة من اليهود، والخطبة الثانية من النصارى، بينما نجد فنسنك يأتي بتأثيرات قاضي الجاهلية على خطبة الجمعة من حيث الاعتماد على السيف أو العصا.

٣ - يزعم «سيل» أن النبي ﷺ استقى فكرة حور الجنة من المجوس، بينما يزعم «فنسنك» أنها مستقاة من الصور المسيحية مع عدم فهم النبي ﷺ لها.

٤ - يزعم «شبرنكر» أن الصوم مأخوذ من النصارى، بينما يزعم «ليبسك» أنه مأخوذ من المانوية.

وهذا التردد والتناقض كثير، نجده فيما يتعلق في البسملة والصلاة والعفة والشفاعة والزكاة والإقامة.

---

(١) الدائرة ١٦ / ١٢٠، حنيف، بول.

ثانياً: الرد على زعمهم استقاء النبي ﷺ ممن أخذ من أهل الكتاب كالحنفيين وبعض الصحابة:

يدعي كتاب الدائرة ويرددون أن النبي ﷺ كان على علم بالأناجيل - المنحولة[١] وليست المعتمدة في حد زعمهم - بواسطة الحنفيين كأمية بن أبي الصلت[٢]، وزيد بن عمرو بن نفيل[٣]، وقس

(١) يقصد بالمنحولة - كما بينها «كارده فو» في موضع آخر بنفس المادة إنجيل الصبوة، وانجيل القديس يعقوب، ورؤيا القديس بولس، وعظة القديس بطرس، وغيرها.

(٢) أمية بن أبي الصلت بن أبي ربيعة الثقفي، من أهل الطائف شاعر جاهلي، قدم دمشق قبل الإسلام، وكان مطلعاً على الكتب القديمة، لبس المسوح تعبداً، وحرم الخمر على نفسه، رحل إلى البحرين وأقام فيها ثماني سنوات ظهر خلالها الإسلام، فلما عاد إلى الطائف سأل عن خبر محمد بن عبد الله ﷺ فأخبروه، فقدم مكة، وسمع منه آيات من القرآن، فسألته قريش عنه، فقال: أشهد أنه على الحق: قالوا: فهل تتبعه، قال: حتى أنظر في أمره، فخرج إلى الشام، ثم عاد بعد بدر إلى المدينة يريد الإسلام، فلما علم بمقتل أهل بدر وفيهم بعض أقاربه امتنع، وأقام بالطائف إلى أن مات سنة خمس من الهجرة (انظر: الأعلام للزركلي ٢ / ٢٣).

(٣) زيد بن عمر بن نقيل القرشي العدوي أحد حكماء الجاهلية، وهو أبو سعيد أحد العشرة المبشرين بالجنة، وابن عم عمر بن الخطاب، لم يدرك الإسلام، كان يكره عبادة الأوثان، رحل إلى الشام باحثاً عن الأديان فلم تجذبه اليهودية ولا النصرانية فعاد إلى مكة يعبد الله على ما يعلمه من دين إبراهيم - عليه السلام - : فحارب عبادة الأوثان حتى أُخرج من مكة، كما عادى وأد البنات والزنى، توفي قبل بعثة النبي ﷺ بخمس سنوات، وسُئل عنه النبي ﷺ فقال: «يبعث يوم القيامة أمة وحده» رواه أحمد ١ /١٨٩. (انظر: سير أعلام النبلاء ١ /١٢٦ - ١٣٥، الأعلام للزركلي ٣ /٦٠).

ابن ساعدة[1]، وغيرهم من الشعراء الذين يترددون على الحِيرة، فيسمعون بعض العلوم من أهل الكتاب، وينقلونها بدورهم إلى المجتمع العربي بالشعر أو النثر، ومصادر النبي ﷺ في معرفة تلك الأخبار - كما يدعون - هي نفس مصادر أمية بن أبي الصلت وغيره - إن لم يكن نقل عنهم مباشرة -.

ومن أبرز تلك العلوم المنقولة: أخبار البشارة بالنبي، وفي هذا إيحاء بأن النبي ادعى دعواه بعد معرفته بتلك الأخبار.

كما يدعون أن النبي ﷺ قد تأثر تأثراً واضحاً ببعض الصحابة الذين أسلموا، وكان لهم سابق معرفة بأديان أهل الكتاب كتميم الداري الذي كان نصرانياً قبل إسلامه، أو زيد بن حارثة - رضي الله عنهما -!

وهذه كتاباتهم في الدائرة:

- (وكان الشعر أيضاً وسيلة من الوسائل التي انتقلت بها آراء النصارى إلى المسلمين. فعند ظهور الإسلام كان الشعراء يترددون على الحِيرة، وكانت تربطهم بنصارى العرب خير الصلات، فنقلوا إلى بلاد العرب ما سمعوه من القصص في حانات الحيرة. نذكر من هؤلاء زيد ابن عمرو بن نفيل، وأمية بن أبي الصلت الذي كان واسع العلم

(1) قس بن ساعدة الأيادي: أحد حكماء العرب في الجاهلية ومن كبار خطبائهم، كان أسقف نجران توفي قبل بعثة النبي ﷺ بعشر سنوات. (انظر: الأعلام للزركلي ٥/١٩٦).

بالقصص اليهودي أيضاً)[1].

- كما جاء: (وكان محمد أكثر معرفة بالأناجيل المنحولة منه بالأناجيل الصحيحة. ولم تصل إليه تلك المعرفة من مصادر مسيحية خالصة، وإنما نُقلت إليه على يد يهود اتقنوا النصرانية، ويستدل على هذا بنوع القصص الذي ورد في القرآن، وقد تكيف بقصص أولئك الذين سماهم محمد «الحنفيين»، وقيل إنهم كانوا على دين إبراهيم. وهذا الموضوع ليس إلا مسألة فرعية من المسألة العامة بأصل الإسلام ومصادره)[2].

- كما جاء: (والأخبار الإنجيلية التي يظهر أنها كانت أكثر شيوعاً في البيئة التي شب فيها النبي، هي الروايات الخاصة بالبشارة)[3].

- وجاء أيضاً: (واستشهد الشعراء الأقدمون بثمود وعاد على زوال المتاع الدنيوي، من هؤلاء الشعراء الأعشى وأمية بن أبي الصلت اللذان استشهدا بكثير من أساطير ثمود، وساق القرآن من أخبار العرب ما حلَّ بعاد وثمود، كما ساق من أخبار العهدين القديم والحديث ما حاق بغير العرب)[4].

---

(١) الدائرة ٤/٥٧٧، إنجيل، كارده فو.

(٢) الدائرة ٤/٥٧٧، إنجيل، كارده فو.

(٣) الدائرة ٤/٥٧٨، إنجيل، كارده فو.

(٤) الدائرة ١٠/٣٤٥، ثمود، براو.

- وجاء أيضاً: (والآراء الدينية ومعالجة هذه الموضوعات في كلام أمية مطابقة لما جاء في القرآن إلى حد كبير، ويكاد الاتفاق يقع كلمة كلمة في كثير من الأقوال)، ثم يذكر ما أثير من اقتباس أمية من القرآن ويذكر أنه احتمال ممكن ولكنه لم يرجحه بسبب الشك في نسبة هذه القصائد إلى أمية.

ثم يخلص إلى أن محمداً وأمية وغيرهما من رجال الدين كزيد بن عمرو وورقة اقتبسوا جميعاً من مصادر واحدة[1].

- كما جاء أيضاً: (وكان تميم - الداري - نصرانياً كغالب عرب الشام، فاستطاع أن يخبر النبي بتفاصيل العبادات التي استعارها من النصارى، ومنها استعمال السراج في المسجد، ويقال إن تميماً كان أول من روى القصص الديني وقصص قيام الساعة وظهور الدجال والجسّاسة من هذا الفن من فنون الآداب، وقد أخبر بها تميم النبي فأخذ بروايته وأذاعها في الناس.... وليس من شك أن أسطورة تميم نشأت في عهد سحيق.... وقد يُتساءل أيضاً: هل تتصل هذه الروايات المتعلقة بتميم الداري حقيقة بشخصية تاريخية أم أنها شخصية أسطورية محضة)[2].

- وجاء فيها: (وكان زيد يصغر محمداً بنحو عشر سنوات، وهو من السابقين إلى الإسلام، إن لم يكن أولهم جميعاً، وزيد ينحدر من

---

(١) الدائرة ٤/٤٦٣ - ٤٦٤، أمية بن أبي الصلت، براو.

(٢) الدائرة ١٠/٥٩ - ٦٢، تميم الداري، ليفي دلافيدا.

قبيلة كانت تضرب قرب دومة الجندل. وكان عدد المعتنقين للنصرانية هناك كثيراً، كما كان أثر اليهود واضحاً، وربما كان أثر زيد في تطور تفكير النبي كبيراً)[1].

وأقول: جميع ما ذكره أولئك الكُتَّاب ليس فيه برهان واحد يصح أن تُبنى عليه تلك الدعوى الخطيرة التي ادعوها.

فمعرفة بعض الناس في البيئة التي نشأ بها النبي ﷺ لبعض ما في الأناجيل ليست دليلاً على أن النبي ﷺ استقى معلوماته من ذلك، وبالتالي كذبه فيما ادعاه من الوحي والرسالة.

ولو صح ذلك لأمكن تكذيب عامة أنبياء بني إسرائيل - عليهم السلام -؛ لأن معرفتهم بالتوراة لا تقارن بمعرفة النبي ﷺ بالكتب السابقة.

وكتاباتهم دعاوى مجردة مركب بعضها على بعض لهدم حقيقة ثابتة بالبينات والبراهين.

والرد من وجوه:

الأول: فيما يتعلق بدعوى الكاتب أن زيد بن عمرو بن نفيل كان يسمع القصص في حانات الحِيرة ليس لها ما يؤيدها من المصادر التاريخية، وزيد بن عمرو بن نفيل مات قبل البعثة بخمس

(١) الدائرة، الأولى ١١/١٠، زيد بن حارثة، فكا.

سنين، ولم يكن يهودياً ولا نصرانياً، وإنما كان حنيفاً على دين إبراهيم[1].

وأما ورقة بن نوفل فإن أصح ما ثبت عنه ليدل على نبوته ﷺ، وصحة الوحي الذي نزل عليه، ولا يدل على ما زعمه الكاتب إطلاقاً.

فقد ثبت في الصحيحين «أن النبي ﷺ بعد نزول الوحي عليه انطلقت به خديجة إلى ورقة بن نوفل وكان قد تنصر في الجاهلية، ويكتب الإنجيل بالعبراني، وكان شيخاً كبيراً قد عمي.

فقالت له خديجة: يا بن عم! اسمع من ابن أخيك، فأخبره النبي ﷺ خبر ما رأى. فقال له ورقة: **هذا الناموس الذي نزَّل الله على موسى** ليتني فيها جذعاً، ليتني إذ يخرجك قومك.

فقال رسول الله ﷺ: (أوَ مخرجيَّ هم؟) قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً»[2].

فهذا ورقة بن نوفل يستدل على صحة نبوته ﷺ بملابسات نزول الوحي عليه، ولو كان علَّمه، أو علِم أنه تعلم من غيره لما خفي عليه إطلاقاً.

---

(١) الإصابة لابن حجر ١/٥٦٩.

(٢) البخاري بدء الوحي ٣، مسلم الإيمان ١٦٠.

الثاني: ما قاله أحمد شاكر تعليقاً على هذا الكلام: «ومن المضحك؛ بل مما يؤسف له: أن كاتب المقال لم يصن قلمه في مثل هذا البحث – الذي يزعمه بحثاً علمياً – عن ذكر الحانات. وكان الأجدر به أن يفقه أن ما يتحدث به السكارى في الحانات، وخاصة الشعراء منهم، لا يصلح أن يكون أساساً لدين عظيم يهدي إلى الله، ويعلم الناس الشرائع والمكارم، ويدعو إلى إعلاء كلمة الله، وإلى نشر الفضيلة وحرب الرذيلة، وإلى النهي عن الخمر والميسر وغيرهما من المنكرات، ويصفها بأنها رجس من عمل الشيطان»[1].

الثالث: فيما يتعلق بزعم الدائرة أن بعض الصحابة الذين أسلموا كانوا من المصادر التي اعتمد عليها النبي ﷺ في القرآن، فالجواب عليه: أن الصحابة – رضي الله عنهم – أعظم الناس إيماناً بالنبي ﷺ وتصديقاً لما جاء به، وكانوا متفانين في طاعته ومحبته، ولا سيما زيد – رضي الله عنه –، وكان من أعرف الناس بالنبي ﷺ، ولا زال في تفانيه في نشر دين الله، حتى توفاه الله شهيداً على مشارف الشام، فحال القوم لا يوافق ما ادعاه الكاتب.

ومعرفة بعض أصحاب النبي ﷺ بأخبار أهل الكتاب شيء طبيعي، فأصحابه في عددهم أكثر من مائة ألف، فليس بمستغرب أن يكون من بينهم من عرف بعض العلم من أهل الكتاب؛ بل إن إيمانهم وتصديقهم للنبي ﷺ على معرفتهم تلك لدليل صدقه، إذ كانوا

---

(١) الدائرة ٤/٥٩٥، إنجيل، تعليق، أحمد شاكر.

يميزون بما عندهم من العلم بين الصادق والكذاب.

وقد كان في أصحاب الأنبياء من يعلم بعض العلوم من الأنبياء السابقين، ولم يضر ذلك أنبياءهم، وكان في أصحاب عيسى من يعلم من أخبار موسى ومن بعده من الأنبياء كثرة بما لا يقارن بعدد أمثالهم من أصحاب النبي ﷺ، ولا يطعن ذلك في أحد منهم.

الرابع: ما هي علاقة السراج بالعبادة؟ التي يزعم أن النبي ﷺ أخذها من تميم الداري، الذي أخذها بدوره من نصارى الشام !

إن تعليق السراج في المسجد لم يكن في زمن النبي ﷺ، ولم يكن له صلة بالعبادة، وإنما اتخذ – بعد انتشاره – بعد وفاة النبي ﷺ لينير الطريق وليعين على قراءة المصاحف.

ثالثاً: بيان أن التشابه بين ما جاء في الرسالات السماوية هو أمر طبيعي:

إن أكثر ما يستدل به أولئك المستشرقون في دعواهم باستقاء النبي ﷺ الأخبار من الملل الأخرى هو ذلك التشابه بين ما جاء به النبي ﷺ والأنبياء الآخرون من العقائد والأخبار وأصول الشرائع متخذين التوراة وحدها المقياس الحقيقي والمصدر لكل شيء من شرائع وأخبار، فيزعمون أن النبي ﷺ أخذ منهم، ويُلزموننا بذلك، وهذا غير صحيح؛ إذ لا يدل ضرورة على ما زعموا، ولا معنى لالتزامه من وجهين:

الأول: إن الله عز وجل هو الذي أرسل جميع الأنبياء، وأنزل معهم الكتب التي من الضرورة أن تتفق في تلك الأصول، وبالذات فيما يتعلق بالإخبار عن عالم غيبي واحد يتحدث عنه جميع الأنبياء، فلا يمكن أن يختلفوا في صفات الله، أو في الملائكة، أو في أخبار الرسل السابقين، أو فيما يتعلق باليوم الآخر. كما يتفقون في أصول الشرائع والعبادات فجميعهم يأمرون بالصلاة والصيام والصدقة، كما يحثون على العدل وسائر مكارم الأخلاق وينهون عن الظلم وسيئ الأخلاق، فطريقتهم واحدة وأحوالهم واحدة؛ وإن اختلفت تفاصيل شرائعهم.

وقد جاء هذا المعنى واضحاً في القرآن الكريم في آيات عديدة، منها:

قوله سبحانه وتعالى: ﴿ **إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ** ﴾(١).

وقوله سبحانه: ﴿ **مَا يُقَالُ لَكَ إِلاَّ مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ** ﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿ **كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾(٣).

---

(١) النساء ١٦٣.

(٢) فصلت ٤٣.

(٣) الشورى ٣.

وقوله عز وجل: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾[1].

كما جاء في السنة قول النبي ﷺ: (أنا أوْلى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلاَّت[2]: أمهاتهم شتى، ودينهم واحد) متفق عليه[3].

ثم أين أولئك المستشرقون من أهل الكتاب من التشابه بين ما جاء به موسى وعيسى مع ما جاء به من سبقهما من الأنبياء؛ بل أين أولئك المستشرقون النصارى الذين سلُّوا أقلامهم باتهام النبي ﷺ لمجرد ذلك التشابه، أين هم من التشابه بين رسالتي موسى وعيسى؟

وقد تنبه بعض المستشرقين لذلك فرد على من نسبوا الإسلام للأديان السابقة بهذه الحجة، حيث يقول « هاملتون جب »: « يغدو التساؤل عن مصدر الدين الذي جاء به محمد، وذلك شيء شغل بال الباحثين من نصارى ويهود في الغرب، أمراً غير وارد بالمرة، لقد وضح

---

(١) الشورى ١٣.

(٢) العلات: الضرائر، وأصله أن من تزوج امرأة ثم تزوج أخرى كأنه عل منها، والعلل: الشرب بعد الشرب، وأولاد العلات الإخوة لأب. «انظر شرح الحديث في فتح الباري ٦/٤٨٩».

(٣) البخاري الأنبياء ٤٨، مسلم الفضائل ١٤٥.

المتضلعون من علماء اليهود: أن كثيراً من الأقوال المنسوبة إلى المسيح في الأناجيل أو معظمها موجود في المؤلفات اليهودية، منسوبة فيها إلى واحد أو آخر من الأحبار العظام، ولكن هذا لا يغير شيئاً من الحقيقة وهي افتراق البناء الفكري المسيحي – حتى في مرحلته الأولى – افتراقاً كاملاً عن بناء الفكر اليهودي، ومثل ذلك يقال في حال الإسلام: إذ مهما يكن أمر استمداد الإسلام من الأديان التي سبقته، فذلك لا يغير هذه الحقيقة أيضاً، وهي: أن المواقف الدينية التي عبر عنها القرآن ونقلها إلى الناس تشمل بناء دينياً جديداً متميزاً»[١].

إن الجميع أنبياء الله ورسل الله عليهم صلوات ربي وسلامه، وذلك التشابه لا يطعن في رسالة أحد منهم؛ إذ جاؤا بالبينات من ربهم، فوجب الإيمان بهم وتصديقهم، وذلك التشابه إنما يدل على وحدة المصدر وصدق الجميع.

الثاني: إن القرآن الكريم أعلن بكل وضوح تحريف الكتب السابقة، فكيف يعقل أن يأخذ القرآن من الكتب التي جاء ليعلن تحريفها، أو عن الأقوام الذين حرفوها، ومن المعلوم أن النبي ﷺ جاء بدين يخالف ما عند أهل الكتاب، بل وجاء بما لا يعرفه مشركو العرب، قال ابن تيمية: «إنه حين بعث النبي ﷺ كان الناس: إما

---

(١) دراسات في حضارة الإسلام هاملتون جب ٢٥٤ – ٢٥٥، ترجمة احسان عباس وآخرين، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٧٩م. مع التحفظ على قوله: «إذ مهما يكن أمر استمداد الإسلام من الأديان التي سبقته».

مشرك، و إما كتابي، فلم يكن هناك أحد على الدين الذي دعا إليه»[1].

وسبب اختلاف ما جاء به النبي ﷺ عن ما عند أهل الكتاب يعود إلى أمرين:

أحدهما: تحريف أهل الكتاب لدينهم، ودخول الشرك فيه، فجاء النبي ﷺ ليصحح تلك الانحرافات، فيجادلهم بالتوحيد، وما حرّفوه وأخفوه من كتبهم، ومن ذلك اتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، وقول بعض اليهود: إن عزيراً ابن الله، وقول طوائف من النصارى: إن المسيح هو الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة – تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً – وكزعم اليهود والنصارى: أن المسيح عليه السلام صلب وقتل، وادعائهم بأنهم أبناء الله وأحبّاؤه، فنجد في القرآن الكريم الرد على تلك الانحرافات في آيات عديدة، منها على سبيل المثال:

قول الله تعالى: ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** ﴾[2].

وقول الله عز وجل: ﴿ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ** ﴾[3].

---

(١) الجواب الصحيح لابن تيمية ٤/٢٤ – ٢٥.

(٢) آل عمران ٦٤.

(٣) المائدة ١٥.

وقوله تعالى منكراً على اليهود: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٥٥) وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا (١٥٦) وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[١].

وقوله سبحانه: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾[٢].

إن من الأمور التي اختلف فيها أهل الكتاب: حقيقة عيسى عليه السلام وأمِّه، فالنصارى يغالون فيه ويجعلونه ابناً لله أو ثالث ثلاثة، وأنه قُتل وصُلب ثم رُفع، بينما يجعل اليهود مريم زانية، والمسيح كذاباً، وأنهم قتلوه وصلبوه.

بينما نجد أن الإسلام لم يتبنَّ أياً من الموقفين المتطرفين؛ وذلك لأن الوحي الذي نزل على النبي ﷺ من الله تعالى جاء بالحقيقة التي فقدها الطرفان؛ ألا وهي: أن المسيح رسول الله وأمه صدِّيقة، فكما أنه رسول صادق ليس بكذاب؛ فهو أيضاً بشر ليس ابناً لله أو ثالث ثلاثة، وأنه لم يُقتل ولم يُصلب بل رفعه الله قبل أن يُصلب من شُبِّه بالمسيح

(١) النساء ١٥٥ – ١٥٨.

(٢) المائدة ١٨.

لأعدائه وهم اليهود قتلة الأنبياء.

وهذا الخلاف بين ما جاء به النبي ﷺ وما عند أهل الكتاب دليل على صدق نبوته ﷺ، ونتيجة لانحراف أهل الكتاب عن منهج أنبيائهم، وهذا أمر واضح، حتى قال أحد المستشرقين، وهو هنري كاستري[1]: «أما فكرة التوحيد، فيستحيل أن يكون هذا الاعتقاد وصل إلى النبي ﷺ من مطالعته التوراة والإنجيل، إذ لو قرأ تلك الكتب لردها، لاحتوائها على مذهب التثليث، وهو مناقض لفطرته، مخالف لوجدانه منذ خلقته، فظهور هذا الاعتقاد بواسطته دفعة واحدة هو أعظم مظهر في حياته، وهو بذاته أكبر دليل على صدقه في رسالته وأمانته في نبوته»[2].

والسبب الآخر في وجود الاختلاف: هو اختلاف تفاصيل الشرائع، فالصلاة والصيام والزكاة والحج يقع في تفاصيلها اختلافات ملحوظة بين ما عند المسلمين وأهل الكتاب، كما هو موجود ذلك الاختلاف بين ما عند اليهود والنصارى؛ لأن الله شرع لكل أمة من

---

(١) الكونت هنري دي كاستري ١٨٥٠ - ١٩٢٧ مفكر فرنسي تعلم اللغة العربية، والتحق بالجيش الفرنسي، وتدرج في أعلى المراتب، حكم الجزائر أيام الاستعمار، ثم تفرغ للأدب والتأليف، له كتاب الإسلام سوانح وخواطر، وله أقوال عديدة في مدح القرآن والإسلام والنبي ﷺ (انظر: قالوا عن الإسلام لسيد حافظ أبو الفتوح ١١٧، وبحث المستشرقون بين الإنصاف والعصبية لمحمد علوي مالكي ١٦٧، ضمن كتاب الإسلام والمستشرقين، عالم المعرفة، جدة، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).

(٢) الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين ٣٥، قال ذلك في كتابه الإسلام سوانح وخواطر.

الشرائع ما يناسبها، وشرع لهذه الأمة أتم الشرائع؛ لأنه دين لا يختص بقوم دون قوم، بل هو الدين الوحيد المقبول عند الله من بعثته ﷺ إلى قيام الساعة.

يقول أبو الحسن العامري[1] مبيناً تلك الاختلافات، ومظهراً ميزة الإسلام ضارباً مثالاً بالصوم: «وكل من تأمل سنن هذه الأديان في إقامة هذه الشريعة، واعتبر وصفها بحسب الكمية والكيفية علم أنه لا سنة فيها أحسن في مقتضى العقل من سنة أهل الإسلام، أما من جهة الكمية: فلأنه لم يَطُلْ فيُمَلّ كصوم الرهابين من النصارى والصديقين من الثنوية وعبدة الأصنام، ولم يقصر فيه فيقل كصوم المجوس؛ إذ ليس هو بصيام على الحقيقة. أما من جهة الكيفية: فإنه لم يجعله كصوم النصارى والثنوية الذين يعتقدون معه تحريم اللحمان، ويسلطون على أنفسهم النحول، أو كصوم اليهود المتفرق في أيام السنة على صورة لا يوجد لها نظام مستقر، ولا تعرف أوقاتها إلا خصائص علمائها، بل علق أمرها برؤية الهلال الظاهر للأعين، وجعل شعارها تطهير النفوس عن جميع ما يدنسها من الاثام، وكفها عن اللذات الثلاث التي هي المأكل والمشرب والمنكح، مع الاعتقاد بأنه وإن وجب الإمساك عنها؛ فإنه ليس بمحرم عليه إذ هو مأمور به عند المرض والسفر، ورخص له في الإفطار»[2].

---

(١) أبو الحسن محمد بن يوسف العامري ولد وتوفي بنيسابور سنة ٣٨١هـ كان تلميذاً للبلخي (انظر مقدمة كتابه: الإعلام بمناقب الإسلام بقلم المحقق: أحمد عبد الحميد غراب).

(٢) الإعلام بمناقب الإسلام للعامري ١٤٢.

والعجيب من كتبة الدائرة أنه إذا وقع ثمة تشابه حكم على الفور باستقاء النبي ﷺ من ذلك المصدر، وإذا كان ثمة خلاف ولم يجدوا ما يشبه ما جاء به النبي ﷺ في الأمم السابقة، فيرجعونه إلى أحد أمرين:

أولها: زعمهم عدم فهم النبي ﷺ لما رآه وسمعه مما عند الأمم السابقة.

وثانيها: زعمهم أنه من ابتكارات محمد ﷺ، وقد يكون ذلك لعلة أو مصلحة خاصة أوجبت ذلك كما سيأتي.

فدل هذا على ضلوع الهوى ومجافاة الحق في آرائهم واستدلالاتهم، إذ أن تلك الدعوى يجوز أن تقال لكل أحد.

رابعاً: استحالة استقاء النبي ﷺ دينه من أهل الكتاب:

بالإضافة إلى الإجابة عن ما احتج به المبطلون من حجج فإني سأبين بمشيئة الله تعالى استحالة أن يكون ما جاء به النبي ﷺ مأخوذاً من أهل الكتاب، وذلك من وجوه:

الأول: ما تقدم من أدلة على ثبوت نبوة نبينا محمد ﷺ[1]، وتنوع دلائل ذلك من بشارات في الكتب السابقة، وإرهاصات نبوته قبل مبعثه، وإعجاز القرآن الكريم، والمعجزات الكثيرة الدالة على صحة رسالته، وما يعلم بالضرورة من سيرته لا سيما ما يدل على صدقه

(١) انظر ص ٣٢١، ٣٨٣.

وأمانته وحسن أخلاقه.

إن أي منصف موضوعي لا يملك إلا أن يستبعد تلك الآراء الخالية من الأدلة لا سيما إذ ناقضت تلك الدلائل المتواترة.

إن هذه الدعوى تتضمن كذب النبي ﷺ في رسالته، وهذا ما تحاشى أن يصرح به كثير منهم، وذلك لما هو مسلم بمئات الأدلة على صدق النبي ﷺ؛ حتى أن بعض المستشرقين الطاعنين في نبوته ﷺ وهو «منتقمري وات» أقر بذلك بقوله: «ولا يكفي أن نكتفي بأمانته وعزيمته إذا أردنا أن نفهم كل شيء عنه، وإذا أردنا أن نصحح الأغلاط المكتسبة من الماضي بصدده فيجب علينا في كل حالة لا يقوم الدليل القاطع على ضدها أن نتمسك بصلابة صدقه... ولا يجب مناقشة نظريات المؤلفين الغربيين الذي افترضوا كذب محمد كنظريات، وإن كان يمكن النظر في الحجج التي يذكرونها»[1].

وأولئك القوم محجوجون بأدلة صدقه ﷺ، وليس هناك كذب أعظم عند الله من افتراء الكذب عليه، وهذا معلوم بالضرورة للنبي ﷺ، حيث جاء ذلك في آيات عديدة في القرآن الكريم[2] منها قوله

---

(١) محمد في مكة منتقمري وات، ٩٤.

(٢) انظر الأنعام ٢١، ٩٣، الأعراف ٣٧، يونس ١٧، هود ١٨، الكهف ١٥، العنكبوت ٦٨، الزمر ٣٢.

تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾[1]، فهذا أعظم الكذب أن يدعي أن ما جاء به من عند الله بينما هي – على حد زعمهم – ملفقة من مصادر شتى تكتم عليها النبي ﷺ عن وعي وتعمد.

الثاني: أن النبي ﷺ كان أمياً، وهذا معلوم من سيرته، وهذا أبلغ في استبعاد أن يكون استقى من أهل الكتاب وغيرهم، فلو كان ﷺ قارئاً وكاتباً لربما قيل: إنه قرأ سراً بعض كتبهم، وكتب بعض ذلك، وتلك الدعوى على ضعفها لا وجود لها مع أميته ﷺ، لذا قال سبحانه: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾[2].

قال النحاس: إن هذه الآية: «دليل نبوته ﷺ لقريش؛ لأنه لا يقرأ ولا يكتب، ولم يكن بمكة أهل كتاب فجاءهم بأخبار الأنبياء والأمم»[3].

وقد اعترف الكافرون بأميّته ﷺ فلم يجدوا مناصاً إلا أن يقولوا: إنه يُملَى عليه، ويكتبها له غيره دون أن يقدموا أي دليل أو برهان، وقد حكى الله قولهم بقوله سبحانه: ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾[4].

---

(١) الأنعام ٢١. (٢) العنكبوت ٤٨.
(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٣/٣٥١.
(٤) الفرقان ٥.

وقد يُنظر في هذه الدعوى إذا كانت في حق من جُهلت سيرته، أما من عُلمت تفاصيل سيرته قبل البعثة وبعدها، وعُلم ما يناقض تلك الدعوى من صدقه وأمانته وحاله، فإنه لا وجود لها إلا من قبيل المكابرة والإبطال.

والعجيب أن بعض كُتَّاب الدائرة حاولوا إنكار أميَّته ﷺ في محاولة مكشوفة لتجاوز هذا الدليل، حيث حاول أحدهم تحريف كلمة «أمي» الذي قال عنه إنه لقب محمد في القرآن إلى الوثنى، وأنه هو ولفظ «أميين» صفة أطلقها أهل الكتاب على العرب الوثنيين، وطبيعي أن نجده يضعّف قول من قال: إن المقصود بلفظة أمي أي: لا يقرأ ولا يكتب؛ لأنه بحسب زعمه: (هناك عوامل لغوية تجعل من الصعب أن نقول إن كلمة أمي معناها «الذي لا يكتب ولا يقرأ» فلا الكلمة العربية «أمة» ولا العبرية «أمّا» ولا الآرامية «أميثا» تدل على الأمة في حالة الجهالة)[1].

وكأن اللغة العربية مركبة من غيرها، وليست فيها كلمة من ذاتها؛ فالكلمة عربية، وعجلة الكاتب في البحث في اللغات الأخرى مرفوض، وعمله ينبئ وكأن القرآن ملفق منها.

والكلمة ليست مشتقة من أمة، وإنما سُمي الأُمِيُّ أُمِّيًّا؛ لأنه بقي على ما ولدته أُمه لم يتعلم[2].

---

(١) الدائرة ٤ /٤٢٦ – ٤٢٧، أمي، باريه.

(٢) لسان العرب لابن منظور ١٢ /٣٤.

وكما أن اللغة لا تشهد للمدعي؛ فإن النصوص الصريحة من الكتاب والسنة تناقض ما ذهب إليه من أن «أمي» بمعنى «وثني»، وكان من المفروض أن يرجع إليها، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: (نحن أمة أمية لا نقرأ ولا نكتب، الشهر هكذا وهكذا. يعني مرة تسعة وعشرين، ومرة ثلاثين)[1].

ومن المعلوم أن الآية الكريمة: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ**﴾[2] لا يستقيم أن تفسر بالوثني إطلاقاً، حيث لا يمكن أن يكون معناها: هو الذي بعث في الوثنيين رسولاً منهم، فالوثنية ليست صفة مدح بحال، لا سيما وقد جاء بدين التوحيد، بخلاف أميته ﷺ الدالة على صدقه.

وإذا حاول المستشرق أن يُلبس على معني أُمي في هذه الآية فماذا يصنع بقوله تعالى: ﴿**وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ**﴾[3].

ولو كان ﷺ يقرأ أو يكتب لكان ذلك معلوماً لمعاصريه ولطعنوا في تلك الآيات ولاتهموا النبي ﷺ بأنه يكتبه ولما احتاجوا أن يقولوا تُملى عليه.

قال السعدي في تفسير قوله تعالى: ﴿**قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ**

---

(١) البخاري الصوم ١٣، مسلم الصوم ١٥.

(٢) الجمعة ٢.

(٣) العنكبوت ٤٨.

عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٦) فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴾[١]:

«فكيف أَتَقَوَّله بعد ذلك، وقد لبثت فيكم عمراً طويلاً، تعرفون حقيقة حالي، بأني أُمِّيٌّ لا أقرأ، ولا أكتب، ولا أدرس، ولا أتعلم من أحد؟!

فأتيتكم بكتاب عظيم، أعجز الفصحاء، وأعيا العلماء، فهل يمكن – مع هذا – أن يكون من تلقاء نفسي، أم هذا دليل قاطع أنه تنزيل من حكيم حميد؟

فلو أعملتم أفكاركم وعقولكم، وتدبرتم حالي وحال هذا الكتاب لجزمتم جزماً لا يقبل الريب بصدقه، وأنه الحق الذي ليس بعده إلا الضلال، ولكن إذا أبيتم إلا التكذيب والعناد، فأنتم لا شك أنكم ظالمون.

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ﴾[٢][٣].

---

(١) يونس ١٦ – ١٧.

(٢) الأنعام ٢١.

(٣) تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ٣/٣٣٥ – ٣٣٦، تحقيق محمد زهري النجار، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤٠٤هـ.

الثالث: إن سيرة النبي ﷺ معلومة معروفة، والنبي ﷺ لم يطلع على الإنجيل، ولم يقرأه أحد عليه، وإنَّ أقدم ترجمة عربية للإنجيل باعتراف الدائرة كانت بين سنتي (٦٣١ - ٦٤٠م)[١]، والنبي ﷺ ولد عام (٥٧١م)، وبعث عام (٦١٠م)، وتوفي عام (٦٣٢م).

كما أنه ﷺ لم يتلق عن أهل الكتاب ما زعموه مطلقاً، ولم يكن ﷺ يجالس أهل الكتاب قبل البعثة، ولقاءاته بهم بعد بعثته ﷺ كانت على قلتها عامة معلومة بغرض دعوتهم، لا التلقي منهم، كما حدث مع نصارى نجران ويهود المدينة.

إن كل دارس منصف للسيرة النبوية ليستسخف بتلك الافتراءات الحاقدة حتى من قِبَل غير المسلمين من فلاسفة الغرب، فهذا الفيلسوف كارليل يقول: «لقد أصبح من العار على كل فرد متمدن من أبناء هذا العصر أن يصغى إلى ما يدعيه المدعون من أن دين الإسلام كذب، وأن محمداً خداع مزور، وآن لنا أن نحارب ما يشاع من هذه الأقوال السخيفة المخجلة.....

إن محمداً لم يتلق دروساً عن أستاذ قط، وكانت صناعة الخط حديثة العهد إذ ذاك في بلاد العرب....»[٢].

وهذا هنري دي كاستري يقول: «ثبت إذن أن محمداً لم يقرأ

---

(١) الدائرة ٤ /٥٧٦، إنجيل، كارده فو.

(٢) الأبطال لكارليل ٥٤.

كـتابـاً مقدسـاً، ولـم يسـترشـد في دينـه بمذهـب متقـدم عليه»[1].

الرابع: لو افترضنا جدلاً احتمال جلوس النبي ﷺ مع أهل الكتاب سراً، فإنه من المستحيل أن يكون هذا الدين العظيم بما فيه من عقائد وشرائع وأخبار وآداب هو حصيلة تلك الاجتماعات مطلقاً.

قال الرازي[2]: «إن أمر التعلم لا يتأتى في جلسة واحدة، ولا يتم في الخفية، بل التعلم إنما يتم إذا اختلف المتعلم إلى المعلم أزمنة متطاولة، ومدداً متابعدة، ولو كان الأمر كذلك لاشتهر فيما بين الخلق أن محمداً – عليه السلام – يتعلم العلوم من فلان وفلان»[3]، لا سيما وقد اشتهرت سيرته ﷺ، ولم يعرف عنه ذلك.

وقد جمع القرآن من العلوم ما لم يكن عند معاصري النبي ﷺ، بل ويستحيل أن يتلقى النبي ﷺ عنهم ما زعموه من العقائد والشرائع والأحكام على كثرتها وتفاصيلها بلقاءات محدودة أو سرية، بل

---

(١) قالوا عن الإسلام لعماد الدين خليل ١٠٨.

(٢) محمد بن عمر الرازي ٥٤٤ – ٦٠٦، الفخر الرازي قرشي النسب من طبرستان من أئمة المعتزلة والمتكلمين واللغونيين صاحب الكشاف في تفسير القرآن، وله كثير من الكتب الفلسفية وبها الكثير من انحرافات الفلاسفة، ولكنه كما قال الذهبي «توفي على طرقة حميدة». (انظر سير اعلام النبلاء للذهبي ٢١ / ٥٠٠ – ٥٠١).

(٣) التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب، محمد بن عمر الشافعي المشهور بالفخر الرازي ٢٠ / ١١٩ تفسير النحل ١٠٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة دت.

يحتاج إلى وقت كثير وطول جلوس، وهذا لا يخفى على أحد لو تم. ومن الممكن ادعاؤه في سائر الرسل، إذ الدعوى بغير برهان لا تُعجز أحداً.

قال ابن تيمية في الرد على هذه الفرية بعد ذكر العلوم العظيمة والقصص الكثيرة التي أخبر بها النبي ﷺ: «وغير ذلك من قصص الأنبياء والصالحين والكفار، مفصلة مبينة بأحسن بيان، وأتم معرفة، مع علم قومه الذي يعلمون أحواله من صغره إلى أن ادعى النبوة، أنه لم يتعلم هذا من بشر، بل لم يجتمع هو بأحد من البشر، لا يهودي ولا نصراني ولا بغيرهم، كان هذا من عظيم الآيات والبراهين لقومه بأن هذا إنما أعلمه به وأنبأه به الله» ثم ذكر بعض الأدلة على استحالة ذلك، نقلتها بمعناها في الفقرتين الآتيتين[1].

الخامس: ما ذكره ابن تيمية بقوله: «وقد عُلِم بالتواتر أن المشركين من قريش وغيرهم، لم يكونوا يعرفون هذه القصص، ولو قُدِّر أنهم كانوا يعرفونها، فهم أول من دعاهم إلى دينه فعادوه وكذبوه، فلو كان فيهم من علّمه، أو يعلم أنه تعلم من غيره، لأظهر ذلك، ولو كانت هذه القصص المتنوعة قد تعلمها ﷺ من أهل الكتاب مع عداوتهم له، لكانوا يخبرون بذلك ويظهرونه، ولو أظهروا ذلك؛ لنُقِل ذلك وعُرِف، فإن هذا من الحوادث التي تتوفر الهمم والدواعي على نقلها»[2].

---

(١) الجواب الصحيح لابن تيمية ٤/ ٢٤ ـ ٢٥.

(٢) الجواب الصحيح ٤/ ٢٤ ـ ٢٥.

كما لو أن هذا الدين العظيم أخذه من غيره لكشفه ذلك الغير رغبة في نسبة هذا الفضل لنفسه.

السادس: إن مثل هذا لو كان، فلا بد أن يعرفه، ولو خواص الناس، وكان في أصحابه الذين آمنوا به من يعرف ذلك، وكان ذلك يشيع، ولو تواصوا بكتمانه، كما شاع ما كُتم من أمر الدولة الباطنية، ولكان خواصه في الباطن يعلمون كذبه، وكان علمهم بذلك يناقض تصديقهم في الباطن، كما عُرف في نظائر ذلك.

فكيف، وكان أخص اصحابه، وأعلمهم بحاله أعظمهم محبة وموالاة؟

بخلاف حال من يبطن خلاف ما يُظهر، فإن خواص أصحابه لا يُعظمونه في الباطن[1].

وهذه حقيقة استدل بها بعض الغربيين على صدقه ﷺ، حيث يقول هـ. ج، ولز: «إن من أدفع الأدلة إلى صدق محمد، كون أهله وأقرب الناس إليه يؤمنون به، فقد كانوا مطلعين على أسراره، ولو شكوا في صدقه لما آمنوا به»[2].

السابع: إن فرية تعلم واستقاء النبي ﷺ القرآن من أحد قد بين الله تعالى الرد الشافي عليها في كتابه حيث يقول سبحانه: ﴿ **وَلَقَدْ**

(١) الجواب الصحيح ٤/ ٢٤ - ٢٥.

(٢) إلى الدين الفطري الأبدي لمبشر الطرازي ١/ ٢٦٧.

نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾[1]، فمصدر إعجاز القرآن بالدرجة الأولى ليس ما فيه من الأخبار فحسب بل ويضاف إلى ذلك فصاحته، وحسن بيانه، وتأثيره، وهذا لا يحصل بالتعلم ممن ادعوا من العجم من أهل الكتاب وغيرهم.

وقد أقر بذلك حتى من تدبر القرآن من غير المسلمين، حيث يقول بلاشير[2] : «إن القرآن ليس بمعجزة بمحتواه وتعاليمه فقط؛ إنه أيضاً ويمكنه أن يكون قبل أي شيءٍ آخر تحفة أدبية رائعة تسمو على جميع ما أقرته الإنسانية»[3].

وقال الكونت هنري دي كاستري: «إن العقل ليحتار كيف يتأتى أن تصدر الآيات عن رجل أمي، وقد اعترف الشرق قاطبة بأنها آيات يعجز بنو الإنسان عن الإتيان بمثلها لفظاً ومعنى»[4].

ومن أحدث ما ورد عن الغربيين بهذا الصدد ما ذكره المستشرق الأمريكي داستن كاو[5]؛ حيث قال: «أسلوب القرآن أسلوب بليغ معجز في لغته، لا يستطيع أن يقلده أي إنسان، وإن من ينكر عظمته

(١) النحل ١٠٣.

(٢) مستشرق له ترجمة لمعاني القرآن.

(٣) قالوا عن الإسلام لعماد الدين خليل ٥٢ – ٥٣.

(٤) بحث بعنوان المستشرقون والسنة، أنور الجندي ٢٢٠، ضمن كتاب الإسلام والمستشرقين عالم المعرفة، جدة، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م

(٥) استاذ اللغة العربية وآدابها في جامعة وس كانسن.

فهو جاحد أو متعصب. عندما أستمع إليه وهو يُقرأ أكون معجباً ومبهوراً بقوة تعبيره وأسلوبه وتشبيهاته. إنه يأخذني إلى عالم روحاني نقي»[1].

الثامن: أن القرآن الكريم لو كان كما زعموا وليد عصره وبيئته لما ظل إلى اليوم صامداً في وجه المشككين والساعين لأي فرصة لتكذيبه، بل إنه على العكس يثبت كل يوم من خلال إعجازاته المتنوعة في تشريعاته التي لا يحدها زمان ولا مكان، وبإعجازه العلمي، بل إن الملايين من البشر اعتنقوه على اختلاف بيئاتهم وأجناسهم، منهم كثير من كبار العلماء، والأذكياء في سائر بقاع الأرض.

* * *

---

(١) مقابلة معه في مجلة اليمامة الأسبوعية الصادرة من الرياض العدد ١٣٠٧ في ٢٢/١٢/ ١٤١٤هـ - ١/٧/ ١٩٩٤م صفحة ٦٣.

المبحث الثالث

التشكيك في نبوته ﷺ

- إنكار دلائل نبوته ﷺ.
- الطعن في القرآن الكريم.
- ادعاء كذب النبي ﷺ.

تمهيد:

إن من أهم أهداف الدائرة: التشكيك في نبوّة محمد ﷺ أو نفيها بالكلية، ويدخل في ذلك ما سبق الحديث عنه من زعمهم استقاء النبي ﷺ من أهل الكتاب وغيرهم، كما يدخل فيه ما سيأتي في الفصول القادمة من طعنهم في سنته وسيرته وصحابته ﷺ، وقد أفردت لكل ما سبق فصلاً خاصاً لكثرة ما ورد.

أما في هذا الفصل فسأذكر محاولاتهم الأخرى لتحقيق هذا الهدف، ومن أهمها:

١ – إنكار دلائل نبوته ﷺ من معجزات وبشارات.

٢ – طعنهم في القرآن الكريم.

٣ – ادعاء كذب النبي ﷺ وتأليفه لما جاء به.

المطلب الأول: إنكار دلائل نبوته ﷺ:

وفي ذلك مسائل:

المسألة الأولى: نفي البشارات في الكتب السابقة:

جاء في الدائرة محاولة مستميتة لنفي أي بشارة بالنبي ﷺ في الكتب السابقة، وذلك للنيل من نبوته ﷺ كما هو ظاهر؛ ومن ذلك:

جاء في الدائرة: (وقد أقنعت الآية ١٥٦ من سورة الأعراف المؤمنين بأن التوراة قد بشرت بقدوم محمد. وترد المحاولات التي بذلت لإثبات ذلك إلى صدر الإسلام، ولكن لم يحدث إلا في منتصف القرن الثالث أن سيقت فقرات بعينها من التوراة وغيرها من أسفار العهد القديم مترجمة ترجمة حرفية، وفسرت بأنها بشائر بقدوم محمد)[1].

كما جاء في مادة أحمد: (وفي الحق إن المسلمين لم يطلقوا على محمد اللقب المبشر به قبل منتصف القرن الثاني «انظر ابن هشام ص ١٥٠ في روايته عن ابن اسحاق».... والإشارات العارضة إلى النبي بأحمد في شعر القرن الأول الهجري تؤول على أنها من ضرورات الشعر)[2].

وبعد سرد لقصة بحيرا الراهب عندما رأى علامات النبوة على النبي ﷺ وأقربها، جاء في الدائرة: (وليس لدينا ما نقوله إلا القليل

---

(١) الدائرة ١٠/١٤٤، التوراة، هوروفتر.

(٢) الدائرة ٢/٢٥٨، أحمد، شاخت.

من الناحية التاريخية عن صحة هذه الأساطير، لأن المعلومات تنقصنا في هذا الموضوع.

وهذه القصص قسم خاص من مجموعة الأساطير التي أحاطت بسيرة النبي محمد ﷺ، ولها نظائر كثيرة من نفس النوع، وكلها ترمي إلى أن أهل الكتاب عرفُوا من كتبهم من قبل ببعثه النبي)[1].

بل تعدى الأمر إلى أن يُقال في مادة التحريف: (والذي حدا بالمسلمين إلى الأشتغال بهذه الفكرة هو ما جاء بالقرآن من آيات اتهم فيها محمد اليهود بتغيير ما أنزل إليهم من كتب وبخاصة التوراة مستعملاً التعبير «حرفوا». وكان هذا الاتهام في الواقع الطريقة الوحيدة لإخراج محمد من مأزق خطير حين احتك في المدينة باليهود. فقد سعى منذ بدء رسالته إلى الحصول على تأييد أهل الكتاب يهوداً ونصارى، لاقتناعه بأن ما جاء في العهدين القديم والجديد يتفق وما دعا إليه مما أنزل عليه. ولكن عرضه للوقائع والشرائع التي جاءت في التوراة انطوى على إدارك خاطئ أثار عليه النقد والسخرية من جانب اليهود فكان في نظرهم مبطلاً. ولو أن ما استعرضه من الآراء كان متناقضاً لما أنزل في الكتب المقدسة القديمة لانتفت دعواه فيما يؤكد من أنه صاحب رساله إلهية. ولمَّا كان اعتقاده أنه رسول مُوحى إليه قوياً لا يتزعزع، لم يبق له غير مخرج واحد، ذلك أن اليهود عمِدوا آثمين إلى تحريف الكتاب، وأنه هو الذي أتى بالنص

---

(١) الدائرة ٦ / ٣٤٠، بحيراء، فنسنك.

الصحيح؛ وهي دعوى جريئة يسرها عليه أن هذه الكتب كانت مجهولة تماماً من أتباعه المؤمنين بصدق كلماته... وكان طبيعياً أن يرمي النبي النصارى بالتحريف أيضاً، فقد قرر أنهم هم الآخرون حرفوا آيات كتابهم الشاهد على صدق رسالته)[1].

وفي ترجمة دحية الكلبي الذي أوفده النبي ﷺ إلى هرقل ورد في الدائرة: (روت السيرة أن النبي أوفده إلى هرقل ليدعوه إلى الإسلام. وليس من سبب يدعونا إلى تصديق هذه الرواية؛ لأنها وشيت بتفصيلات قصصية) بل تعدى الأمر أن قال: (وظل دحية شخصية قصصية بل أسطورية على الرغم من جميع الجهود التي بذلها المحدِّثون)[2].

قلت: الجواب على تلك المفتريات من وجوه:

الأول: تقدم في الفصل الأول من هذا الباب إثبات البشارات السابقة بنبينا ﷺ التي ثبتت بالأدلة القطعية بما يغني عن الإعادة.

ونفي المستشرق لتلك الحقائق لم يُبن على أدلة مطلقاً؛ وإنما جرأة شديدة على نسف حقائق ثابتة بكلام مجرد.

الثاني: ما هو الذي لم يحدث إلا في القرن الثالث؟ هل هو آيات البشارة في القرآن؟ أم الروايات التي تؤيد تلك الآيات؟

---

(١) الدائرة ٩/ ٢٣٥ – ٢٣٧، التحريف، بول.

(٢) الدائرة، الأولى ٩/ ١٧١، دحية، لامنس.

إن كان الأول – وهو بعيد – فهو محجوج بثبوت القرآن وتواتر حروفه وألفاظه، وأن أي عاقل يعلم مكانة القرآن عند المسلمين وكثرة حفظهم وتلاوتهم له، يدرك استحالة إضافة أي جملة إلى القرآن بعد وفاة النبي ﷺ، وأنه لو كانت هناك محاولات فستكون مفضوحة، ولن يتقبلها أحد.

إن تمالؤ المسلمين على الإضافة في القرآن الكريم وسكوتهم على ذلك يحيله عقل من كانت له أدنى معرفة بالإسلام وتاريخ المسلمين، وكافة المستشرقين يعترفون بآيات البشارة في القرآن، وإن كانوا يقولون: إنها من صنع محمد.

وإن كان الثاني فإن وجود تلك البشارات في القرآن لدليل واضح على صحة ما جاء به ﷺ، ولا يُفتقر معها لتلك الروايات المثبتة للبشارة الموضوعة في القرن الثالث! حسب زعمه، إذ أنها في القرآن واضحة صريحة، وإن لم يكن القرآن الكريم دليلاً كافياً على صحة ما يعتقده المسلمون فليس هناك دليل آخر من الممكن أن يُعتمد عليه.

الثالث: أن الكاتب يستدل على أن المسلمين لم يصفوا النبي بالمبشر به إلا بعد منتصف القرن الثاني، ويعزو ذلك إلى ابن هشام نقلاً عن ابن إسحاق، وفي هذا إيهام أن النقل في السيرة يؤيد ما يقول، فليس في ابن هشام، أو عند ابن اسحق أن النبي ﷺ لم يوصف بذلك إلا في هذا الوقت البتة، ومراده – والله أعلم – أن أقدم مرجع ذُكر فيه النبي ﷺ بهذه الصفة هو ابن إسحاق بعد منتصف القرن الثاني، وفرق بين الاثنين.

وإنني أتساءل: أي دليل يريده الكاتب على صحة ذلك الوصف عند المسلمين قبل منتصف القرن الأول؟

فإذا كان القرآن نفسه ليس بدليل!، وجميع تفاسير الصحابة والتابعين لآيات البشارة أيضاً غير معترف بها! إذ أن تلك التفاسير بحسب دعواه موضوعة لإثبات ذلك.

وهو أيضاً لا يصدق بكل رواية فيها البشارة حتى لو كانت ثابتة في الصحيحين كقصة دحية مع هرقل[1]!؛ لأنها موضوعة، وأي قصيدة فيها ذكره ﷺ بأحمد على كثرتها هي من ضرورات الشعر!.

إن على المستشرق حسب منهجه أن ينكر ما قاله ابن إسحاق ويؤخر ذلك التاريخ قرنين آخرين؛ إذ أن ذلك مقدور له على منهجه هذا.

الرابع: فيما يتعلق بقصة بحيرا فقد اختلف العلماء في صحتها[2]، أما إرسال دحية إلى هرقل فهي قصة ثابتة في الصحيحين[3]، وقد تقدم ذكرها[4]، والقصص الثابتة الدالة على تصديق أهل الكتاب بما جاء به النبي ﷺ كثيرة جداً، وقد تقدم الكلام عنها[5].

---

(١) البخاري بدء الوحي ٦، مسلم جهاد ٧٤.

(٢) صححها الحاكم في المستدرك ٢/٦١٥، وخالفه الذهبي في تعليقه.

(٣) البخاري بدء الوحي ٦، مسلم جهاد ٧٤.

(٤) انظر ص ٣٤٦.

(٥) انظر ص ٣٢٩، ٣٣٥.

الخامس: أن القرآن الكريم يخبر مرة بعد مرة بأن البشارة بالنبي محمد ﷺ مذكورة في كتبهم، وأنهم يعلمون ذلك، بل ويستشهد بهم على وجود ذكر للقرآن في كتبهم: ﴿**وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ (١٩٥) وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الأَوَّلِينَ (١٩٦) أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾[١].

قال ابن كثير: «أوَ ليس يكفيهم من الشاهد الصادق على ذلك أن العلماء من بني إسرائيل يجدون ذكر هذا القرآن في كتبهم التي يدرسونها»[٢].

وهذا الذي في القرآن «يدل العاقل على أنه موجود في كتبهم حال مبعث النبي ﷺ، ذلك أنه لا ريب عند كل من عرف حال النبي ﷺ من مؤمن وكافر، عرف أنه كان من أعقل أهل الأرض، حتى المكذبين له فإنهم لا يشكون في أنه كان عنده من الخبرة والمعرفة والحذق، ما أوجب أن يقيم هذا الأمر العظيم، الذي لم يحصل لأحد مثله، لا قبله ولا بعده، فعُلِم ضرورة أنه لا يفعله ولا يخبر به، وهو من أحرص الناس على تصديقه، وأخبرهم بالطرق التي يُصدَّق بها، وأبعدهم عن أن يفعل ما يُعلم أنه يُكذَّب به.

فلو لم يعلم أنه مكتوب عندهم، بل علِم انتفاء ذلك، لامتنع أن

---

(١) الشعراء ١٩٢ - ١٩٧.

(٢) تفسير ابن كثير ٣/٣٤٧.

يُخبِر بذلك مرة بعد مرة، ويستشهد به، ويُظهِر ذلك لموافقيه ومخالفيه، وأوليائه وأعدائه؛ فإن هذا لا يفعله إلا من هو أقل الناس عقلاً؛ لأن فيه إظهار كذبه عند من آمن به منهم، وعند من يخبرونه، وهو ضد مقصوده، وهو بمنزلة من يريد إقامة شهود على حقه فيأتي إلى من لا يعلم أنه لا يكذب، ويعلم أنه ليس بشاهد، ولا حضر قضيته، ويقول هذا يشهد لي، وهذا يشهد لي»[1]، فضلا أن يكون كاذباً في قضيته.

ثم لو كان كاذباً في دعواه لعمد أهل الكتاب إلى تكذيبها والنيل من النبي ﷺ، وهذا لم يحدث، بل تواتر إسلامهم وتصديقهم بتلك البشارات كما تقدم.

بل لا تزال بقايا لتلك البشارات موجودة إلى اليوم في كتبهم كما سبق في دلائل النبوة، إلا أن تكون البشارات هي أيضاً من وضع المسلمين!

السادس: تقرير المستشرق أن أتباع النبي ﷺ يجهلون تلك الكتب أيام بعثته يناقض ما جاء في الدائرة من استقاء النبي ﷺ من بعض أصحابه الذين لهم اطلاع على الكتب السابقة كزيد بن حارثة وتميم الداري، وإذا سلمنا بدعواه فما بال الكثير من أهل الكتاب يُسلمون منذ أيام الفتوحات إلى اليوم، وهم يُناقشون في تحريف كتبهم!

بل إن هذه الحقيقة التي أخبر بها النبي ﷺ، وهي تحريف كتبهم

(١) الجواب الصحيح لابن تيمية ٣ / ٢٩٢ بتصرف يسير.

هي أحد أسباب إيمانهم.

السابع: أتهم الكاتب النبي ﷺ بأنه ادعى تحريف كتبهم ليخرج من مأزق، وهذه الدعوى على افتقارها للأدلة، فإنه يكفي في بيان افتراء الكاتب وصدق سيد الخلق ﷺ إثبات تحريف تلك الكتب:

الأدلة على تحريف التوراة والإنجيل:

أولاً: إن هذه الكتب الموجودة كتبت بعد الأنبياء بفترة من الزمن تسرب إليها ذلك التحريف، قال الدكتور «سكندر هيدس»: ثبت لي بظهور الأدلة الخفية ثلاثة أمور جزماً:

الأول: أن التوراة ليست من تصنيف موسى «أي أنها كتبت بعده».

الثاني: أنها كتبت في كنعان أو أورشليم، يعني لم تكتب في عهد موسى الذي كان فيه بنو إسرائيل آنذاك في الصحارى.

الثالث: لا يثبت تأليفها إلا بعد خمسمائة سنة من وفاة موسى[1].

أما الأناجيل فلم تكتب إلا بعد وفاة المسيح عليه السلام بفترة بإقرار النصارى، وما تعددها إلا دليل ذلك.

ثانياً: إن أهل الكتاب لا يوجد عندهم سند موثوق لكتاب من

---

(١) إظهار الحق لرحمت الله الهندي ١/١١٦، ربما قصد بالأدلة الخفية: أي غير الشائعة عندهم، أي ما يكتمونه، كما أننا نؤمن أن التوراة من عند الله تعالى، وليس من تصنيف بشر، وأن المحرفة طالها التحريف بعد موسى عليه السلام.

كتب العهد العتيق والجديد، وقد ساق رحمت الله الهندي[1] حال كتبهم واحداً واحداً ليثبت هذا الأمر[2]، وفي مناظرته المشهورة مع أحد القسيسين اعتذر القسيس عن عدم وجود أسانيد موثوقة لقوله: «إن سبب فقدان السند عندنا وقوع المصائب والفتن على المسيحيين إلى مدة ثلاثمائة وثلاث عشرة سنة»[3].

واتصال السند شرط عند المسلمين ليس في قبول الأحاديث النبوية فحسب، بل حتى أقوال الصحابة التي تخضع أسانيدها للدراسة والتمحيص.

ثالثاً: إن أصول بعض الأناجيل المعتبرة مثل إنجيل متَّى كانت باللسان العبراني، ولا يوجد منها الآن سوى ترجمة لها، وهذه الترجمة تُفقد الكتب كثيراً من قيمتها، وذلك لعدم معرفة سند الترجمة، بل لا يعلم اسم المترجم فضلاً عن معرفة أحواله إلى هذا الحين كما اعترف به «جيرم»[4] وهو من أفاضل قدمائهم لديهم[5].

---

(١) محمد رحمت الله بن خليل الهندي ١٢٣٣ - ١٣٠٨هـ ولد ونشأ بالهند واشترك في الثورة ضد الإنجليز، وبعد فشل الثورة طرد فانتقل واستقر بمكة ودرس بالمسجد الحرام إلى أن توفي. اشتهر بردوده على النصارى ومناظرته المشهورة مع القس فندر. (انظر مقدمة إظهار الحق للمحقق ١٥ - ١٧).

(٢) إظهار الحق ١/١١٢ - ١٦٧.

(٣) إظهار الحق ١/١١١.

(٤) هيرونيموس ويعرف باسم القديس جيرم ٣٤٨ - ٤٢٠م وتلقى العلم المسيحي على كبار العلماء في روما حتى غدا من كبار لاهوتي الكنيسة، ومن أبرز أعماله مراجعة وترجمة الإنجيل إلى اللاتينية (انظر إظهار الحق ١/١٠٦ هامش المحقق).

(٥) إظهار الحق لرحمت الله الهندي ١/١٥١.

رابعاً: وقوع التصريح من علماء أهل الكتاب بالشك في بعض نصوص كتبهم، وقد صرح «جيرم» في كتبه: أن بعض العلماء المتقدمين كانوا يشكون في الإصحاح الأخير من إنجيل مرقس، وبعض القدماء كانوا يشكون في بعض الآيات من الإصحاح الثاني والعشرين من إنجيل لوقا، وبعض القدماء كانوا يشكون في الإصحاحين الأولين من هذا الإنجيل[1].

وقال «هورن»[2]: الحالات التي وصلت إلينا في باب زمان تأليف الإنجيل من قدماء مؤرخي الكنيسة ناقصة، ولا توصلنا إلى أمر معين، ومشايخ القدماء الأولون صدقوا الروايات الواهية وكتبوها، وقبل الذين جاءوا من بعدهم كتاباتهم تعظيماً لهم، وهذه الروايات الصادقة والكاذبة وصلت من كاتب إلى كاتب آخر، وتعذر تنقيحها بعد انقضاء المدة[3].

خامساً: الأغلاط الموجودة في العهدين القديم والجديد وقد أُحصي منها سبعة وثلاثون غلطاً في العهد القديم، وثلاثة وسبعون غلطاً في العهد الجديد[4].

---

(١) إظهار الحق لرحمت الله الهندي ١/١٥٣.

(٢) محقق ومفسر للكتب المقدسة عندهم.

(٣) إظهار الحق لرحمت الله الهندي ١/١٥٧، نقلاً عن تفسير هورن المطبوع سنة ١٨٢٢ الباب الثاني من القسم الثاني من المجلد الرابع.

(٤) اظهار الحق ٢/٢٥٧ – ٣٥٢.

ومن أمثلة الأغلاط في العهد القديم، ما ورد: (إن إقامة بني إسرائيل في مصر كانت أربعمائة وثلاثين سنة)[1].

وقد أقر مفسروهم ومؤرخوهم أنه غلط.

ومن أغلاط العهد الجديد ما ورد: (ليس أحد صعد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء ابن الله في السماء)[2].

وهذا أيضاً عندهم غلط؛ لأن أخنوخ وإيلياء[3] رُفِعا إلى السماء وصعدا إليها كما هو موجود في العهد القديم[4].

والله يتنزه عن النقص والغلط، بل حتى أنبياؤه لا يُقرون على مثل هذا.

سادساً: التناقضات الموجودة في هذه الكتب والتي يستحيل التوفيق بينها، وقد أُحصي خمسة وأربعون تناقضاً في العهد القديم، وتسعة وسبعون تناقضاً في العهد الجديد[5].

---

(١) سفر الخروج ١٢/ ٤٠.

(٢) يوحنا ٣/١٣.

(٣) أخنوخ السابع بعد آدم بن يارد وأبو متوشالح ينسب إليه علم الفلك ويُذكر أنه صعد إلى السماء قرابة مائتي سنة، أما إيلياء فهو نبي من العبرانيين اعترفت به الكنائس الشرقية والغربية ويعرف عند الشرقيين باسم «إلياس». (انظر دائرة المعارف، بطرس البستاني ٢/٦٣٩، ٤/٧٩٤، دار المعرفة بيروت ١٩٩١م).

(٤) سفر التكوين ٥/٢٣ - ٢٤، سفر الملوك الثاني ٢/ ١١.

(٥) اظهار الحق ١/١٦٨ - ٢٥٥.

ومن أمثلة التناقضات في العهد القديم ما جاء في سفر الملوك: (كان يواخين يوم مَلَك ابن ثماني عشرة سنة)[1]، بينما في السفر الثاني: (ابن ثماني سنين كان يواخين حين ملك)[2].

ومن تناقضات العهد الجديد، التناقض السافر في نسب المسيح، فالناظر في شجرة الأنساب في أول إنجيل «متّى» يتبين له أن عيسى من أولاد سليمان بن داود، ولكن إذ نُظِر إلى النسب نفسه في الفصل الثالث من «لوقا» ظهر أنه من أولاد ناثان بن داود.

والاختلاف والتناقض لا يكون في كلام الله مطلقاً، وصدق الله في وصف القرآن: ﴿ **وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا** ﴾[3].

وقد أخبر الله في القرآن بوقوع التحريف في الكتب السابقة في آيات عديدة، منها قول الحق سبحانه: ﴿ **مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ** ﴾[4].

وقوله سبحانه مخاطباً المؤمنين مبيناً حال المعرضين من أهل الكتاب: ﴿ **أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾[5].

---

(١) سفر الملوك ٢٤/٨.

(٢) السفر الثاني ٣٦/٩.

(٣) النساء ٨٢.

(٤) النساء ٤٦.

(٥) البقرة ٧٥.

وقوله عز وجل ذاماً المحرفين من أهل الكتاب: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾[1].

وهذا في حد ذاته كافٍ لإثبات التحريف، إذ ثبت إعجاز القرآن، وأنه من عند الله.

المسألة الثانية: إنكار إرهاصات نبوته ﷺ:

يحرص كُتّاب الدائرة على إنكار إرهاصات النبوة، وهي: الدلائل على نبوته والمتقدمة على بعثته.

ومن ذلك ما جاء في الدائرة: (ويجب ألا نحفل بالقصة الواردة في كتاب الطبري «١/ ١٠٧٩» عن فاطمة بنت مر كاهنة تبالة[2] التي شاهدت نوراً سماوياً يتلألأ على وجه عبد الله بن عبد المطلب والد النبي)[3].

وفي مادة آمنة أم النبي ﷺ جاء في الدائرة: (وهذا لا يعني التسليم بالقصص المتصل بحملها، كزعمها حين قالت: إنها رأت نوراً خرج منها أضاء قصور بصرى بالشام)[4].

---

(١) البقرة ٧٩.

(٢) تبالة أرض لخشعم إلى الشرق من مكة جهة نجد.

(٣) الدائرة ١٦/ ٥٠٢، خشعم، دلافيدا.

(٤) الدائرة ١/ ١٠٨، آمنة، مونتقمري وات.

كما جاء في مادة حليمة مرضعة النبي ﷺ: (وعلى ذلك فإن القصة كلها - قصة النبي ﷺ في بني سعد وشق الصدر - إنما هي من قبيل قصة الطفولة الواردة في الإنجيل كان الباعث عليها كما يدل على ذلك سياق القصة: أن كل نبي حق يجب أن يكون قد رعى الغنم مرة... أما قصة تطهير الصدر التي قالت روايات أخرى إنها وقعت في زمن آخر غير هذا الزمن فالظاهر أنها لا تعدو أن تكن تجسيماً للآية الأولى من سورة ألم نشرح)[1].

قلت: الجواب من وجوه:

الأول: أن تلك الروايات كغيرها يجب التحقق من صحتها بالنظر في أسانيدها ومتونها، وليس مقصود علماء المسلمين تصحيحها لكونها دالَّة على صدق النبي ﷺ إذ ذلك مخالف للمنهج العلمي والتحقيق الموضوعي، بل يتحققون بتجرد من صحتها أو ضعفها.

وهذا المستشرق لم يدرس تلك الروايات دراسة موضوعية؛ وإنما سعى إلى التكذيب بالجميع، من غير تفريق بين ما ثبت منها وما لم يثبت، وما ذاك إلا لأن فيها دلالات صدق النبي ﷺ.

الثاني: علل المستشرق كذب بعض تلك الروايات حسب زعمه بما يلي:

(١) الدائرة ١٥/ ٣٨٧ - ٣٨٨، حليمة، بول.

قصة النبي ﷺ في طفولته من قبيل قصة الطفولة الواردة في الإنجيل، أي أن تلك القصة موضوعة تقليداً لقصة عيسى في الإنجيل، ويقول: إن الباعث لوضع تلك القصة واضح من سياقها، وهو: أن كل نبي يجب أن يكون رعى الغنم.

وأن حادثة شق الصدر تجسيد لسورة ألم نشرح لك صدرك.

وهذه دعوى مفتقرة إلى برهان: ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[1].

إن رعي الأنبياء ومنهم النبي محمد ﷺ للغنم ثابت في الصحيحين لا إشكال فيه[2].

وحادثة شق الصدر ثابتة في صحيح مسلم: (عن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل ﷺ وهو يلعب مع الغلمان. فأخذه فصرعه فشق عن قلبه: فاستخرج القلب. فاستخرج منه علقة، فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثُمَّ لأَمَهُ[3]، ثم أعاده في مكانه. وجاء الغلمان يسعون إلى أمه «يعني ظئره»، فقالوا: إن محمداً قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون. قال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره)[4]، كما ثبتت حادثة

(١) البقرة ١١١.

(٢) البخاري أحاديث الأنبياء ٢٩، مسلم الأشربة ١٦٣.

(٣) أي جمعه بعضه إلى بعض.

(٤) مسلم الإيمان ١٦٢.

شق الصدر عند بعثته ﷺ[1]، ومرة ثالثة بعد البعثة قبيل الإسراء[2].

وحكمة ذلك كما ذكره ابن حجر: «أن الشق الأول: لينشأ على أكمل الأحوال من العصمة من الشيطان، والثاني: زيادة في إكرامه ليتلقى ما يُوحى إليه بقلب قوي في أكمل الأحوال من التطهير، والثالث: ليتأهب للمناجاة حال الإسراء، ... وجميع ما ورد من شق الصدر واستخراج القلب وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة مما يجب التسليم له»[3].

الثالث: كذَّب الكاتب بالرواية التي فيها: أن آمنة رأت نوراً حين وضعته أضاء قصور بصرى من أرض الشام.

وهذه الرواية ثابتة بأسانيد صحيحة وحسان[4].

---

(١) دلائل النبوة، لأبي نعيم ١/٦٩، قال ابن حجر: وثبت شق الصدر أيضاً عند البعثة كما أخرجه أبو نعيم في الدلائل. الفتح ٧/٢٠٤، مناقب الأنصار ٤٢.

(٢) البخاري مناقب الأنصار ٤٢، مسلم الإيمان ١٦٣.

(٣) الفتح ٧/٢٠٥، مناقب الأنصار ٤٢.

(٤) حيث رواها ابن اسحاق في السيرة النبوية ١/١٤٦، والإمام أحمد ٤/١٨٤ – ١٨٥، والحاكم وصححها ووافقه الذهبي في المستدرك ٢/٦٠٠، ٦١٦، كما حسنها ابن كثير في السيرة النبوية له ١/٢٢٩، والهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي ٨/٢٢٢، تحرير العراقي وابن حجر، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦، والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ١/١٠٣ ح ٣٧٣، وأكرم ضياء العمري في السيرة النبوية الصحيحة ١/١٠١، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة – ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

المسألة الثالثة: إنكار معجزاته ﷺ:

نجد الحرص من كُتَّاب الدائرة على إنكار معجزات النبي ﷺ، ومن ذلك ما جاء في الدائرة في مادة السحر: (ولم يُظهِر النبي عليه السلام آية أخرى - أي غير القرآن - تدل على أنه ساحر، وهو لم يكن ممن يصنعون العجائب كموسى وسليمان وعيسى... وجاء في الآية ٣ من سورة الأنبياء أنه لم يأت بآية من هذا القبيل)(١).

كما جاء فيها أن البراق الذي حمل النبي ﷺ إلى بيت المقدس حيوان خرافي، والقصة أسطورة منتشرة(٢).

قلت: الجواب من وجوه:

الأول: إذا كان انتفاء المعجزة طعناً في نبوته ﷺ، فإنني أتساءل عن معجزة يوحنا(٣) الذي يقرون بنبوته: (يوحنا كان يعد عند جميعهم نبياً)(٤)، حيث جاء التصريح بأنه ليس له معجزة في كتبهم: (فأتى إليه كثيرون وقالوا إن يوحنا لم يعمل آية)(٥).

الثاني: إن ثبوت معجزة القرآن كافٍ لإثبات نبوته ﷺ، فإن تلك المعجزة تتوافر فيها البراهين القاطعة بصحة ما جاء به ﷺ، ولاشتمالها

(١) الدائرة، الأولى ١١/٣١٠، سحر، ماكدونالد.

(٢) الدائرة ٦/٥٣٨، براق، كارده فو.

(٣) يطلقون اسم يوحنا على يحيى عليه السلام.

(٤) متى ٢١/٢٦.

(٥) يوحنا ١٠/٤١.

على معجزات أخرى متنوعة. وإني أُلزم الكاتب بإقراره بتلك المعجزة، ومن ثم الإيمان بنبوته ﷺ.

الثالث: مادام الكاتب يريد المقارنة بين معجزات النبي ﷺ ومعجزات غيره من الأنبياء، فإننا نقبل ذلك ونطالبه بإثبات صحة ما يعتقده من معجزات أولاً، ونثبت له صحة معجزات نبينا ﷺ، ونطالبه حينئذ بالتفريق بين ما أثبت وما أنكر مع البون الشاسع في براهين ثبوت كل منهما.

لقد سبق إثبات معجزات النبي ﷺ في أول فصل من هذا الباب بما يغني عن الإعادة، وبينت ثبوت معجزات متواترة للنبي ﷺ غير القرآن كحادث الإسراء، وإخباره ﷺ بالمغيبات، وحنين الجذع لفراق النبي ﷺ، كما صح المئات من معجزاته ﷺ وثبتت أكثر من ثبوت آيات موسى وعيسى التي لم تُذكر في القرآن.

إن أثبت مرجع بأيدينا اليوم يصح الاعتماد عليه لإثبات معجزات موسى وعيسى هو القرآن الكريم، فقد ثبت إعجازه، ونُقل متواتراً محفوظاً في السطور وفي الصدور.

وأما ما بأيديهم من الكتب فإن الاعتماد عليها وحدها لإثبات ذلك فيه نظر لعدة مآخذ في ثبوتها، كما سبق في المبحث السابق.

الرابع: الاستدلال بنفي الآيات بما جاء في سورة الأنبياء الآية الخامسة وليست الثالثة، وهي قول الله عز وجل يحكي قول المشركين

عن نبيه ﷺ: ﴿ **فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ** ﴾[1] على نفي المعجزات بالكلية؛ فإنه يدل على تعجل في الحكم، وعدم تدبر لسياق الآية، والآيات المشابهة لها.

ولا بد من بيان أنه ليس من الضرورة أن يستجيب الرسل لمقترحات القوم لا سيما إذا ظهر أنها من قبيل العناد واللجاج، وقد بيَّن الله أن أولئك المقترحين للآيات لن يؤمنوا عند مشاهدتها: ﴿ **وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ** ﴾[2].

وقد سأل بنو إسرائيل موسى بعض المعجزات فلم يجبهم – وليس في ذلك مطعن في نبوته – عليه السلام – كما قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ** ﴾[3].

وبحسب ما في العهد الجديد أن عيسى – عليه السلام – سُئل عن المعجزات فلم يجب سائليه: (فخرج الفرِّيسيُّون وجعلوا يباحثونه سائلين إياه آية من السماء لكي يجربوه، فتنهد في نفسه، وقال: ما بال هذا الجيل يطلب آية! الحق أقول لكم إنه لن يعطى هذا الجيل آية)[4].

---

(١) الأنبياء ٥.

(٢) الأنعام ٧.

(٣) البقرة ٥٥.

(٤) مرقس ٨/١١ – ١٢.

والمقصود من هذه الآية وأمثالها من الآيات الكريمة كما هو ظاهر لمن تدبر سياقها، وكما ذكره عامة المفسرين هي الآيات المقترحة من جنس ناقة صالح التي يعقبها عذاب الاستئصال عند جحودها.

وقد ذكر الله السبب في عدم إرسال ذلك الجنس من الآيات بقوله سبحانه: ﴿ **وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفًا** ﴾[1].

وقد جاء بعد آية الأنبياء مباشرة ما يدل على أنه ليس في مصلحتهم أن تأتي آية من هذا القبيل حيث إنها لم تنفع الأولين حيث كذبوا بها فأعقبها العذاب: ﴿ **مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ** ﴾[2].

الخامس: فيما يتعلق بالبُراق الذي حمل النبي ﷺ ليلة الإسراء فهو أيضاً ثابت في الصحيحين[3]. ولونه أبيض، وهو فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه، وليس حيواناً أسطورياً، بل هو حقيقة ثابتة.

وإسراء النبي ﷺ ومعراجه مذكور في القرآن متواتر في السنة[4]، وليس أسطورة.

---

(١) الإسراء ٥٩.

(٢) الأنبياء ٦.

(٣) البخارى مناقب الأنصار ٤٢، مسلم الإيمان ١٦٢.

(٤) انظر ص ٣٧٣.

إن معجزات الأنبياء المماثلة لتلك المعجزة كناقة صالح، وكبش إسماعيل يجب الإيمان بها، ولا يضير كونها مخالفة للحيوانات المعهودة، إذ بهذا المنهج يمكن إبطال معجزات نبوَّة كافة الأنبياء.

المطلب الثاني: الطعن في القرآن الكريم:

يحرص المستشرقون بكل طريق للطعن في القرآن الكريم؛ لأن الطعن فيه كافٍ لنفي نبوة النبي ﷺ، وهدم دين الإسلام بالكلية، فهو الوحي المنزل، وهو المعجزة الباقية، وهو المصدر الأول للتشريع الإسلامي.

لذا حرص أولئك منذ القدم على الطعن فيه وتشويهه، ولعل أقدم ترجمة استشراقية للقرآن في العصور الوسطى هي ترجمته إلى اللغة اللاتينية، وهي الترجمة التي قام بها رجل إنجليزي اسمه «روبرت أوف كيتون»، وعاونه فيها ألماني أسمه «هرفان أول دالماتيا»، وتمت الترجمة في يولية (١١٤٣م).

وكانت هذه الترجمة برعاية وتشجيع رجل من كبار رجال الدين المسيحي في القرون الوسطى وهو «بطرس المحترم»[(١)]، وقد أجزل بطرس العطاء للمترجمين تقديراً لجهودهم في إنجاز الترجمة.

وقد قرر المستشرق المنصر صمويل زويمر أن هذه الترجمة تمت

---

(١) بطرس المحترم راهب لاهوتي فرنسي، تدرج في الرهبنة حتى أصبح رئيساً لدير كلوني في فرنسا، وهو أشهر دير في أوروبا، وله فروع كثيرة في أنحاء أوربا توفي سنة ١١٥٦م. (انظر رؤية إسلامية للاستشراق لأحمد غراب ٥٤).

بدافع تنصيري، وتحت تأثير الروح التنصيرية لدى بطرس المحترم.

وكانت هذه الترجمة رديئة إلى أبعد حد، حتى وصفها جورج سيل[1] بأنها لا تستحق أن تسمى «ترجمة» لما فيها من الأخطاء التي لا تحصى[2].

ثم تتابع طعنهم في القرآن الكريم في الكتب والمجلات الاستشراقية، وقد ردد المستشرقون في الدائرة غالب تلك المطاعن، وسأتناول ذلك في المسائل الآتية:

المسألة الأولى: الطعن في الوحي:

جاء في الدائرة محاولات لتفسير الوحي بالسحر أو بحالة نفسية تنتاب النبي ﷺ، أو دخول ما ليس منه فيه من غير شعور النبي ﷺ بذلك، أو نسيان النبي ﷺ لبعض منه.

ومن ذلك ما جاء في مادة السحر في الدائرة: (ونخرج من هذا بأن

---

(١) جورج سيل (١٦٩٧ - ١٧٣٦م) مستشرق إنجليزي درس القانون وعمل في المحاماة، اشتد اهتمامه بالإسلام فدرس اللغة العربية، وترجم القرآن الكريم إلى الإنجليزية، وهي من أشهر ترجمات القرآن الاستشراقية إلى اليوم، وقد أعيد نشرها ثلاثين مرة، وكانت بغرض تسليح النصارى البروتستانت في حربهم التنصيرية ضد المسلمين كما صرح بذلك مؤلفها في مقدمة الترجمة. (انظر المستشرقون لعقيقي ٢/٤٧، ورؤية إسلامية للاستشراق لأحمد غراب ٣٥).

(٢) رؤية إسلامية للاستشراق لأحمد غراب ٣٢، نقلاً عن منتقمري وات في كتابه تأثير الإسلام في أوروبا ٧٣، ٨٣، ومن مقال لزويمر في مجلة العالم الإسلامي العدد الخامس (١٩١٣م) بعنوان ترجمة القرآن ٢٩٥، وكلاهما باللغة الإنجليزية.

السحر لا بد وأنه كان مرتبطاً بالأسلوب الذي نزل به الوحي. ويؤكد المكِّيُّون بحسب الآية الخامسة من سورة الأنبياء أن الوحي هو أضغاث أحلام، زد على ذلك أن ثمة آية في القرآن تدل على أن الوحي كان في بعض الأحيان يأتي فيما نسميه نحن الآن «الكلام التلقائي». وقد نهي النبي عن تحريك لسانه بالوحي ليعجل به. أي أنه أُمر بأن يستمع له وينصت، فإذا انطلق قرأه النبي عليه السلام.

وفي الآية ١٠١ من سور المائدة حذر الحاضرون والمستمعون للنبي حين ينزل عليه الوحي أن يسألوه فجأة عن أشياء، ذلك أنه في حالة هذا الكلام التلقائي سيجيبهم بلا ريب ويقول لهم الصدق الذي يسوؤهم.

ويمكن للقارئ أن يرجع إلى جملة أحاديث بهذا المعنى في تفسير الطبري ٧/٤٨ - ٥٢، كما يستطيع أن يجد قولاً صريحاً في ذلك في البيضاوي ١/٢٧٥...

وقد سلَّم الإسلام تسليماً كاملاً بهذه الظاهرة - الكلام التلقائي - ووصفها.

ويتضح لنا من ذلك أن فهم هذه الآيات القرآنية يقتضينا أن نجمع بين المعنى الظاهر لنص القرآن وما نعرفه من علم النفس الذي يبحث في الخوارق)[١].

---

(١) الدائرة، الأولى ١١/٣١٠ - ٣١٣، السحر، ماكدونالد.

كما جاء أيضاً: (إن أول مصادر الشرع في الإسلام وأكثرها قيمة هو الكتاب، وليس هناك شك في قطعي ثبوته، وتنزهه عن الخطأ، على الرغم من إمكان سعي الشيطان لتخليطه [الحج ٥١][1]، كما أنه ليس من شك أيضاً في أنه وصل إلينا من غير تحريف على الرغم من نسيان الرسول لعدة من آيات الكتاب [البقرة ١٠٠، الأعلى ٦][2]).

قلت: الجواب من وجوه:

الأول: متى كان كلام الكفار المكذبين بالرسالة حجة عليها؟!

إن الدعاية التي يصنعها أعداء الرسل لتشويه رسالتهم هي محض كذب وافتراء لا يجوز الاعتماد عليها في حقائق علمية، بل إن الدعايات المغرضة لعامة الدعوات هي كذلك.

الثاني: أن قائل هذا الكلام لا يستقيم كلامه وهو يؤمن برسالة أو رسول؛ إذ كافة الأنبياء قيل لهم مثل هذا فموسى وعيسى كلاهما اتهما بالسحر، وهو لا شك اتهام باطل.

الثالث: إذا أراد المؤلف أن يربط بين الوحي والسحر، أو بينه وبين أضغاث الأحلام لمجرد اتهام المشركين للنبي ﷺ بذلك؛ فعليه أيضاً أن يربط بين جميع ما قالوه من متناقضات، ومن ذلك:

قالوا إنه ساحر: ﴿**وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ**﴾[3].

(١) الحج ٥٣، وليس ٥١ كما أشار.

(٢) الدائرة ٣/٤٨٣ - ٤٨٧، أصول، شاخت.

(٣) سورة ص ٤.

وقالوا إنه شاعر: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾[1].

وقالوا إنه مجنون: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾[2].

وقالوا إنه كاهن: ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[3].

وقالوا أضغاث أحلام: ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾[4].

وصدق الله فيهم حيث قال: ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ (٨) يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ (٩) قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾[5].

وقد كان المشركون مقرين في نفوسهم وفيما بينهم بصدق النبي ﷺ، وأنه ليس بساحر أو كذاب...، ولكن يرمونه بالألفاظ الشنيعة ظلماً وتكبراً مثل ما كان فرعون وملأه يعلمون صدق موسى - عليه السلام - ويظهرون تكذيبه: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[6].

ومما يدل على إقرار المشركين بصدق النبي ﷺ فيما يخبر به: أن أُمية بن خلف لمّا أُخبر بأن النبي ﷺ يذكر أن المسلمين سيقتلونه،

---

(١) الطور ٣٠.
(٢) الحجر ٦.
(٣) الحاقة ٤٢.
(٤) الأنبياء ٥.
(٥) الذاريات ٨ - ١٠.
(٦) النمل ١٤.

قال: «فوالله ما يكذب محمد إذا حدَّث»، فأراد ألا يخرج في بدر، حتى حرضه أبو جهل فخرج فقُتِل هناك[١].

الرابع: لم يثبت أن المشركين في مكة شاهدوا نزول الوحي على النبي ﷺ حتى يعتمد الكاتب كلامهم في الوحي؛ وإنما كان كلامهم حول القرآن الكريم الذي يسمعونه من النبي ﷺ، ويرون تأثيره على الناس.

الخامس: تحدث الكاتب عن كيفية الوحي ولم يعرج على ما ثبت في طرق الوحي وكيفية إتيانه للنبي ﷺ، وقد أخبر بها النبي ﷺ وشاهدها أصحابه، وبوِّبت في المصنفات العلمية، وهي مفيدة للعلم؛ بخلاف افتراءات المشركين المملوءة بالحقد والهوى والجهل.

ومما ثبت في طرق إتيان الوحي للنبي ﷺ، وكيفيته ما يلي:

- ما ثبت في الصحيحين عن عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - أن الحارث بن هشام سأل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: (أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشدُّه عليَّ، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي المَلَكُ رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول)[٢].

- قول عائشة - رضي الله عنها -: «ولقد رأيته ينزل عليه الوحي

(١) البخاري المناقب ٢٥.

(٢) البخاري بدء الوحي ٢، مسلم الفضائل ٨٦ - ٨٧.

في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه، وإن جبينه ليتفصّد عرقاً»[1].

– قول عبادة بن الصامت – رضي الله عنه – : «كان نبي الله ﷺ إذا أُنزل عليه الوحي كرب لذلك وتربد وجهه»[2].

وفي رواية أخرى عنه: «كان النبي ﷺ إذا أُنزل عليه الوحي نكس رأسه ونكس أصحابه رؤوسهم»[3].

السادس: لا صلة للكلام التلقائي الذي يتكلمه المتكلم من غير شعور، بالوحي الإلهي، وليس هناك آية في القرآن تدل على مراده كما يزعم، بل هو محض كذب وافتراء على القرآن لفَّقه ذلك المستشرق.

والآية التي يحتج بها على زعمه هي قول الله عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿**لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ**﴾[4].

وقد كان النبي ﷺ يستعجل بالقرآن خوفاً من تفلته، وحرصاً منه على حفظه، فنهاه الله عن ذلك متكفلاً سبحانه وتعالى بحفظه بدليل الآيات التي تليها: ﴿**لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (16) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (18) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ**﴾[5].

ومراد المستشرق أن النبي ﷺ يتكلم بما يظن هو أنه وحي، ولكنه كلام تلقائي ناتج عن حالة نفسية.

---

(١) البخاري بدء الوحي ٢، مسلم الفضائل ٨٦ – ٨٧.

(٢) مسلم الفضائل ٨٨.

(٣) مسلم الفضائل ٨٩.

(٤) القيامة ١٦.

(٥) القيامة ١٦ – ١٩.

وإن أي عاقل منصف يعلم أن هذا الكتاب المعجز والدين العظيم بتشريعاته العادلة، والذي أخرج أُمَّةً فتحت الدنيا يستحيل أن يكون نتيجة هذيان متكلم بما لا يشعر، ولكن الحقد والحسد يصنعان الغرائب.

السابع: الآية التي احتج بها في سورة المائدة، وهي قوله سبحانه: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ** ﴾[1] لا يجوز أن ينسب لها الكلام التلقائي الذي افتراه المستشرق على النبي ﷺ، مما يوهم القارئ للدائرة أنها دالة عليه، وإنما أُنزلت للنهي عن كثرة المسائل فيما لا فائدة فيه، إذ قد يأتي الجواب بما يكرهه السائل حيث جاء في الصحيحين في سبب نزول الآية: «أن رجلاً سأل النبي ﷺ من أبي؟ فقال أبوك فلان، فنزلت هذه الآية»[2].

وقال الحسن في هذه الآية: «سألوا النبي ﷺ عن أمور الجاهلية التي عفا الله عنها، ولا وجه للسؤال عما عفا الله عنه»[3].

وعن ابن عباس: «أنها نزلت في قوم سألوا رسول الله ﷺ عن البَحِيرَة والسائبة والوصيلة والحام»[4].

فالآية لا علاقة لها بالكلام التلقائي، والمقصود بقوله تعالى:

---

(١) المائدة ١٠١.

(٢) البخاري التفسير المائدة ١٢، مسلم الفضائل ١٣٤.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٦/ ٣٣١.

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٦/ ٣٣١.

﴿ حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ ﴾ أي: وقت البعثة عموماً إذ هي زمان نزول القرآن.

وثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: (إن أعظم المسلمين في المسلمين جرماً من سأل عن شيء لم يحرم، فحرم من أجل مسألته)[1].

وهذا عقوبة لكثرة الأسئلة المتكلفة، كسؤال أصحاب البقرة من بني إسرائيل عندما أكثروا منها، فشدد عليهم في الوصف حتى لم يجدوا إلا بقرة واحدة تناسب ذلك الوصف بعد مشقة شديدة، فاشتروها بأغلى الأثمان، ولو أنهم ذبحوا أي بقرة قبل مساءلتهم لكفتهم، والله أعلم.

الثامن: في كلام الكاتب تلبيس إن لم يكن كذب، حيث إنه يذكر المرجع كتب التفسير فيظن القارئ أن تلك المعلومات منها، بينما الأمر ليس كذلك، إذ أن ما ذكره استنتاج منه بعد اطلاعه على تلك الكتب، وفرق شاسع بين الاثنين.

فلا يدل ما في تفسير الطبري على مراده، وقد جاء في تفسير الطبري لهذه الآية: «هذه الآية أُنزلت على رسول الله ﷺ بسبب مسائل كان يسألها إياه أقوام امتحاناً له أحياناً، واستهزاء أحياناً، يقول بعضهم: من أبي؟ ويقول بعضهم: إذا ضلت ناقته أين ناقتي؟ ثم ساق بعض الروايات شبيهة بما ذكرت سابقاً في سبب نزولها، ومنها: «أنهم سألوا النبي ﷺ حتى أكثروا عليه، فقام خطيباً، فقال: سلوني، فوالله

---

(١) البخاري الاعتصام ٣ من غير «في المسلمين»، مسلم الفضائل ١٣٢.

لا تسألوني عن شيء ما دمت في مقامي هذا إلا حدثتكم، فقام رجل فقال: من أبي؟ قال: أبوك حذافة. واشتد غضبه وقال: سلوني. فلما رأى الناس ذلك كثُرَ بكاؤهم، فجثا عمر على ركبتيه، وقال: رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولاً»[1].

وليس في البيضاوي أيضاً ما يدل على كلامه، ونص كلام البيضاوي عن الآية: «والمعنى: لا تسألوا رسول الله ﷺ عن أشياء إن تظهر لكم تغمكم، وإن تسألوا عنها في زمان الوحي تظهر لكم، وهما كمقدمتين تُنتِجان ما يمنع السؤال، وهو أنه مما يغمهم، والعاقل لا يفعل ما يغمه» ثم ذكر أسباب النزول من مساءلة بعض الصحابة لرسول الله ﷺ[2].

فليس في هذا مبرر لقوله في إلصاق الكلام التلقائي بالوحي الالهي: «كما يستطيع أن يجد قولاً صريحاً في ذلك في البيضاوي».

كما أن قول المستشرق: «وقد سلَّم الإسلام تسليماً كاملاً بهذه الظاهرة – الكلام التلقائي – ووصفها» مجانب للموضوعية.

---

(١) تفسير الطبري ٧ / ٥٢، المائدة ١٠١.

(٢) تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، محمد بن عمر البيضاوي ضمن كتاب مجموعة من التفاسير البيضاوي والنسفي والخازن وابن عباس ٢ / ٣٥٦، دار إحياء التراث العربي، بيروت، مصورة على الطبعة الأولى بالمطبعة العامرة ١٣١٧هـ.

التاسع: سعي الشيطان لتخليط القرآن محاولة فاشلة من الشيطان، وقد دلت الآية التي أشار إليها لهذا المعنى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾(١).

والآية ليست فقط في القرآن بل عامة لجميع المرسلين، ولكن الله ينسخ ما يلقي الشيطان فلا يكون له أثر؛ لأنه سبحانه عصم الأنبياء في بلاغ رسالاته.

العاشر: الآيات التي ذكرها لا تدل على نسيان الرسول ﷺ لآيات من القرآن، فآية الأعلى وهي قوله سبحانه: ﴿ **سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ** ﴾(٢) [الأعلى: ٦] هي دليل على عدم النسيان لا النسيان، حيث إنها مبشرة لنبيه ﷺ حيث جاءت خبراً لا نهياً، قال القرطبي: «هذه بشرى من الله تعالى، بشره بأن أعطاه آية بينة، وهي أن يقرأ عليه جبريل ما يقرأ عليه من الوحي، وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب، فيحفظه ولا ينساه»(٣).

وقوله سبحانه: ﴿ **إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ** ﴾(٤) لها تأويلان:

---

(١) الحج ٥٢.
(٢) الأعلى ٦.
(٣) الجامع للقرطبي ٢٠/١٨.
(٤) الأعلى ٧.

الأول: أن الله لم يشأ أن ينسى نبيه شيئاً.

والثاني: ما يحصل من نسخ التلاوة[1].

وعلى فرض أن الآية تفيد النهي؛ فإنها أيضاً لا تدل على ما أراد، حيث أن النهي يفيد الاستمرار والحرص مثل قوله تعالى لموسى وهارون: ﴿**اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي**﴾[2].

فالآية دالة على حفظ كتاب الله في كل الأحوال.

وآية البقرة المُشار إليها، وهي قوله سبحانه: ﴿**أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾[3] لا تدل على المقصود من قريب أو بعيد، ولعله أراد قوله سبحانه: ﴿**مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا**﴾[4]، وسيأتي الكلام عن هذا النوع من النسخ في المسألة القادمة.

---

(١) الجامع للقرطبي ٢٠/١٨ – ١٩.

(٢) طه ٤٢.

(٣) البقرة ١٠٠.

(٤) البقرة ١٠٦.

المسألة الثانية: التشكيك في ثبوت القرآن:

جاء في الدائرة محاولات عدة للتشكيك في القرآن، أو في سور منه؛ وذلك لإنكار حجيته ومن ذلك:

جاء في مادة أبي بكر: (أما التأكيد بأنه هو الذي بدأ في جمع القرآن فلقد أصبح الآن مجانباً للصواب، إذ أن الرأي الغالب يرد ذلك إلى عمر)[1].

كما جاء أيضاً: (ويقال إنه كانت في القرآن في أول الأمر آية كالآية التي يعترف بها عمر بن الخطاب، وتسمى آية الرجم: [إذا زنى الشيخ والشيخة فارجموهما البتة نكالاً من الله]، ومن المستبعد أن تكون هذه الآية صحيحة، ومن البين أن الأحاديث المتعلقة بها، وذكر اسم عمر بصددها، كل ذلك لا يخلو من غرض، ومهما يكن من شيء، فإن الروايات التي تقول: إن النبي عليه السلام طبق حكم الرجم لهي أيضاً روايات غير جديرة بالثقة)[2].

كما جاء: (والقرآن المعتمد يحتوي على ١١٤ سورة؛ والسورة الأولى، والسورتان الأخيرتان ليستا إلا استعاذة ترتبط ببقية السور استهلالاً وخاتمة ارتباطاً واهناً، وهذا يتفق وما يقال: إنها لم ترد في نسخة القرآن التي جمعها ابن مسعود، وقد كان ثمة شيء من التسهيل في جمعه أول الأمر، مثال ذلك أن أُبّياً قد زاد سورتين على

(١) الدائرة ١/٤٣٢، أبو بكر، مونتقمري وات.

(٢) الدائرة الأولى ١٠/٤١٢، زنا، شاخت.

السـور المجمع عليهـا، وكذلك لـم يحدد ترتيب السـور ترتيباً دقيقاً)[1].

قلت: الجواب من وجوه:

الأول: ثبوت القرآن لا ريب فيه، فقد كان القرآن ينزل على رسول الله ﷺ فيأمر بكتابته على الفور، ويتلوه على أصحابه فيتبادرون إلى حفظه وتلاوته، وقد تواتر عنهم كثرة قراءتهم للقرآن؛ لأن تلاوته عبادة مأمور بها في الكتاب والسنة، وكان النبي ﷺ يقرأ عليهم آيات من القرآن كل يوم ثلاث مرات على الأقل في الصلوات الجهرية، ومع أن القرآن كان مكتوباً في عهد النبي ﷺ إلا أنه لم يجمع في مصحف واحد، وذلك لتتابع نزوله، ولاحتمال نسخ تلاوة آيات منه «فلما انقضى نزوله بوفاته ﷺ ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك وفاء لوعد الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة»[2].

فبعد وفاة النبي ﷺ ومقتل كثير من حفاظ القرآن في اليمامة خشي الصحابة على القرآن فأشار عمر على أبي بكر بجمعه، فكلف أبو بكر زيد بن ثابت[3] بجمعه، فتتبع الصحف التي كُتبت في عهد

---

(١) الدائر، الأولى ١٢ /٣٥٨، سورة، بول.

(٢) فتح الباري لابن حجر ٩ /١٢.

(٣) زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري الخزرجي حضر الخندق وما بعدها من الغزوات استأمنه الرسول ﷺ فأمره بتعلم السريانية لغة اليهود فتعلمها في سبعة عشر يوماً، كتب الوحي للنبي ﷺ، وكان من علماء الصحابة وفضلائهم وقد صح عنه ﷺ أنه قال: (أفرضكم زيد)، قال ابن عباس: «كان زيد من الراسخين في العلم» توفي سنة ٤٥هـ وقال أبو هريرة حين مات: «مات حبر هذه الأمة، وعسى الله أن يجعل في ابن عباس خلفاً». (انظر الإصابة لابن حجر ١ /٥٦١ - ٥٦٢).

النبي ﷺ، وكان يتوثق في ذلك، وكان العشرات من الصحابة يحفظونه عن ظهر قلب، ولكنه توثقاً منه كان يطلب إضافة إلى المحفوظ في الصدور شيئاً مما كتب في السطور في زمن النبي ﷺ، فكانت تلك الصحف عند أبي بكر ثم عمر ثم حفصة – رضي الله عن الجميع –[1].

فلما جاءت خلافة عثمان – رضي الله عنه – وتوسعت الفتوح، ودخل الناس في الإسلام بدأوا يختلفون في القراءة، فأفزع ذلك حذيفة – رضي الله عنه ، وكان في أرمينية وأذربيجان – فأشار على عثمان بجمع الناس على مصحف واحد؛ لأن بعض الصحابة قد دونوا مصاحف لهم، مضافة فيها بعض التفسيرات أو أسباب النزول، فجاء عثمان – رضي الله عنه – بالمصحف الذي جُمع في عهد أبي بكر رضي الله عنه من حفصة فأمر زيد بن ثابت وثلاثة من الصحابة بجمعه، ثم نسخه عدة نسخ ووزعه على الأمصار، وأحرق ما سواه من الصحف[2].

وكان الخلاف في القراءات بين أهل الأمصار وهي كلها حق، ولكن اختلافهم في كتابة المصحف جعل كل طائفة تتفاخر بما معها، فوحدهم عثمان على مصحف واحد فقُرئ به القراءات الثابتة عن النبي ﷺ، لذا لم تكن جميع القراءات متوافقة مع خط المصحف، وذلك امتثالاً لأمر عثمان.

---

(١) البخاري فضائل القرآن ٣، وانظر الإصابة لابن حجر ١ / ٥٦١.

(٢) البخاري فضائل القرآن ٣.

الثاني: أبو بكر هو الذي جمع القرآن بمشورة عمر كما تبين من العرض السابق، وقول المستشرق: إن الرأي الغالب يرد ذلك إلى عمر هو المجانب للصواب.

وكان من المفترض أن يُفصِّل في جمع القرآن ويذكر الأسباب، لا أن تُلقى التهم والشكوك.

وقد أراد المستشرق تأخير جمع القرآن إلى خلافة عمر بغرض التشكيك فيه حتى لا يكون جُمع بعد وفاة النبي ﷺ مباشرة.

الثالث: المصحف الذي جمعه أبو بكر وجمع عثمان الناس عليه هو الذي معنا اليوم، وليس كتاب في الدنيا كلها محفوظ ككتاب الله، فهو مسطر في السطور ومحفوظ بالتواتر في الصدور طوال أربعة عشر قرناً، لم يختلف المسلمون فيه، وليس مصحف آخر غيره، وليس عند أُبي أو أحد من الصحابة زيادة آيات فضلاً عن سور منه، ولم يصح شيء من ذلك.

فليس هناك مصحف معتمد، وآخر غير معتمد؛ بل هو مصحف واحد يؤمن به الجميع.

إلا أن الصحابة كانوا يكتبون تفسيرات لبعض الآيات أو أسباب النزول، وربما تركوا بعض السور لم يكتبوها، وكتابتهم لبعض السور دون البعض لا تنفي ما تُرك، وابن مسعود - رضي الله عنه - صحابي تلقى عنه الآلاف من التابعين، ولم يرد عنه إنكار تلك السورتين ولا غيرهما، وإنما أنكر إحراق عثمان لمصحفه، وذلك أن عثمان جمع الناس

على هذا المصحف، وأحرق ما عداه خشية اختلاف الناس، ومصحف ابن مسعود قد لا يكون كاملاً، كما أن فيه شروحا من عنده، فاحترازاً من عثمان – رضي الله عنه – لكتاب الله أن يدخله ما ليس منه من تفسيرات أو ينقص منه جمع الناس على المصحف.

فالقرآن متواتر بجميع سوره وحروفه، قال النووي: «أجمع المسلمون على أن المعوذتين والفاتحة وسائر السور المكتوبة في المصحف قرآن، وأن من جحد شيئاً منه كفر، وما نقل عن ابن مسعود في الفاتحة والمعوذتين باطل ليس بصحيح عنه»[1].

وقال ابن حزم فيما نقل عن ابن مسعود في الفاتحة والمعوذتين: «هذا كذب على ابن مسعود موضوع، وإنما صح عنه في قراءة عاصم عن زر عن ابن مسعود، وفيها الفاتحة والمعوذتان»[2].

وقد هال المحققين والمؤرخين شدة حفظ القرآن حتى أنَّ بعض كُتاب الدائرة على الرغم من طعنهم في كون القرآن من عند الله إلا أنهم لا يستطيعون إنكار قطعية ثبوته؛ حيث جاء عن الكاتب نفسه: (إن أول مصادر الشرع في الإسلام وأكثرها قيمة هو الكتاب، وليس هناك من شك في قطعية ثبوته، وتنزهه عن الخطأ)[3].

---

(١) المجموع شرح المهذب، يحيى بن شرف النووي ٣/٣٩٦، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دطت.

(٢) المجموع للنووي ٣/٣٩٦، نقلاً من أول كتابه المجاز.

(٣) الدائرة ٣/٤٨٣ – ٤٨٧، أصول، شاخت.

الرابع: سورة الفاتحة ليست مجرد استعاذة؛ بل هي تسمية بالله، وثناء عليه، وحمد له، وتمجيد له، وإقرار بالعبودية والتوحيد، وإثبات اليوم الآخر، وطلب الاستعانة، وسؤال الله الهداية، وتجنب سبيل المغضوب عليهم والضالين، يعلم هذا كل من له أدنى تأمل للسورة، إضافة إلى المعاني الكثيرة التي تظهر للمتدبر في آياتها.

قال ابن القيم في بيان سعة معانيها: «اعلم أن هذه السورة اشتملت على المطالب العالية أتم اشتمال، وتضمنتها أكمل تضمن، فاشتملت على التعريف بالمعبود – تبارك وتعالى – بثلاثة أسماء، مرجع الأسماء الحسنى والصفات العليا إليها، ومدارها عليها، وهي «الله، والرب، والرحمن» وبنيت السورة على الإلهية، والربوبية، والرحمة فـ«إياك نعبد» مبني على الإلهية، و«إياك نستعين» على الربوبية، وطلب الهداية إلى الصراط المستقيم بصفة الرحمة، والحمد يتضمن الأمور الثلاثة، فهو المحمود في إلهيته، وربوبيته....

وتضمنت إثبات المعاد، وجزاء العباد بأعمالهم، حسنها وسيئها، وتفرد الرب تعالى بالحكم إذ ذاك بين الخلائق، وكون حكمه بالعدل. وكل هذا تحت «مالك يوم الدين».

وتضمنت إثبات النبوات من جهات عديدة...، من قوله أهدنا الصراط المستقيم... ولا سبيل إلى البيان والدلالة إلا من جهة الرسل»[1].

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية ٧ – ٩، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م.

الخامس: الفاتحة لها ارتباط بسورة البقرة التي تليها حيث إن الفاتحة ختمت بدعاء الله الهداية للصراط المستقيم، والبقرة بدئت بذكر أوصاف المتقين السالكين للصراط المستقيم.

أما المعوذتان فترتبطان بما قبلهما، ذلك أنهما أتيتا بعد سورة الإخلاص التي فيها إثبات توحيد الله وتنزيهه عما لا يليق به فهي توحيد وثناء، والمعوذتان هما استعاذة ودعاء من الله عز وجل.

والتوحيد والثناء يسبق الدعاء كما ثبت ذلك في الكتاب والسنة، وموجودة بكتب أهل الكتاب التي بأيديهم اليوم.

ففي سورة الفاتحة ثناء وتوحيد ثم دعاء، وكذا في المؤمنون[1]، وغافر[2].

وفي كتبهم في العهد القديم يقول داود: «اللهم باسمك خلصني، وبجبروتك احكم لي، الله استمع صلاتي..»[3].

وفي العهد الجديد يعلم المسيح تلاميذه الدعاء: «وأنتم فصلوا هكذا: أبانا الذي في السموات ليتقدس اسمك. ليأت ملكوتك. لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض. خبزنا كفافنا أعطنا اليوم، واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن لمن أساء إلينا»[4].

---

(١) المؤمنون ٩٢ – ٩٤.

(٢) غافر ٧ – ٩.

(٣) سفر المزامير، المزمور الرابع والخمسون ١ – ٣.

(٤) متى الإصحاح ٦/ ٩ – ١٣.

السادس: ترتيب الآيات داخل السورة من فعل النبي ﷺ بوحي من الله تعالى.

قال القاضي عياض: «ولا خلاف أن ترتيب آيات كل سورة على ما هي عليه الآن في المصحف توقيف من الله تعالى، وعلى ذلك نقلته الأمة عن نبيها ﷺ»(١).

وأما ترتيب السور فهو اجتهادي عند جمهور العلماء(٢).

قال ابن حجر: «والخلاف في تأليف السور وقع في مصاحف الصحابة كمصحف ابن مسعود الذي يغاير تأليفه المصحف العثماني، ولا شك أن تأليف المصحف العثماني أكثر مناسبة من غيره»(٣).

ولو فُرض عدم ارتباط الفاتحة والمعوذتين ببقية السور فلا يُطعن في شيء منها؛ لأن كل سورة وحدة مستقلة مرتبة باجتهاد الصحابة على القول الراجح، فلا يتطلب الأرتباط الوثيق مع غيرها.

السابع: آية الرجم من الآيات المنسوخة تلاوة باقية الحكم حيث إن النسخ في القرآن على ثلاثة أنواع:

الأول: نسخ التلاوة وبقاء الحكم، ومثال ذلك الآية التي اعترض عليها المستشرق.

الثاني: نسخ الحكم وبقاء التلاوة كقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ

---

(١) فتح الباري ٩ / ٤٠ في فضائل القرآن ٦ باب تأليف القرآن.

(٢) فتح الباري ٩ / ٤٠ في فضائل القرآن ٦ باب تأليف القرآن.

(٣) فتح الباري ٩ / ٤٠ في فضائل القرآن ٦ باب تأليف القرآن.

مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ ﴾[1]، وقد نُسخت بقوله سبحانه: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾[2].

الثالث: ما نسخ تلاوة وحكماً فلا تجوز قراءته ولا العمل به كآية التحريم بعشر رضعات فنسخن بخمس[3].

وما نفاه الكاتب ثابت في الصحيحين حيث قال عمر على المنبر بمسمع من الصحابة: «إن الله بعث محمداً ﷺ بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل الله آية الرجم، فقرأناها ووعيناها وعقلناها»[4]، وفي رواية أخرى صحيحة قول عمر: «والذي نفسي بيده لولا أن يقول الناس زاد عمر بن الخطاب في كتاب الله تعالى لكتبتها: الشيخ والشيخة...»[5].

فلو لم يكن ما قاله عمر صحيحاً لأنكره الصحابة.

وعمر كسائر الصحابة يدرك نسخ هذه الآية، ولو كانت محكمة لأضافها.

---

(١) البقرة ٢٤٠. (٢) البقرة ٢٣٤.

(٣) البرهان في علوم القرآن، محمد بن عبد الله الزركشي ٢/٣٥ - ٣٩، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثانية دت.

(٤) البخاري الحدود ٣١، مسلم الحدود ١٥.

(٥) رواه مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب عن عمر الموطأ رقم ١٥٠١ ص ٥٩٢.

وفيما يتعلق بنفي ثبوت الرجم عن النبي ﷺ، فهو غير صحيح إذ ثبت بل تواتر ذلك عن النبي ﷺ[1].

وتردد اتهام الكتاب في الدائرة لأعلام الإسلام ومؤرخيه ورواة السنة بالغرض منبئ عن منهج القوم في إلقاء التهم المجملة لا سيما المتعلقة بالنوايا دون أي برهان.

المسألة الثالثة: ادعاء تناقض القرآن الكريم والنبي ﷺ:

جاء في الدائرة العديد من المواضع التي فيها وصف القرآن أو النبي ﷺ بالتناقض، وقد قسمتها إلى المقاطع الآتية:

المقطع الأول: دعوى أن هَمّ المفسرين إزالة تناقضات القرآن:

جاء في الدائرة: (وكان همّ المفسرين المتأخرين التخلص من المتناقضات العديدة الواردة في القرآن، والتي تصور لنا تدرج محمد في نبوته، إما بما عمدوا إليه من التوفيق فيما بينهما وإما بالاعتراف بأن الآيات المتأخرة تنسخ ما قبلها، وذلك في الحالات التي يشتد فيها التناقض بين تلك الآيات)[2].

والجواب على ما ذكره:

أولاً: أن المشركين الحريصين على أدنى خطأ أو زلة من النبي ﷺ اعترفوا بإعجاز القرآن الكريم وإحكام معانيه، ولو كان ثمة تناقض

(١) انظر ص ٥٧٠ – ٥٧١.

(٢) الدائرة، ٣/٤٩٠، أصول، شاخت.

لاحتجوا به على بطلان رسالته ﷺ.

وقد أمر المولى سبحانه الجميع بتدبره ليصلوا إلى معرفة شدة إحكامه، معلناً أنه لا إختلاف فيه: ﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا** ﴾[1].

ثانياً: لم يكن ذلك همّ المفسرين؛ وإنما كان همهم القيام بما يجب على العلماء من بيان لمعاني كلام الله بالاستعانة بمواضع أخرى من كتاب الله، ومن سنة نبيه ﷺ، ومن كلام الصحابة - رضي الله عنهم - ، ومن استنباط العلماء المتدبرين لكلام الله، المخصوصين بنصيب وافر من الفهم وسعة العلم[2].

ويدخل في ذلك الأصل إزالة ما يُتوهم أنه تعارض في كتاب الله لمن لم يتدبر معانيه، ويرد متشابهه إلى محكمه.

المقطع الثاني: دعوى التناقض في مسألة: هل أُرسل رسول إلى العرب قبل النبي ﷺ؟:

جاء في الدائرة: (ومما يستلفت النظر بالإضافة إلى ذلك أن قصتي صالح وهود تناقضان الدعوة المألوفة التي أتى بها محمد في سور العهد المكي من حيث إنه قال: إنه لم يرسل من قبله نبي إلى العرب) [القصص ٤٦، السجدة ٣، سبأ ٤٣، يس ٥[3]][4].

(١) النساء ٨٢.

(٢) انظر مقدمات كتب التفسير وعلى سبيل المثال ابن كثير والقرطبي، وغيرهما.

(٣) رقم آية سبأ ٤٤ وليس ٤٣، ورقم آية يس ٦ وليس ٥.

(٤) الدائرة، الأولى ١٤/١٠٧، صالح، بول.

قلت: الجواب على ذلك: أن قصة صالح وهود وردتا في العهد المكي متزامنتين مع الآيات التي أشار إليها الكاتب، وليس بينها تناقض؛ ذلك أن الآيات التي أشار إليها ليس فيها: أنه لم يبعث نبي قبل محمد ﷺ إلى العرب، وإنما إلى الأجيال السابقة لكفار مكة، فلا يحتج حينئذ بمعارضة ذلك برسالة صالح وهود، اللتين كانتا بعيدتي العهد عن تلك الأجيال.

وهذه الآيات التي استدل بها، ليس فيها ذكر العرب:

يقول سبحانه ممتناً على نبيه ﷺ بعد قصة موسى: ﴿ **وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ** ﴾[1].

ويقول سبحانه في تأكيد نبوة نبيه ﷺ: ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ** ﴾[2].

ويقول عز وجل في رده على كفار مكة: ﴿ **وَمَا آتَيْنَاهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ** ﴾[3].

ويقول سبحانه مبيناً حكمة بعثة نبيه ﷺ: ﴿ **لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ** ﴾[4].

---

(١) القصص ٤٦.

(٢) السجدة ٣.

(٣) سبأ ٤٤.

(٤) يس ٦.

ثم إن رسالة صالح وهود لم يبق لها أثر في مكة وما حولها بل إنها انقرضت بهلاك تلك الأمم، وموت النبيين ـ عليهما السلام ـ.

ثم إن صالح وهود ـ عليهما السلام ـ كل منهما أُرسل إلى قومه خاصة ولم يرسل إلى كفار مكة، أو حتى إلى العرب كافة، وآيات القرآن صريحة في ذلك، حيث يقول تعالى عن هود مبيناً اختصاص قومه عاد برسالته: ﴿ **وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ...** ﴾[1].

ويقول سبحانه وتعالى عن صالح مبيناً اختصاص قومه ثمود برسالته: ﴿ **وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ...** ﴾[2].

كما أن النفي في الآيات لا يفيد عدم وجود النذير إلى ما لا نهاية، وإنما في القرون القليلة المتقدمة على بعثته ﷺ، وهذا مشابه لقوله تعالى عن قوم صالح: ﴿ **وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ...** ﴾[3]، أي في القرون السابقة واللاحقة له، لا نفي جميع الرسل كما هو معلوم.

ومن المعلوم أن بين بعثة النبي ﷺ وبعثة هود وصالح القرون الكثيرة، التي انقطعت فيها رسالتهما.

---

(١) الأعراف ٦٥، هود ٥٠.

(٢) الأعراف ٧٣، هود ٦١.

(٣) الأحقاف ٢١.

وبذلك يتبين أن التناقض إنما هو في ذهن الكاتب الذي يحتاج إلى تجردٍ، وإلى نبذ الهوى؛ ليتدبر كتاب الله بموضوعية دون أحكامٍ مسبقة.

المقطع الثالث: دعوى التناقض في الإيمان:

جاء في الدائرة: (ويفرق القرآن أحياناً بين الإيمان والإسلام، ولا يفرق بينهما أحياناً أخرى، وعباراته في صلتهما بالعمل الصالح مبهمة، واختلف علماء الكلام بعد ذلك فيهما، ومما يظهر أثره في الحديث. ولهذا نجد أن اصطلاح الفقهاء على معنى الإيمان يُناقض معنى المتكلمين. وفي الحديث أن النبي قال: يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان. ولكن ما معنى الإيمان هنا؟

يقول البعض: إنه عقد بالقلب، وأضاف آخرون إلى هذا «الشهادة باللسان»، وزاد غيرهم شيئاً آخر هو «العمل بالأركان». قال بالرأي الأول الأشاعرة والماتريدية، وقال الأحناف بالرأي الثاني، أما الثالث فهو قول الخوارج)[1].

هذا مع قوله: (وانتهى أهل السنة إلى رأي في الإيمان يقولون كعادتهم إنه كان رأي السلف، وهو أن الإيمان هو التصديق بالقلب والإقرار باللسان، والعمل الصالح)[2].

---

(١) الدائرة ٥/٤١٣، إيمان، ماكدونالد.

(٢) الدائرة ٥/٤١٣ - ٤١٤، إيمان، ماكدونالد.

قلت: ليس في القرآن بحمد الله تناقض في هذه المسألة ولا في غيرها، وأما ما في الأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ فهي مبينة لما في القرآن، وليست أثراً للاختلاف كما زعم الكتاب.

فلفظتا « **الإيمان** » « **والإسلام** » بينهما من الاشتراك في المعاني مما يجعل قليل التدبر في كتاب الله يظن أنهما بنفس المعنى، وبينهما من الاختلاف مما يظن معه أنهما لا اشتراك بينهما.

وسأورد الآيات القرآنية التي اجتمع فيها لفظتا الإيمان والإسلام لنتضح تلك المسألة من كتاب الله مباشرة.

أولاً: الآيات التي تفرق بين معنى الإيمان والإسلام:

ـ يقول سبحانه: ﴿ **قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٤) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ** ﴾[١].

فدلت هاتان الآيتان على التفريق بين المؤمن والمسلم، وأن المؤمن أعلى رتبة من المسلم؛ لأنهم ادعوا الإيمان ونفاه الله عنهم، وأثبت لهم الإسلام.

---

(١) الحجرات ١٤ ـ ١٥.

ويلاحظ أن الإيمان والإسلام يشتركان في ظهور انقياد المتصف بهما لله تعالى.

ويزيد الإيمان معنى رسوخ ذلك في القلب ليكون انقياداً في الظاهر والباطن.

والمسلم الذي لم يصل إلى رتبة المؤمن لا يعني أنه منافق بل تقبل طاعته كما في الآية الكريمة.

كما يستفاد أن من تحلى بصفة الإيمان فهو مسلم بالضرورة فكل مؤمن مسلم، وليس بالضرورة العكس.

- ويقول سبحانه عن قرية لوط عليه السلام: ﴿ **فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٣٥) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾[1].

أنجى الله من القرية المؤمنين، وهم لوط وأهل بيته باستثناء زوجته كما قال سبحانه في آية أخرى عن لوط: ﴿ **فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ** ﴾[2]، وعبر بالبيت بالإسلام، ولم يعبر بالإيمان كما في الآية الأولى احترازاً لزوجة لوط - التي كانت مقيمة في بيت لوط - لأنها ليست مؤمنة، وإنما كافرة، ولكن ظاهرها الإسلام.

- ويقول سبحانه: ﴿ **إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ .... أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا** ﴾[3].

---

(١) الذاريات ٣٥ - ٣٦.

(٢) الأعراف ٨٣.

(٣) الأحزاب ٣٥.

وهذه الآية الكريمة وعد من الله بالمغفرة للمتصفين ببعض الصفات ومنها الإسلام والإيمان، وليس في الآية الكريمة ما يشكل حيث يكون حظ المؤمن أكثر باعتباره مؤمناً ومسلماً في آن واحد.

ثانياً: الآيات التي يتقارب فيها معنى الإيمان والإسلام:

- يقول سبحانه: ﴿ ... **قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ** ﴾[1].

- ويقول سبحانه: ﴿ **وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلاَّ مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ** ﴾[2].

- ويقول سبحانه: ﴿ **وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ** ﴾[3].

- ويقول سبحانه عن فرعون: ﴿ ... **حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَٰهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾[4].

فهذه الآيات فيها استخدام لفظ الإيمان والإسلام بمعنى صحيح، ذلك أن الأسماء المتقاربة في المعاني، والمتضمنة لبعضها قد تختلف دلالتها بالإطلاق والتقييد والتجريد والاقتران، فإذا أفرد أحدهما فربما عم الآخر، وإذا اقترن معه كان لكل منهما معنى يخصه، وهذا كلفظ الفقير والمسكين، والفحشاء والمنكر، وهذا يقال في الإيمان والإسلام

---

(١) المائدة ١١١.

(٢) النمل ٨١.

(٣) يونس ٨٤.

(٤) يونس ٩٠.

أيضاً، كما يقال في الإيمان والعمل الصالح.

فالإسلام عند الإطلاق يُراد منه الدين الذي ارتضاه الله لعباده: ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ ...** ﴾[1].

ومعنى الإسلام إذا اقترن بالإيمان: الخضوع في الظاهر، كما أن الإيمان يفسر بالإيمان الباطن إذا اقترن بالإسلام، وهو عند الإطلاق متضمن للإسلام الظاهر.

لذا لما سُئل النبي ﷺ عن الإسلام قال: (الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً)رواه مسلم[2]، ولما سئل عن الإيمان في نفس الحديث قال: (الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره).

فعبر عن الإسلام بالأمور الظاهرة وعن الإيمان بالباطنة.

والإيمان عند الإطلاق يشمل العمل؛ لأنه مستلزم له كما قال تعالى في بيان معنى المؤمن للأعراب المدعين للإيمان: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ** ﴾[3].

---

(١) آل عمران ١٩.

(٢) مسلم الإيمان ١.

(٣) الحجرات ١٥.

بل يشمل جميع شعائر الدين كما قال النبي ﷺ: (الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى من الطريق والحياء شعبة من الإيمان) متفق عليه(١)، وكما في حديث وفد عبد قيس لما سألوا النبي ﷺ عن الإيمان فسره لهم ﷺ بما هم بحاجة إليه من شعائر الدين حيث ذكر لهم الشهادتين والصلاة والزكاة وأداء خمس المغنم(٢).

بل إن النبي ﷺ سمى الإيمان عملاً، فعندما سئل: أي العمل أفضل؟ قال (إيمان بالله ...)(٣).

والإيمان متفاوت عند الناس، وهو يزيد ﴿ ... **فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ**﴾(٤)، ويضعف لقوله ﷺ لمن لم يستطع إنكار المنكر بلسانه ويده، واكتفى بانكار القلب: (وذلك أضعف الإيمان)(٥)، فالإيمان متفاوت، وربما كان كمثقال ذرة كما في الحديث الذي ذكره الكاتب، وهو في الصحيحين(٦).

وقد يراد بالإيمان عند الاقتران بالعمل ما في القلب خاصة كما في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ**

---

(١) البخاري الإيمان ٣، مسلم الإيمان ٣٥.

(٢) مسلم الإيمان ٦.

(٣) البخاري الإيمان ١٨، مسلم الإيمان ٨٣.

(٤) التوبة ١٢٤.

(٥) مسلم الإيمان ٤٩.

(٦) البخاري الإيمان ١٥، مسلم الإيمان ١٩٣.

﴿... الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً﴾[1].

وقد يُراد بالاقتران التأكيد على أهمية العمل، من باب عطف الخاص على العام كقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[2]، وكقوله تعالى: ﴿... فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ...﴾[3]، والاستعانة والتوكل جزء من العبادة؛ لأن العبادة يدخل فيها كل ما أمر الله به: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[4].

وهذا كله أمر معروف عند العرب في استخداماتهم.

فليس هناك من اختلاف أو إبهام في نفس كتاب الله تعالى، أو سنة رسوله ﷺ؛ بل إن ذلك يأتي في أرقى درجات البيان، وهو تناقض عند غير المتدبرين: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيراً﴾[5].

أما اختلاف الفرق بعد ذلك فما يعنينا هو تقرير ما جاء به القرآن والسنة من شمول معنى الإيمان للقول والإعتقاد والعمل وهو مذهب السلف الصالح حقيقة لا دعوى، وسياق أقوال السلف في ذلك يطول، ولكن منها:

---

(١) الكهف ١٠٧.

(٢) الفاتحة ٤.

(٣) هود ١٢٣.

(٤) الذريات ٥٦.

(٥) النساء ٨٢.

قول سفيان الثوري[1]: «الإيمان قول وعمل ونية يزيد وينقص[2].

وقال الإمام أحمد: سمعت يحيى بن سعيد[3] يقول: «ما أدركنا من أصحابنا ولا بلغني إلا على الاستثناء[4] والإيمان قول وعمل»[5].

وقال الإمام أحمد أيضاً: سمعت وكيعاً[6] يقول: «الإيمان يزيد وينقص»[7].

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام[8] في كتابه الإيمان: «الأمر الذي

---

(١) الإمام سفيان الثوري ٩٧ – ١٦١، قال عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء ٧/٢٣٠: هو شيخ الإسلام، إمام الحفاظ، سيد العلماء العاملين في زمانه.

(٢) شرح اعتقاد أهل السنة للالكائي ١/١٥١، وهي جزء من كلام طويل لسفيان، قال الذهبي تعليقاً عليه في ترجمة سفيان: هذا ثابت عن سفيان. (انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي ١/٢٠٧).

(٣) الإمام يحيى بن سعيد القطان قال ابن حجر في التقريب ٢/٣٤٨: «ثقة متقن حافظ إمام قدوة» توفي سنة ١٩٨.

(٤) أي في الإيمان.

(٥) السنة لأحمد ٨٢.

(٦) وكيع بن الجراح الكوفي إمام عابد حافظ زاهد فقيه تلقى العلم عنه أئمة السلف منهم الإمام الشافعي توفي ١٩٧ هـ (انظر تهذيب التهذيب لابن حجر ١١/١٢٣ – ١٣١).

(٧) السنة لأحمد ٨٢.

(٨) أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي ١٥٧ – ٢٢٤هـ من العلماء المجتهدين من أئمة أهل السنة (انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ١٠/٤٩٠ – ٥٠٩).

دلت عليه السنة عندنا ما نص عليه علماؤنا مما اقتصصنا في كتابنا هذا: أن الإيمان بالنية والقول والعمل جميعاً، وأنه درجات بعضها فوق بعض»[1].

أما مذهب الخوارج فهو التكفير بارتكاب الكبائر وهو مخالف للكتاب والسنة وسلف الأمة.

المقطع الرابع: دعوى التناقض فيما يتعلق بالوفاء بحلوف الجاهلية:

جاء في الدائرة: (وقد نُهي عن الحلف في الإسلام؛ لأن هذا الدين يجعل المسلمين كلهم إخوة. ومن ثم نُسِبَ إلى النبي أنه قال: «لا حلف في الإسلام»، ومع ذلك يقال إنه حبذ الوفاء بالالتزامات التي قضت بها الأحلاف التي عقدت في الجاهلية)[2].

قلت: جاء الإسلام بالوفاء بالعهود، ومن جملتها تلك الأحلاف في الجاهلية بشرط ألا يكون فيها ظلم، فلم يكن الإسلام عذراً لناكث؛ بل مدعاة لزيادة الحرص على الوفاء بتلك الالتزامات.

وأما قول النبي ﷺ: (لا حلف في الإسلام)[3]، فتبيينه تتمته،

---

(١) كتاب الإيمان ومعالمه وسننه واستكماله ودرجاته، أبو عبيد القاسم بن سلام ١٩، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(٢) الدائرة ١٥/٣٣٣ - ٣٣٤، الحلف، أرندنك.

(٣) البخاري الكفالة ٢، مسلم فضائل الصحابة ٢٠٦.

وهو قوله ﷺ في نفس الحديث: (وأيما حلف كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة)[1].

فهذا الحديث ليس نسخاً لأحلاف الجاهلية جملة وتفصيلاً؛ وإنما لما يعارض منها ما جاء في الإسلام كالتوارث بالحلف، والتعصب به من غير حق.

والإسلام يأمر بنصرة المظلوم، ودفع الظالم، وإغاثة الملهوف، وإعانة المحتاج، والتعاون على البر.

قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ: «أما المؤاخاة في الإسلام، والمحالفة على طاعة الله، والتناصر في الدين، والتعاون على البر والتقوى، وإقامة الحق، فهذا باقٍ لم ينسخ، وهذا معنى قوله ﷺ: (وأيما حلف كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة)، وأما قوله ﷺ: (لا حلف في الإسلام) فالمراد به حلف التوارث، والحلف على ما منع الشرع»[2].

وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «فالظاهر ـ والله أعلم ـ أن المراد بالحديث: أن الله تعالى قد ألف بين المسلمين بالإسلام، وجعلهم به إخوة متناصرين متعاضدين، يداً واحدة بمنزلة الجسد الواحد، فقد أغناهم بالإسلام عن الحلف، بل الذي توجبه أخوة الإسلام لبعضهم

(١) مسلم فضائل الصحابة ٢٠٦.
(٢) شرح مسلم ١٦/ ٨٢.

على بعض أعظم مما يقتضيه الحلف، فالحلف إن اقتضى شيئاً يخالف الإسلام فهو باطل، وإن اقتضى ما يقتضيه الإسلام فلا تأثير له، فلا فائدة فيه.

وإذا كان وقع في الجاهلية، ثم جاء الإسلام بمقتضاه لم يزده إلا شدة وتأكيداً»(١).

المقطع الخامس: دعاوى متفرقة:

جاء في الدائرة ادعاء التعارض في مواضع أخرى سبق بيانها حيث تقدم دعوى التناقض في القدر(٢)، وفي صفات الله تعالى(٣).

كما سيأتي الدعوى بالتناقض في القرآن في خلود الروح(٤)، وخلود العذاب يوم القيامة(٥).

وقد أُلحقت كل دعوى بالبيان المناسب لها في موضعها.

وسبب ظهور ذلك التعارض عند البعض عدم تدبر كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وعدم إعطائهما حقهما من النظر.

---

(١) تهذيب الإمام ابن القيم على مختصر سنن أبي داود للحافظ المنذري ٤/ ١٨٩ - ١٩٠، تحقيق أحمد شاكر ومحمد الفقي، المكتبة الأثرية، باكستان، انطبعة الثانية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(٢) انظر ص ٢٥٠.

(٣) انظر ص ٢٧١.

(٤) انظر ص ٣٧٦.

(٥) انظر ص ٧٥٠.

حتى كتب مستشرق في الدائرة ينتقد زملاء له يزعمون بوجود تناقض في القرآن في مسائل معينة: «وما أكثر ما قيل وقرر للبادرة الأولى أن القرآن يحتوي على مجموعة من الآيات «المتناقضة»، والحقيقة أنه ليس هناك تناقض على الإطلاق، وإنما الموجود هو توكيدات متقابلة متكاملة، الغرض منها هداية القلوب إلى الموقف المطلوب الذي يتخذه الإنسان من الله)[1].

وإذا اجتمع مع الجهل والاستعجال في الحكم وعدم التدبر، إذا اجتمع معه الضغينة على هذا الدين وعلى نبيه ﷺ؛ فإن النتائج ستخرج بوضوح عن الموضوعية العلمية التي يجب على المنصف أن يتحلى بها.

المطلب الثالث: ادعاء كذب النبي ﷺ وتأليفه لما أوحي إليه:

اتهمت الدائرة النبي ﷺ بالكذب بطرق مباشرة، وأخرى غير مباشرة، في محاولة لنفي الوحي جملة وتفصيلاً، ومن تلك المواضع:

جاء في الدائرة: (ولجبريل شأن هام في القرآن، وقد اصطنع النبي القصة التي تقول بأن هذا الرسول السماوي يتحدث إلى الأنبياء وأعتقد أنه تلقى رسالته ووحيه منه)[2].

---

(١) الدائرة ٤/٣١٨، مادة (الله)، كارديه.

(٢) الدائرة ١/٦٠، جبرائيل، كارده فو.

كما جاء: (فكان تغييره ـ النبي ﷺ ـ للقبلة واصطناعه لأسطورة إبراهيم، وتصويره بأنه باني الكعبة، وفرضه الحج وإيجابه في ذلك الوقت على كافة المسلمين، يخدم هذا الغرض دون سواه ـ وهو سيطرته على الأمور وتركيز اهتمام قومه بمكة ـ)[1].

وجاء في ترجمة خديجة – رضي الله عنها ـ: (ولا مشاحة في أن ابن عمها ورقة بن نوفل كانت له يد في استمالتها إلى الأغراض التي يهدف إليها النبي)[2].

وجاء أيضاً: (السرقة وجزاؤها قطع اليد بنص القرآن، وكان هذا الجزاء من ابتكار الرسول)[3].

كما جاء: (ويظهر أن محمداً استغل التشابه الموجود بين لفظ أنصار ونصارى فجعل عيسى يطلق على الحواريين «أنصار الله» [آل عمران: ٥٢، الصف: ١٤])[4].

وفي الحديث عن ذات الله وصفاته سبحانه: (وينبغي لنا الآن أن نتبسط في الكلام على هذه الذات كما تصورها محمد، ومن حسن التوفيق أن لوازم السجع حملته على وصف الله بعدة صفات يتردد ذكرها في القرآن)[5].

---

(١) الدائرة ١٣ /٣٨٦، الحديبية، لامنس.

(٢) الدائرة، الأولى ٨ /٢٣٦، خديجة، بول.

(٣) الدائرة، الأولى ١١ /٤١، سارق، هيفننك.

(٤) الدائرة ٥ /٧٣، الأنصار، ركندروف.

(٥) الدائرة ٤ /٢٤٦ – ٢٤٧، الله، ماكدونالد.

وجاء أيضاً: (وقد استطاع محمد بفضل خياله المتوقد أن يصف الله بصفات واضحة معينة)[1].

كما جاء أيضاً: (وقد تردد ذكر جهنم وفكرة جهنم كثيراً في القرآن، إما لأن محمداً نفسه قد بدهته هذه الفكرة، وإما لأنه رأى أنه من المفيد أن يلح في ذكرها لتفعل فعلها في مشاعر السامعين)[2].

قلت: الجواب من وجوه:

أولاً: تقدمت دلائل نبوة النبي ﷺ، وهي في حد ذاتها كافية للرد على تلك المطاعن كلها؛ إذ تضمنت البرهان على أن القرآن من عند الله، وأن محمداً ﷺ نبيه ورسوله، بلغ ما أُوحي إليه بغاية ما يكون من الأمانة والصدق، واستحالة الكذب عليه ﷺ.

ثانياً: إن في هذا الكلام جرأةً في الحكم من غير دليل أو برهان، فنجد قولهم: أن النبي اصطنع قصة جبريل وأسطورة إبراهيم، وأنه ابتكر قطع اليد عقوبة للسارق، وأن لوازم السجع حملته على وصف الله بصفات في القرآن.

إن من المعلوم أن النبي ﷺ لم يعرف عنه الكذب مطلقاً لا قبل النبوة ولا بعدها، وإن تكذيبه ﷺ يحتاج إلى دليل، لا سيما أن ذلك التكذيب يؤدي إلى أمر جلل وخطير يرتبط بعقائد بلايين البشر.

---

(١) الدائرة ٤ / ٢٤٧، الله، ماكدونالد.

(٢) الدائرة ١٣ / ٤، جهنم، كارده فو.

إن النبي ﷺ بلّغ الوحي من السماء ولم يصطنع أساطير، ولم يبتكر أحكاماً وينسبها إلى الله مطلقاً.

ثالثاً: يلاحظ الحقد المُعمي عن الحق في ثنايا تلك الجمل التي تبحث عن أغراض ودوافع خفية في نفس محمد ﷺ، وهي أطهر النفوس جميعاً، فبشهادة الجميع أنه ﷺ ثبت إخلاصه وصدقه ونزاهته وحياؤه وبعده عن الرذائل.

فلا يتورع أولئك القوم عن مثل تلك الكلمات: إن ورقة كانت له يد في استمالة خديجة إلى الأغراض التي يهدف إليها محمد، وأن محمداً استغل التشابه بين لفظ أنصار ونصارى، وأن فرضه الحج إلى مكة إنما هو لسيطرته على الأمور.

وهل ورقة أيضاً كان شريكاً للنبي ﷺ في كل هذا؟ مع كبر سنة وحسن تدينه!

إن اعتراف ذلك المستشرق بقصة ورقة مع خديجة ـ وهي قصة ثابتة في الصحيحين[1] ـ وتحميلها ما لا تحتمل، تجعلنا نقف عند تلك الحادثة التي تفيد أن النبي ﷺ رأى جبريل حقيقة ولم يصطنع قصته بدليل شدة خوفه، وشهادة ورقة: أنه الناموس الذي نزل على موسى، كما أن تلك القصة من دلائل نبوته ﷺ بشهادة العدول من أهل الكتاب.

---

(١) البخاري بدء الوحي ٣، مسلم الإيمان ١٦٠.

إن تلك القصة تدل بوضوح على تلك الأمور الظاهرة؛ فهلا اعترف ذلك المستشرق بها!

رابعاً: فيما يتعلق بادعاء الكاتب أن النبي ﷺ استغل التشابه بين لفظ «أنصار» و«نصارى»؛ فإنني كُفيت برد العلامة أحمد شاكر عليهم بقوله: «هذه دعوى غريبة لا توافق أي دليل، ولا نجد لكاتبها وجهاً يستند إليه ولا على سبيل الشبه، فإنه يرمي بذلك الأمة العربية في أوج فصاحتها وبلاغتها بأنها لا تفرق بين كلمتين تشابهتا في بعض الحروف، وهما كلمتان مختلفتا المعنى: إحدهما عربية خالصة، مرجعها إلى مادة «نصر» التي اشتقت منها مشتقاتها، والأخرى نسبة شاذة على غير قياس إلى كلمة أعجمية الأصل، هي علم جامد لا يشتق منه شيء، وهي كلمة «ناصرة» اسم قرية قيل إن المسيح عيسى عليه السلام ولد فيها أو نشأ بها[1].

ثم ماذا يرى الكاتب من البأس في وصف الحواريين ـ رضي الله عنهم ـ بأنهم «أنصار الله»؟! هل يرى في هذا الوصف مذمة تعيبهم أو منقصة تلحقهم أراد أن يبرئهم منها؟!»[2].

خامساً: أما ما يتعلق بالصفات، وذكر جهنم فقد بينت كلاً في موضعه[3].

---

(١) وتسمى أيضاً نصران، انظر الجامع للقرطبي ١/٤٣٤ في تفسير آية ٦٣ من سورة البقرة.

(٢) الدائر ٥/٧٦.

(٣) انظر ص ٢٧٨ بالنسبة للصفات، وص ٧٣٢ بالنسبة لذكر جهنم.

المبحث الرابع

الطعن في السنة النبوية

- نظرة عامة لما ورد في الدائرة.
- السنة النبوية وجهود العلماء فيها.
- محاولة التقليل من أهمية السنة النبوية.
- ادعاء أن السنة النبوية من وضع المسلمين.
- الطعن في الرواة.
- طعون متفرقة في الأحاديث النبوية.

المطلب الأول: نظرة عامة لما في الدائرة:

كتب عن السنة النبوية في الدائرة مستشرقون كُثر كتابات متعددة، ويمكن أن نخرج بموقف الدائرة من السنة النبوية على النحو الآتي:

ـ أكثر الكتابات في الدائرة تستند إلى السنة النبوية في بيان اعتقادات المسلمين، وأحكام الإسلام بصورة عامة، كما تستند إليها في محاولة الطعن في الإسلام أحياناً، ولكن هذا لا يدل على اعتراف كتابها بالوحي الإلهي مطلقاً، كما أنه في بعض الأحيان لا يستدل منها اعترافهم بصدور ذلك من النبي ﷺ، ولكنه يدل على ما يعتقده المسلمون.

ـ أكثر من كتب مواد السنة النبوية هم قولد زيهر ولامنس وشاخت وفنسنك وماكدونالد وكارده فو وهوروفنز وربصون وجوينبول، ويلاحظ تأثير قولد زهير، ومن بعده لامنس على كثير من المستشرقين الذين اهتموا بدراسة السنة النبوية، والذي عمدوا إلى محاولة الحط منها والتشكيك فيها.

ـ هناك كتابات كثيرة تحاول أن تحط من شأن السنة النبوية بصور مختلفة:

فتارة تُصور السنة النبوية على أنها من وضع المُحَدِّثين وأصحاب الفرق، وأنها نتاج الجدل الدائر بين أصحاب المذاهب المختلفة، بل ربما توضع بعض الأحاديث لتقرير مسألة شرعية أو بيانها، أو حتى لمجرد

اللهو التسلية.

كما تصور السنة النبوية بالتناقض، وذلك لمحاولة رد الاحتجاج بها أحياناً، والتكذيب بنبوته ﷺ أحياناً أخرى.

وتارة يُقال: «إن الرواة استباحوا الوضع» بهذا التعميم.

وتارة يطعن فيها من خلال الطعن في كتبها ومصادرها لا سيما صحيح البخاري.

وتارة أخرى يطعن في بعض الأحاديث لمجرد أنها غير موجودة في الصحيحين «البخاري ومسلم».

وتارة يلمز بعض الرواة كأبي هريرة والزهري، بهدف التقليل من شأن رواياتهما، بل والطعن فيهما.

وتارة يكذب علانية بنفس الحديث ويصرح بأنه موضوع، من غير أي دراسة لأسانيده، بل بمجرد عدم استساغتهم لمعناه.

وعند استعراضنا لمادة «السنة» في الدائرة، تلك المادة التي جاءت في خمس صفحات نجد أن عناصرها ما يلي:

ـ معنى السنة اللغوي.

ـ السنة عند المحدّثين ورمز له بالتفسير الشائع كما سيأتي.

ـ السنة الحسنة والسنة السيئة.

ـ السنة باعتبارها لأهل السنة والجماعة خاصة، ومن ثم جاء

التقسيم بين سنة وشيعة.

ـ السنة باعتبارها سنة النبي ﷺ وطريقته، ويقابلها البدعة.

ـ علاقة السنة بالقرآن.

ـ السنة عند الفقهاء والأصوليين[1].

وهناك بعض الملاحظات على تلك المادة:

١ ـ لم تتناول هذه المادة جهود المحدِّثين البتة في حفظ السنة النبوية.

٢ ـ جاء في بيان السنة عند المحدِّثين: (وتشمل سنة النبي محمد وفقاً للتفسير الشائع فعله وقوله وتقريره؛ والأخذ بالسنة يمكن أن يُقال له بوجه من الوجوه: التقليد المحمدي)[2].

ومن المعلوم أن هذا الاصطلاح «التقليد المحمدي» غير موجود عند المحدِّثين من المسلمين، ولا شك أن هذا محاولة من كتاب الدائرة لربط الدين بمحمد ﷺ وحده دون الوحي الإلهي.

٣ ـ كما جاء في التعليق على معنى «السنة»: (والكلمة في حد ذاتها لا لون لها، ذلك أن المرء يتحدث عن السنة الحسنة، والسنة السيئة) ثم استدل لكلامه بحديث: (ومتبع في الإسلام سنة

(١) الدائرة الأولى ١٢/٢٨١ ـ ٢٨٥، السنة، فنسنك.

(٢) الدائرة الأولى ١٢/٢٨١، السنة، فنسنك.

الجاهلية)، وبحديث : (لتتبعن سنن من كان قبلكم . . .)، وبحديث : (من سن في الإسلام . . .)[1] .

قلت : كلمة السنة واضحة[2] ، وهي تنصرف إلى السنة الحميدة ما لم تقيد ، فليس في الموضوع التباس، فقد وردت السنة بمعاني عدة في لغة العرب واستخدمها القرآن ببعض تلك المعاني، ويُعرف المعنى من نفس السياق بقرائن كثيرة، كما ينصرف المعنى إلى المعنى الإصطلاحي المشهور عند الإطلاق، وهذا موجود في جل المصطلحات في كل اللغات .

٤ ـ جاء في هذا المادة : (وجعْلُ السنة في مكانة القرآن قد أدى إلى القول بأن السنة أيضاً مُوحى بها [كان جبريل ينزل على النبي ﷺ بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن] « الدارمي المقدمة باب ٤٨ »)[3] .

قلت : القرآن والسنة كلاهما وحي من الله، وقد جاء ذلك في القرآن عند الحديث عن النبي ﷺ : ﴿ **مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ** ﴾[4]، والمسلمون متفقون على حجية السنة النبوية، وهي وحي كما دل القرآن، وإن كانت ألفاظها من النبي ﷺ نفسه .

---

(١) الدائرة الأولى ١٢ / ٢٨١ ـ ٢٨٢ ، السنة، فنسنك .

(٢) انظر تعريف السنة ص ٥٠٤ .

(٣) الدائرة الأولى ١٢ / ٢٨٣ ـ ٢٨٤ ، السنة، فنسنك .

(٤) النجم ٢ ـ ٥ .

كما أن الحديث المذكور ليس نتيجة لهذا الرأي كما هو مفهوم من كلام الكاتب، ولكنه نص نبوي يوافق الحقيقة القرآنية التي في الآيات السالفة التي لا سبيل للكاتب للطعن فيها.

وفي مادة الحديث عرض غير وافٍ اشتمل على: «تلقي الصحابة للحديث»، و«وضع الحديث بعد تغير الأحوال وكثرة الفتوح لتناسب ذلك الحال»، «نقد المسلمين للأحاديث»، «اقسام الحديث من حيث قبوله، ومن حيث طريقة وصوله»، «المصنفات في الحديث»، وفي المادة خلط كبير في التعريفات[١].

وفي مادة خبر الواحد نجد عرضاً أقوم من غيره في الدائرة، فالكاتب ينقل مضمون كلام المحدِّثين في ذلك[٢].

ولكن يجب التنبيه على أن خبر الواحد وإن كان يفيد الظن، فليس معنى ذلك أنه مردود، وإنما هو عند ثبوته برواية العدل الضابط، فإنه يفيد الظن الراجح الذي يجب الأخذ به، وهذا معلوم في كافة الأخبار عند كافة الأمم.

وعند الحديث عن الصفات الإلهية نجد كلاماً واسعاً عن الأحاديث النبوية، تشتمل على التشكيك في الكثير من الأحاديث، ومحاولة جعلها متناقضة[٣].

---

(٢) الدائرة ١٣/٣٨٩ - ٤٠١، الحديث، جوينبول.

(٢) الدائرة ١٦/٤٧٢ - ٤٧٣، خبر الواحد، جوينبول.

(٣) سبق بيانها في الحديث عن الصفات ص ٢٧١ - ٢٨١.

وفي نهاية المطاف يلخص لنا «ماكدونالد» ما يهدف إليه وأمثاله من كتاب الدائرة، فيما يتعلق بالسنة النبوية، حيث يقول: «ونستخلص مما تقدم أنه لا شك في أن الأحاديث في ذاتها لا تعتبر أساساً يمكننا أن نبني عليه الحقائق التاريخية»[1].

وفي المطالب القادمة سأتناول الردود التفصيلية على طعنهم في السنة النبوية، ولكنني قبل ذلك أُبيّن معنى السنة النبوية، وجهود العلماء في حفظها وفهمها وبيانها، وهو عبارة عن نموذج لما يجب أن يكون في الدائرة لمادة السنة النبوية، كما أنه رد مجمل على عامة شُبه المستشرقين.

المطلب الثاني: السنة النبوية وجهود العلماء فيها:

السنة في لغة العرب: الطريقة[2]، أو السيرة سواء كانت حسنة أو قبيحة[3].

واستُخدمت في القرآن بهذا المعنى فقال سبحانه: ﴿**سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً**﴾[4]، أي طريقة الله في إهلاك المكذبين.

---

(١) الدائرة ٤/٢٥٧، الله، ماكدونالد.

(٢) مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر الرازي ٣١٧، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

(٣) لسان العرب لابن منظور ١٣/٢٢٥.

(٤) الأحزاب ٦٢.

كما جاءت في الحديث الشريف بمعنى طريقة النبي ﷺ، ومن ذلك قوله ﷺ: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين)[1].

كما تُطلق السنة بمعنى نقيض البدعة لذا جاء في آخر الحديث السابق بعد أمره ﷺ بسنته وسنة الخلفاء الراشدين قوله: (وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة)[1].

وهذا المعني هو المتبادر عن الإطلاق، لذا يُفسر قول الصحابي: «من السنة كذا» ببيان الشرعية عند أكثر العلماء[2].

كما يُطلق لفظ السنة على عمل الصحابة وُجِد ذلك في الكتاب والسنة أو لم يوجد[3].

والسنة في اصطلاح العلوم المختلفة قريبة من المعاني السالفة، فعند الأصوليين: «كل ما أُثِر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير»[4].

---

(١) أبو داود السنة ٦، الترمذي العلم ١٦ برقم ٢٨١٦ وصححه، وابن ماجة في المقدمة٦، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم ٣٨٥١.

(٢) الإحكام في أصول الأحكام، علي بن محمد الآمدي ٢/٩٨، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ.

(٣) الموافقات في أصول الشريعة، إبراهيم بن موسى الشاطبي ٤/٤، تحقيق محمد عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت، دطت.

(٤) نزهة الخاطر العاطر شرح روضة الناظر، عبد القادر أحمد بن بدران الدمشقي ١/٢٣٦، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

وزاد المُحدِّثون: «أو صفة خلْقية أو خُلُقية، سواء كان قبل البعثة أو بعدها»[1].

وتطلق عند الفقهاء رديف المستحب أي ما يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه.

ولفظ «أهل السنة» يطلق على من وافق الكتاب والسنة في الاعتقاد واتبع السلف في ذلك. قال ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ** ...﴾[2]: «فأما الذين ابيضت وجوههم فأهل السنة والجماعة، وأما الذين اسودت وجوههم فأهل البدعة والضلالة»[3] وقد جرى العلماء على هذا الاصطلاح[4].

كما يطلق على علماء الحديث خاصة[5].

«والسنة مع القرآن على ثلاثة أوجه:

أحدها: أن تكون موافقة له من كل وجه؛ فيكون توارد القرآن والسنة على الحكم الواحد من باب توارد الأدلة وتضافرها، وذلك

---

(١) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، د. مصطفى السباعي ٤٧، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

(٢) آل عمران ١٠٦.

(٣) شرح اعتقاد أهل السنة للالكائي ١/ ٧٢.

(٤) تلبيس إبليس لابن الجوزي ١٦، طبعة الأزهر ١٣٦٨هـ، وانظر منهاج السنة لابن تيمية ٢/ ٦٠١.

(٥) قال ابن سيرين: «ينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم» مقدمة صحيح مسلم الباب الخامس.

كوجوب التوحيد وتحريم الشرك والخمر والربا والزنا.

الثاني: أن تكون بياناً لما أُريد بالقرآن، وتفسيراً له كتفسير السنة لأحكام الصلاة والزكاة والحج.

الثالث: أن تكون موجبة لحكم سكت القرآن عن إيجابه كإيجاب الشفعة ومشروعية خيار الشرط في البيع، وميراث الجدة، أو محرمة لما سكت عن تحريمه كأحاديث تحريم الرضاعة لما يحرم من النسب، وتحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها»[١].

والقرآن ينسخ السنة، والخلاف بين أهل العلم في وقوع نسخ القرآن بالسنة مع اتفاقهم على وقوع التخصيص والتقييد بها، وكلاهما مصدر من مصادر التشريع ليس بينهما تناقض أو تعارض، وفي حال التفضيل فإن القرآن ألفاظه من الله، وهو معجز بألفاظه ومعانيه، كما أنه كله منقول بالتواتر بخلاف السنة التي هي من كلام النبي ﷺ، وفيها المتواتر والآحاد.

وقد حُفظت سُنة النبي ﷺ، واعتُني بها، فقد روي صحابة النبي ﷺ عشرات الآلاف من الأحاديث عن النبي ﷺ، ورواها عنهم مَنْ بعدَهم، كل ذلك كان بجهود مضنية ورحلات شاقة في طلب الحديث، حتى وصلت بالسند إلى العلماء في القرن الثالث وما بعده

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ٢/ ٢٨٨ – ٢٨٩ بتصرف وزيادة الأمثلة في النوع الأول والثاني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٧٤هـ – ١٩٥٥م.

كالإمام الشافعي وأحمد والبخاري ومسلم والترمذي وغيرهم، فدونوا تلك الأحاديث بأسانيدها[1] إلى النبي ﷺ.

كما قاموا بدراسة متون تلك الأحاديث، فبينوا كلام النبي ﷺ من كلام غيره، وعنوا بذلك عناية كبيرة، فإن كان المتن من كلام النبي ﷺ سُمي مرفوعاً، وإن كان من كلام الصحابة سُمي موقوفاً، وإن كان من كلام التابعين سُمي مقطوعاً، وإن كان يحتوي النص نفسه زيادة من الرواة، فإن الزيادة تُسمى إدراجاً.

كما جمعوا بين متون الروايات المختلفة ودققوا النظر فيها، فقارنوا بينها، كما كانوا يرجحون بينها عند الاختلاف، فإذ اختلفت متون الأحاديث نظر إلى رواته، من حيث العدد والحفظ والعدالة، فيرجح على هذا الأساس، فإن كان المرجوح له إسناد صحيح فإنه يصبح شاذاً ضعيفاً رغم صحة إسناده، وإن كان المرجوح ليس له إسناد صحيح، فإنه يسمي منكراً، وهو من أحط الأحاديث رتبة، ولا يحتج به البتة.

وقد عُنِيَ العلماء ببيان سنة النبي ﷺ وشرحها في المساجد والمعاهد والمدارس، وألفوا في ذلك المجلدات الضخمة فشُرحت عامة كتب السنة، وبينوا في ذلك معاني الأحاديث النبوية وما يتعلق بها من آثار، واستطراد في المعاني، وأسباب الورود.

كما دُرست أسانيد الأحاديث دراسة دقيقة لمعرفة المقبول منها

---

(١) والإسناد هو: سلسلة رواة الحديث من النبي ﷺ إلى أصحاب الكتب المشهورة.

والمردود، ولأجل هذا أسس علم كامل هو «علم مصطلح الحديث» ووُضعت قواعده الشديدة، وسُجلت تلك القواعد في السطور؛ كما حُفظت في الصدور، فألفت المئات من المؤلفات في هذا العلم.

وقد بلغ من عناية السلف بالإسناد لما فيه من توثيق أحاديث نبيهم أنهم جعلوه من الدين ذاته لما فيه من حفظ الدين، قال ابن سيرين: «إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم»[١].

وقال عبد الله بن المبارك: «الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء»[٢].

وهذا الاهتمام بالأسانيد هو من خصائص هذا الأمة، فلم تكن الأمم السابقة عندها هذا التوثيق في الكتب السماوية فضلاً عن أقوال الرسل، قال أبو حاتم الرازي[٣]: «لم يكن أمة من الأمم منذ خلق الله آدم أئمة يحفظون آثار الرسل إلا في هذه الأمة»، فقال له رجل: يا أبا حازم: ربما رووا حديثاً لا أصل له، فقال: «علماؤهم يعرفون الصحيح من السقيم»[٤].

---

(١) رواه مسلم في مقدمة الصحيح الباب الخامس ص ١٤.

(٢) رواه مسلم في مقدمة الصحيح الباب الخامس ص ١٥.

(٣) محمد بن إدريس بن المنذر الرازي، أحد الأئمة الحفاظ الأثبات الحاذقين بعلل الحديث والجرح والتعديل، توفي سنة ٢٧٧هـ (البداية والنهاية لابن كثير ١١/٥٩).

(٤) منحة القريب المجيب لابن معمر ١٥.

وقال ابن حزم عن نقول الثقات لدين الله: «وهذا نقل خص الله عز وجل به المسلمين دون سائر أهل الملل كلها، وأبقاه عندهم غضاً جديداً على قديم الدهور»، كما ذكر أن أسانيد اليهود غير موصولة بموسى، وأما النصارى، فليس عندهم شيء من ذلك إلا تحريم الطلاق ومخرجه من كذاب صح كذبه[١].

ويقرر ابن تيمية أيضاً: أن اليهود والنصارى لا إسناد لهم فيما يرونه، وإنما الإسناد من خصائص هذه الأمة[٢].

كما قرر ذلك ابن كثير أيضاً[٣].

واقتضت العناية بالإسناد تسجيل سير الرواة وحفظها، فقام علم آخر، هو «الجرح والتعديل» وأُلفت فيه المجلدات الضخمة، وحُفظت فيه أسماء الرواة وبلدانهم وتواريخهم، وأقوال معاصريهم فيهم ممن يُعتد بقوله في هذا الأمر، كما حُرص على معرفة مدى عدالته وصدقه، كما عنوا بمعرفة درجة حفظه.

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل، علي بن أحمد بن حزم ٢ / ٢٢١ - ٢٢٢، تحقيق محمد ابراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، شركة مكتبات عكاظ، جدة، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

(٢) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ٧ / ٣٧، تحقيق د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٦ - ١٩٨٦م.

(٣) الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، الحافظ اسماعيل بن كثير ١٣٤، تحقيق احمد شاكر، مكتبة دار التراث، مصر، الطبعة الثالثة، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

ومن لم يُعرف له سيرة، حتى لو لم يُطعن فيه، فإنهم يتركون روايته بسبب جهالته، ويطلق على ذلك الحديث «مجهول» حتى لو عُلم كافة رواته واشتهروا بالصدق وقوة الحفظ.

«إن أئمة هذا الفن ـ الحديث ـ احتاطوا أشد الاحتياط في النقل، فكانوا يحكمون بضعف الحديث لأقل شبهة في سيرة الناقل الشخصية، أما إذا اشتبهوا في صدقه، وعلموا أنه كذب في شيءٍ من كلامه فقد رفضوا روايته وسموا حديثه «موضوعاً» أو «مكذوباً» وإن لم يعرف عنه الكذب في رواية الحديث، مع علمهم بأنه قد يصدق الكذوب.

وهكذا توثقوا من حفظ كل راوٍ، وقارنوا رواياته بعضها ببعض، وبروايات غيره، فإن وجدوا منه خطأً كثيراً، وحفظاً غير جيد ضعفوا روايته؛ وإن كان لا مطعن عليه في شخصه، ولا في صدقه، خشية أن تكون روايته مما خانه فيها الحفظ.

وقد حرروا القواعد التي وضعوها لقبول الحديث، وحققوها بأقصى ما في الوسع الإنساني، احتياطاً لدينهم، ونفياً للخطأ في سنة نبيهم، فكانت قواعدهم التي ساروا عليها أصح القواعد للإثبات التاريخي وأعلاها دقة..»[1].

ومن تلك القواعد على سبيل المثال، ما يختص منها بتلقي الأحاديث النبوية، حيث قسموا أنواع التلقي إلى أقسام، مثل:

---

(١) الدائرة ٤ / ٢٧٥ – ٢٧٦، في معرض رد أحمد شاكر عليهم.

ـ «السماع» أي سماع الأحاديث، واهتموا بمعرفة كل شيء عن ذلك حتى «صيغ التحديث» وهي الصيغ الموجودة بين أسامي الرواة كقولهم: عن فلان، وتسمي العنعنة، وكـ«وحدثنا»، و«أخبرنا»، و«أنبأنا..» سواء بصيغ الجمع أو الإفراد.

ـ «الكتابة» أي كتابة السنة، والتحديث من المكتوب.

ـ «القراءة على الشيخ» من كتب الشيخ نفسه.

ـ «المناولة» أي أخذ كتاب الشيخ.

ـ «الإجازة» أي إجازة الشيخ لتلميذه برواية كتبه.

فوضعوا لكل حالة ما يناسبها من الشروط والقواعد والآداب أحياناً[1].

«أفبعد هذا العمل الضخم، والإنتاج الهائل العظيم يأتي أولئك المستشرقون ليسحروا أعين الناس، ويستهوا عقولهم، ويضعوا الغشاء على أبصارهم؛ فيزعموا أنه ليس في الإمكان التحقق من صحة أي حديث عن النبي ﷺ، ثم يثبتوا الأحاديث وينفوها بما تشتهي أنفسهم، وترضي عقائدهم، ثم يلقوا على السنة كلها ظلالاً من الشك والريبة، بالهوى والبهتان، وبغير برهان ولا دليل»[2].

---

(١) انظر عامة كتب المصطلح، وممن توسع في بيانه القاضي عياض اليحصبي، في كتابه الإلماع في أصول الرواية وتقييد السماع ٤٥ ـ ١٠٥، تحقيق السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

(٢) الدائرة ٤ / ٢٧٥ ـ ٢٧٦، في معرض رد أحمد شاكر عليهم.

المطلب الثالث: محاولة التقليل من أهمية السنة النبوية:

جاء في الدائرة عند الحديث عن آيات الأحكام في القرآن: (كما أن بعض الأحكام التي وضعها محمد لم ترد في القرآن، وهي عادة قليلة الأهمية، ولم تطبق تطبيقاً عاماً بالرغم من صدورها عن النبي.

ومن أول الأمر لم توضع حجية النبي في الإسلام موضع الشك حتى في الأمور التي لم ينص عليها الكتاب. ولكن في الوقت نفسه كانت أفعاله تعتبر بشرية بحتة حتى ما مس منها أمور الدين، فكانت بهذا لا تعتبر معصومة عن الخطأ، ونقدت هذه الأفعال أكثر من مرة. وكان الكتاب نفسه يلومه أحياناً على بعض أفعاله)[1].

وبعد سطور قليلة نجد أن الكاتب نفسه يقول: (وإذا كان الجانب الأكبر من الفقه ينهض على سنة محمد «صحيحها وزائفها» فقد اعتبر المسلمون السنة منزهة عن الخطأ، ومن الصعب أن تجد هذا الرأي في القرآن «آل عمران ٣٩، النساء ٦٢، الأحزاب ١٢؛ النجم٣»[2]).

كما جاء أيضاً أن اتباع المسلمين لسنة النبي ﷺ مرده اتباع عادة الآباء في الجاهلية[3].

قلت: الرد على هذا الكلام من وجوه:

---

(١) الدائرة ٣/٤٩٢، أصول، شاخت.

(٢) الدائرة ٣/٤٩٥، أصول، شاخت.

(٣) الدائرة ١٣/٣٨٩، الحديث، جونيبول.

الأول: لا يمكن القول بأن السنة قليلة الأهمية أو أنها لا تطبق تطبيقاً عاماً، إذ لو بحثنا في القرآن الكريم عن طريقة تأدية الصلاة، أو كيفية أداء الحج، أو عن تفاصيل أنصبة الزكاة، ... وغيرها كثير، لما وجدنا لها تفصيلاً إلا بالرجوع إلى السنة النبوية.

ولا يمكن القول بأن الأحكام السابقة قليلة الأهمية؛ إذ أنها من أركان الإسلام الخمسة، وتطبق على نحو عام.

الثاني: كلام الكاتب متناقض فهل السنة عند المسلمين معصومة أم لا؟

فتارة يقول: إن أفعال النبي ﷺ بشرية لا تعتبر معصومة من الخطأ حتى ما مس منها الدين، وتارة أخرى يقول: إن السنة منزهة من الخطأ!

إن النبي ﷺ معصوم عن الخطأ فيما يبلغه عن الله كما جاء في القرآن: ﴿**إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ④ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ**﴾[1]، وباتفاق المسلمين أيضاً.

أما الأفعال الإجتهادية للنبي ﷺ فهو لا يقُر فيها على خطأ إن أخطأ، فما جاء عنه وسكت عن الكتاب فهو معصوم أيضاً، ولوم الكتاب له من أدلة صدقه ﷺ.

---

(١) النجم ٤ ـ ٥.

الثالث: أدعى الكاتب أن القرآن لم يشهد بأن السنة منزهة عن الخطأ، بل وأشار لتدعيم رأيه إلى أرقام بعض الآيات، وهي:

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(١).

وقوله سبحانه: ﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾(٣).

وقوله عز وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾(٤).

وقوله سبحانه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾(٥).

والآيات السالفة – كما هو معلوم – لا تدل على مراده، بل على العكس حيث تدل آية الأحزاب على وجوب الاقتداء به ﷺ، وفي هذا إيحاء بعصمته، وآية النجم صريحة بذلك.

والآيات الأخرى لا تدل من قريب أو بعيد على هذا الموضوع!

(١) آل عمران ٢٩.

(٢) النساء ٦٢.

(٣) النحل ٤٦.

(٤) الأحزاب ٢١.

(٥) النجم ٣.

فهو إما أن يكون خطأ مطبعياً، أو أنه إشارة من الكاتب للآيات التي تأمر بطاعة الرسول، وآية النحل سبقتها آيات الرسالة.

ولو أنه أشار إلى آيات المعاتبة في الأنفال والأحزاب وعبس لكان أقرب لرأيه، مع أن تلك الآيات لا تعارض أيضاً ما أسلفت ذكره من عصمته ﷺ في الوحي، وعدم إقراره على خطأ فيما دون ذلك.

الرابع: اتباع المسلمين لسنة النبي ﷺ والحرص عليها ليس مرده عادة اتباع الآباء في الجاهلية، بل هو مخالفة لتلك العادات، ومرد ذلك لد السيواسي، من ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً**﴾[1].

المطلب الرابع: ادعاء أن السنة النبوية من وضع المسلمين:

تكرر في الدائرة بصيغة الجزم والتقرير أن السنة النبوية قد وضع كثيراً من أحاديثها - إن لم يكن عامتها - المحدثون والمتكلمون بل والفقهاء لتقرير آرائهم ومذاهبهم، وتلك الأحاديث من وجهة نظرهم لا نستطيع تمييزها، مما يُسقط الثقة في مجمل السنة النبوية.

---

(١) الأحزاب ٢١.

وفيما يلي بعض النقول في هذا المعنى:

جاء في الدائرة: (من الواضح أن هناك أحاديث كثيرة لا يمكن أن تكون قد صدرت عنه «النبي ﷺ» كما أننا لا نستطيع أن نعرف أبداً الأحاديث التي صدرت عنه حقاً، وقد بين لنا قولد زيهر: أن الأحاديث ليست في الواقع إلا سجلاً للجدل الديني في القرون الأولى، ومن ثم كانت قيمتها التاريخية، لكن هذا السجل مضطرب، كثير الأغلاط التاريخية، وفيه معلومات مضللة لم تُؤخذ من مصادرها الأولى، حتى أنها أصبحت لا تصلح إلا لتكملة المصادر الأولى الأخرى وتوضيحها، ولهذا ينبغي أن نوجز الكلام في الأحاديث باعتبار أنها تعبر عن آراء محمد، أو آراء المسلمين في صدر الإسلام، ولا يقتصر الأمر على هذا، فإن الأحاديث التي نجد فيها مشابهة لما ورد في القرآن مشكوك فيها كذلك)(١).

كما جاء في الدائرة: (أن محمداً لم يكن سبب التناقض الذي نجده في الحديث، بل كان منشؤه اختلاف الفرق في الرأي، فأخذ كل منها يضع من الأحاديث ما يؤيد به رأيه، وينسبها إلى النبي، ونجد إلى جانب هذا أحاديث تنص صراحة على أن محمداً كان لا يرضى عن الجدل في الدين، بينما نجد أحاديث أخرى تصوره لنا مقبلا على الجدل إقبالا شديداً، كلا هذين النوعين مشكوك فيه على حد سواء،

---

(١) الدائرة ٤/ ٢٥٥، مادة (الله)، ماكدونالد.

وربما كان الأول من هذه الأحاديث قد وضعه الذين ظلوا مدة طويلة يرفضون تحكيم العقل في هذه الأمور، ويقنعون بما يصل إليهم عن طريق النقل.

ثم دخل على الحديث فيما بعد زيادات وتغييرات كثيرة، وأول هذه الزيادات ما كان خاصاً بالأساطير، ثم جعلت الأحاديث صفات الله أكثر وضوحاً، فصلت الكلام في صلته بالملائكة والجن، ونما الاعتقاد في الجن، وأصبح الكلام في فعل الله معقداً، نجد هذا كثيراً في صحيح البخاري، وبخاصة في كتاب التوحيد وبدء الخلق)(١).

كما جاء: (استباح الرواة لأنفسهم اختراع أحاديث تتضمن القول أو الفعل ونسبوها إلى النبي لكي تتفق وآراء العصر التالي، وكثرت الأحاديث الموضوعة، وتداولها الناس منسوبة للنبي ... والعلم مدين ديناً كبيراً لما كتبه قولد زيهر في هذا الموضوع)(٢).

كما جاء أيضاً في الدائرة في مادة التفسير عن كتب التفسير: (وتساءل النقاد المُحدَثون «قولد زيهر ولامنس وغيرهما» عن قيمة الأحاديث في هذه الكتب الجامعة، ولم يصلوا بعد إلى رأي يعززها كثيراً. والظاهر أن كثيراً من هذه الأحاديث موضوع إما لتقرير مسألة شرعية، وإما لأغراض كلامية، وإما لمجرد التوضيح، بل قد يكون لمحض اللهو والتسلية. ويذهب النقاد المحدَثون إلى أنه لا أمل في العثور في

---

(١) الدائرة ٤ / ٢٥٥ - ٢٥٦، مادة (الله)، ماكدونالد.

(٢) الدائرة ١٣ / ٣٩٠ - ٣٩١، الحديث، جوينبول.

هذه التفاسير على أخبار صحيحة عن أسباب نزول القرآن وإذاعته في الناس)[1].

كما جاء: (أما الأحاديث التي تناولت السحر، فإن من المستحيل أن نميز منها ما قاله النبي، وما وضع في المناظرات والتي وقعت بين الفرق بعد ذلك)[2].

قلت: الرد على هذا الكلام من وجوه:

أولاً: سبق الكلام على ما قام به أئمة الحديث من جهود جبارة للتثبت فيما ينقل عن النبي ﷺ، وما وضعوه من قواعد لتمييز الأحاديث المقبولة من الأحاديث المردودة، وفي هذا رد على زعمه بعدم قدرتنا على ذلك، وربما يكون المستشرق غير قادر لضعف بضاعته في هذا العلم، والواجب عليه حينئذ ألا يلبس رداء غيره ويتبجح بكلام من سماهم نقاداً، وإنما يستدل بكلام أهل العلم في هذا الشأن.

ثانياً: لم يكتف قولد زيهر بجعل الأحاديث النبوية سجلاً تاريخياً للخلاف بين المسلمين بل شكك في صحة هذا السجل، وكأنه يقول لا قيمة تذكر لتلك الأحاديث، حتى تلك الأحاديث التي يشهد القرآن لصحة معناها.

كل ذلك يُساق بدون أدلة تذكر، فلم يأت بالدليل والبرهان على

(١) الدائرة ٩ / ٤١٠، التفسير، كارده فو.

(٢) الدائرة، الأولى ١١ / ٣١٢، سحر، ماكدونالد.

ما قرره من أن تلك الأحاديث موضوعة من قبل المتكلمين، مع أن هذه دعوى عظيمة، حيث أن وضع الأحاديث معصية كبيرة في الإسلام، وهو مطالب بالحجة: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[1].

وقد تجاهل كاتب المقالة الجهود المضنية، والقواعد العظيمة التي وضعها أئمة هذا الشأن لتمحيص السنة النبوية من غيرها.

وقد لاحظ بعض الغربيين ضلوع إخوتهم في الهوى فيما يتعلق بالنسة النبوية؛ حيث قال أحدهم[2]: «إن رفض الأحاديث الصحيحة جملة واحدة، أو أقساماً منها ليست حتى اليوم إلا قضية ذوق؛ قضية قصرت عن أن تجعل من نفسها بحثاً علمياً خالصاً من الأهواء»[3].

ثالثاً: حذر العلماء والرواة من التساهل في رواية الحديث النبوي سواء في تحمله أو أدائه، وشددوا على التوثق منه، وأسقطوا عدالة من عُرف عنه الكذب في حديث الناس، وتركوا حديثه، فضلاً أن يظهر منه الكذب في حديث النبي ﷺ.

ووضع الحديث لم يكن ظاهرة عامة بل هو شذوذ مفضوح، فلا يسوغ للكاتب أن يقول: (استباح الرواة لأنفسهم اختراع أحاديث تتضمن القول أو الفعل ونسبوها إلى النبي). وليس ذلك من المنهج العلمي في شيء.

---

(١) البقرة ١١١.

(٢) هو ليبولد فايس في كتابه دفاع عن الإسلام ٢٤.

(٣) قالوا عن الإسلام لعماد الدين خليل ١٢٢.

رابعاً: لم يسق الكاتب تلك الأحاديث التي رأى أنها متناقضة، ولم يكلف نفسه ذكر مصادرها، وإنما اكتفى بذكر مثال واحد فقط، وهو تعارض الأحاديث الناهية عن الجدل في الدين، مع مجادلة النبي ﷺ.

وإذ كان التعارض هو السبب في الحكم على كلا النوعين من النصوص النبوية بالوضع فقد جاء في القرآن فيما يخص الجدل نصوص كالتي في السنة، فهل هي موضوعة أيضاً!

والجواب: أنه ليس هناك تعارض، لمن تدبر النصوص، أما قراءة العجلان لا سيما إذا اقترن بحقد وضغينة فلن تؤدي إلا لنتائج مدمرة.

ـعله الله له من الخمس، وهو

قال تعالى منكراً على المشركين جدالهم النبي ﷺ وهم يعلمون ببطلان حجتهم: ﴿**وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ**﴾[1]، ذلك أنه لما أخبر النبي أن الألهة من دون الله في النار كما جاء في قوله تعالى: ﴿**إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ**﴾[2]، احتجوا بعيسى وعزير، وقد عُبدا من دون الله، فقالوا رضينا أن تكون آلهتنا معهم، فرد الله عليهم بهذه الآية[3]. ذلك أن مساواة الرسل الهداة إلى التوحيد بالحجارة التي لا تعقل غير

---

(١) الزخرف ٥٨.

(٢) الأنبياء ٩٨.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٦/١٠٤.

صحيح. فبطل القياس، كما أن أولئك الرسل لم يرضوا بذلك.

وقال تعالى: ﴿ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴾(١).

كما جاء ذم الجدل في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴾(٢).

وقال تعالى ذاماً الكفار: ﴿ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾(٣).

كما جاء النهي عنه في قوله تعالى: ﴿ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ.. ﴾(٤).

وهذا النوع من الجدل المذموم في القرآن هو الذي كان ينهى عنه رسول الله ﷺ ويذمه، ومن أقوال النبي ﷺ ما جاء عنه ﷺ محذراً من الجدل بعد بيان الحق: (ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أُوتوا الجدل)(٥).

كما تلا النبي ﷺ قول الله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ

---

(١) الأنفال ٦.

(٢) الحج ٨، لقمان ٢٠.

(٣) غافر ٥.

(٤) البقرة ١٩٧.

(٥) الترمذي تفسير سورة ٤٢ برقم ٣٣٠٦ وصححه، وابن ماجة وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة ٤٥.

منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ﴾ إلى قوله ﴿ وما يذكر إلا أولوا الألباب ﴾[١]، وقال: (إذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عناهم الله، فاحذروهم)[٢].

وعند تدبر النصوص القرآنية والنبوية نجد أن الجدل المذموم وهو: الجدال فيما لا فائدة فيه، أو كان بغير علم، أو كان بعد تبين الحق، أو الجدال بالباطل، وليس بالحجج الصحيحة، أو كان مشغلا عن العبادة مثيراً للفرقة فيما لا طائل وراءه.

أما الجدال بالحسنى والمبيّن للحقائق الهادي الناس إلى سبيل الله، والمتسبب في إقامة الحجة على الناس، فهذا مشروع مأمور به، كما قال تعالى: ﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين** ﴾[٣].

ولا يعقل أن يكون النبي ﷺ ينهى عن مثل ذلك، بل هو ما كان يفعله النبي ﷺ، قال ابن القيم: «إن رسول الله ﷺ لم يزل في جدال الكفار على اختلاف مللهم ونحلهم إلى أن توفي، وكذلك أصحابه من بعده، وقد أمر الله سبحانه بجدالهم بالتي هي أحسن في السور

---

(١) آل عمران ٧.

(٢) أخرجه ابن ماجة وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة ١/١٤، برقم ٤٤، وأخرجه البخاري ومسلم بمعناه البخاري التفسير ٣/١، ومسلم العلم ١.

(٣) النحل ١٢٥.

المكية والمدنية، وأمره أن يدعوهم إلى المباهلة وبهذا قام الدين»[1].

خامساً: لم يسلك المستشرق سبيل أهل العلم في مناقشة تلك الأحاديث من ناحية ثبوتها، وأسباب وضعها، أو على الأقل الترجيح بينها، وهذا هو المُتبع عند العقلاء إذا لم يكن ثمة جمع بين معانيها. والعجيب أن حكم بالوضع على كلا النوعين من الأحاديث، مع أن رد بعض العلوم الظنية لتعارضها مع غيرها يقتضي عقلاً إثبات الغير.

سادساً: يلاحظ أنه لم يأبه بصحيح البخاري وأحاديثه، بل كان جريئاً في أحكامه، متعجلاً فيها من غير أدنى تمحيص، فيحكم على جملة من أحاديث البخاري بالوضع؛ بل بالأساطير، وقد غفل عن شدة تثبت البخاري وتحريه، ولو كان نقده علمياً لرُد عليه، ولكنه لم يذكر حججاً تُناقش، وإنما يجازف بتلك الأحكام في دائرة معارف «إسلامية»، مع أن المسلمين تلقوا صحيح البخاري بالقبول، ويعلمون أنه أكثر الكتب تحرياً وتثبتاً.

وأقل ما يمكن قوله هنا هو اعتراف الدائرة نفسها في ترجمة البخاري بهذه الميزة حيث يقول بروكلمان في نفس الدائرة عن الإمام البخاري: (واظهر في اختياره للأحاديث براعة فائقة، ومحصها

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر الدمشقي المشهور بابن قيم الجوزية ٣/٦٤٢، تحقيق شعيب وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

تمحيصاً دقيقاً، كم أنه كان عظيم الأمانة في إيراد المتن، وبذل جهداً لا يبارى لكي يصل إلى أضبط ما يمكن الوصول إليه، ولم يتردد في تفسير المواد بتعليقات موجزة متميزة عن النصوص، وكانت نصوص الصحيح منذ أول الأمر محل عناية كبيرة)[1].

سابعاً: لم يكن الخلاف في السحر ضمن الخلافات بين الفرق حتى تُوضع الأحاديث فيه كما ادعى، ولم تعرف مناظرات بين الفرق في السحر.

ثامناً: ادعى الكاتب أنه: (لا أمل في العثور في كتب التفسير على أخبار صحيحة في أسباب نزول القرآن)، مع قوله عن الطبري في نفس المادة: (ويشمل تفسيره المطول كثيراً من الأحاديث المسندة الصحيحة)[2].

ودعوة النقاد التي أقرها الكاتب دعوة عريضة تحتاج إلى بيان، كما أن إثبات صحة أي حديث في ذلك يبطل تلك الحجة.

والأحاديث الصحيحة في كتب تفسير القرآن كثيرة جداً، منها على سبيل المثال سبب نزول أول آيات نزلت من القرآن: ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** ﴾[3]. فقد ذكر سبب

---

(١) الدائرة ٦/ ٣٦٤، البخاري، بروكلمان.

(٢) الدائرة ٩/ ٤١٠، التفسير، كارده فو.

(٣) العلق ١ – ٥.

نزولها عامة المفسرين[1].

وسبب نزول الآيات باختصار كما هو ثابت أن أول ما بدئ به رسول الله من الوحي الرؤيا الصادقة، ثم حُبب إليه الخلاء، فكان يخلو يتعبد في غار حراء، حتى جاءه جبريل بهذه الآيات، فعاد خائفاً إلى خديجة – رضي الله عنها –.

وهذه القصة التي ذكرها عامة المفسرين وأخرجها البخاري ومسلم والإمام أحمد، ثابتة بالسند المتصل برواية العدول، وحسبنا اتفاق البخاري ومسلم عليها مع شدة تحريهم وتوثقهم.

وهذا الحديث رواه البخاري عن أربعة من مشائخه، ومسلم عن شيخ آخر، والإمام أحمد عن شيخين آخرين، فهذه سبعة طرق ومدارها على ابن شهاب الزهري[2]، ويحيى بن كثير[3] وكلاهما

---

(١) انظر تفاسيرهم لسورة العلق١، تفسير الطبري ٣٠/ ١٦١، وتفسير البغدادي: لباب التأويل في معاني التنزيل، علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي ٦/ ٥٣٧ ضمن كتاب مجموعة من التفاسير البيضاوي والنسفي والخازن وابن عباس دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة العامرة ١٣٢٠هـ، وتفسير ابن كثير ٤/ ٥٣٠، وفتح القدير لمحمد بن علي الشوكاني ٥/ ٤٦٧، دار الفكر، دطت.

(٢) محمد بن مسلم بن شهاب الزهري من صغار التابعين ومن الأئمة الحفاظ اجمع العلماء على اتقانه وحفظه توفي بالمدينة ١٢٣هـ. (انظر تهذيب التهذيب ٩/ ٤٤٥ – ٤٥٠، فتح الباري ١/ ٢٣).

(٣) يحيى بن كثير بن درهم العنبري مولاهم البصري خراساني الأصل من المحدثين الثقات توفي سنة ٢٠٦هـ. (انظر تهذيب التهذيب ١١/ ٢٦٦).

متفق على قبول روايتهم عند أئمة الجرح والتعديل[١]، ويحيى بن كثير أخذها عن أبي سلمة عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنه – [٢]، وابن شهاب أخذها بطريقين: الأول هو نفس طريق يحيى بن كثير السالف أي عن أبي سلمة عن جابر – رضي الله عنه – [٣]، والآخر عن عروة عن عائشة – رضي الله عنها – [٤]، وأبو سلمة[٥] وعروة[٦] متفق على قبول روايتهما أيضاً[٧]، فهذا حديث عزيز مروي بطريقين ثابتين يكفي أحدهما لقبول الحديث.

فهذا الحديث الثابت المروي في سبب نزول الآيات موجود في كتب التفسير التي نفى الكاتب وجود أحاديث صحيحة فيها تبين سبب نزول الآيات.

وأما ما يتعلق بالصفات فقد سبق مناقشته في موضعه[٨].

---

(١) انظر تهذيب التهذيب ٩/٤٤٥ – ٤٥٠، ١١/٢٦٦، فتح الباري ١/٢٣.

(٢) البخاري تفسير القرآن ٧٤.

(٣) البخاري الأدب ١١٨.

(٤) البخاري بدء الوحي ١، أحاديث الأنبياء ٢١، التعبير ١، مسلم الإيمان ١٦٠.

(٥) أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف تابعي مدني اتفق العلماء على حفظه واتقانه وفقهه توفي بالمدينة سنة ٩٤هـ. (انظر تهذيب التهذيب ١٢/١١٥ – ١١٧).

(٦) عروة بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي ٢٠ – ٩٢هـ، أبوه أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وجده لأمه أبو بكر الصديق، من كبار التابعين وأبرز علماء المدينة ومن الزهاد العباد، أجمع أهل العلم على إمامته وحفظه. (انظر تهذيب التهذيب ٧/١٨٠ – ١٨٥).

(٧) انظر تهذيب التهذيب ٧/١٨٠ – ١٨٥، ١٢/١١٥ – ١١٧..

(٨) انظر ص ٢٨١ – ٢٨٤.

واخيراً: فإننا نلحظ أن أولئك المشككين هم أهل كتاب، وإنني أقبل بالمقارنة العلمية بين ثبوت الروايات النبوية، وبين ما عندهم من روايات، بل بذات الكتب المقدسة عندهم.

إن روايات السنة بجملتها ثابتة أكثر من ثبوت نفس الكتب المقدسة عندهم؛ ذلك لأن روايات السنة مكتوب بعضها في عهد النبي ﷺ ونُقل غالبها مشافهة بأسانيد معروفة الرجال إلى عصر التدوين في القرنين الثاني والثالث.

«إن جمهور أهل الكتاب من اليهود والنصارى كانوا يعتبرون سلفاً وخلفاً الروايات اللسانية كالمكتوب، بل جمهور اليهود يعتبرونها أعتباراً أزيد من المكتوب، وفرقة الكاثوليك تعتبرها مساوية له، وتعتقد أن كليهما واجبا التسليم وأصلان للإيمان ... ويوجد سند اعتبارها من كتبهم المقدسة(١)»(٢).

وعند النظر في روايات أهل الكتاب نجد أن تلك الروايات المعتمدة عندهم ليست بشيء عند مقارنتها بروايات السنة النبوية، بل إن ذات الكتب المقدسة عندهم يُطعن في ثبوتها، لتناقضها، ولوجود عدة حلقات مجهولة فيها، حيث لا يوجد سند ثابت لها، وفقدان أصلها، حيث لا يوجد إلا ترجمتها، وعدم معرفتنا للمترجم، ولا بحاله(٣)، و«إذا كان بيتك من زجاج فلا تقذف الناس بالحجارة».

---

(١) ورد ذلك في مواضع كثيرة انظر مرقس ٤/٣٤، يوحنا ٢/٢٣، ٢١/٢٥، وغيرها كثير وفيها توصية المسيح لهم بقبول المشافهة كقبول المكتوب.

(٢) إظهار الحق لرحمت الله الهندي ٣/٨٩١.

(٣) انظر جميع ذلك ص ٤٤٤ وما بعدها من هذا البحث.

المطلب الخامس: الطعن في رواة السنة وكتبها:

جاء في الدائرة الطعن في الحديث الشريف من خلال الطعن في بعض الرواة، أو مروياتهم، أو النيل من كتب السنة.

وسأتناول في هذا المطلب ثلاث مسائل:

الأولى: طعن الدائرة في أبي هريرة - رضي الله عنه - وهو أكثر الصحابة رواية للأحاديث.

الثانية: انتقاص الدائرة للإمام الزهري، وهو من أكثر التابعين رواية للأحاديث.

الثالثة: انتقاص الدائرة للإمام البخاري وصحيحه.

المسألة الأولى: طعن الدائرة في أبي هريرة - رضي الله عنه -:

لم يسلم أبو هريرة - رضي الله عنه - من طعون الدائرة، بل كان التركيز عليه أكثر نظراً لكثرة رواياته عن النبي ﷺ، فقد جاء في مادة «أبو هريرة»: (وتقدر عدد الأحاديث التي تضاف إليه بخمسمائة وثلاثة آلاف حديث، لا ريب أن عدداً كبيراً منها نحل له... وقد اختلق الناس قصة تبرر اعتقادهم بعصمة ذاكرته عن الوقوع في الخطأ... فقالوا: إن النبي لفه بيده في بردة بسطت بينهما أثناء حديثهما، وبذلك ضمن أبو هريرة ذاكرة تحفظ كل ما سمع.. وتظهرنا طريقة روايته للأحاديث التي ضمنها أقل الأشياء شأناً بأسلوب مؤثر

على ما امتاز به من روح المزاح، الأمر الذي كان سبباً في ظهور كثير من القصص، ويظهر أن علمه الواسع بالأحاديث التي كانت تحضره دائماً قد أثار الشك في نفوس الذين أخذوا عنه مباشرة، والذين لم يترددوا في التعبير عن شكوكهم بأسلوب ساخر [البخاري فضائل الأصحاب ١١]، وقد اضطر أحياناً إلى أن يدفع عن نفسه تقوّل الناس. كل هذه الظروف تجعلنا نقف من أحاديث أبي هريرة موقف الحذر والشك، وقد وصفه شبرنكر: بأنه «المتطرف في الاختلاق ورعاً»، ويجب أن نلاحظ أيضاً أن كثيراً من الأحاديث التي تنسبها الروايات إليه إنما نحلت في عصر متأخر)[١].

كما كتب «ربصون» عن أبي هريرة في الطبعة الثانية، وشكك في جملة أحاديث أبي هريرة - رضي الله عنه - وإن كانت كتابته أقل تحاملاً من «قولد زيهر» حيث ذكر ملازمته للنبي ﷺ وتفرغه لذلك بخلاف «قولد زيهر»، وذكر دعاء النبي ﷺ له من غير تكذيب للقصة، وهذا استعراض لبعض ما جاء في ترجمته: (والأحاديث المنسوبة إليه فيها مادة كثيرة لا يمكن أن تكون صحيحة، ولكن يصعب علينا أن نقر ما نعته به «شبرنكر» بقوله: إنه المنافق الورع من الطراز الأول؛ لأن الأحاديث التي رفعت إليه ليست كلها بالضرورة من روايته... والمظنون أن أبا هريرة روى أخباراً كثيرة عن النبي ﷺ، على أن الصحيح منها قد يكون عدداً صغيراً من ذلك الحشد الهائل من

---

(١) الدائرة ٢ / ٢٥ - ٢٦، أبو هريرة، قولد زيهر.

الأحاديث التي رفعت إليه)[1].

قلت: تضمنت تلك النصوص دعاوى عدة، تصب كلها في بوتقة واحدة هي الوقوف موقف الشك من أحاديث أبي هريرة – رضي الله عنه – ، وأوجزها بما يلي:

– الجزم بأن أغلب أحاديثه منحولة عنه في وقت متأخر، أي الطعن فيمن روى عنه.

– تشكك بعض الرواة منه، ودفاعه عن نفسه.

– الدعوى باختلاق الناس لحديثٍ دعا فيه النبي ﷺ لأبي هريرة بالحفظ.

– الطعن في أبي هريرة نفسه والزعم باختلاق الحديث ورعاً.

ومناقشة تلك الدعاوى من وجوه عدة:

أولاً: أبو هريرة – رضي الله عنه – صحابي جليل أسلم سنة ست من الهجرة، اشتهر بكنيته لهرة كان يحملها واختُلف في أسمه، فقيل عمير بن عامر، وقيل عبد الرحمن بن صخر، وقيل غيره، وهبه الله ببركة دعاء نبيه ﷺ، وبحرصه موهبة الحفظ، فكان أكثر الصحابة حفظاً ورواية للأحاديث النبوية توفي بالمدينة سنة ٥٧هـ[2].

---

(١) الدائرة ٢ /٢٧، أبو هريرة، ربصون.

(٢) الإصابة لابن حجر ٤ /٢٠٢.

ولم يُتهم أبو هريرة بالوضع، وإنما كان يلومه البعض على الإكثار من الرواية، ولعل التخوف عائدٌ إلى الخشية من النسيان، وليس ذلك في مكانه حيث قوة حفظه وانتفاع الناس من أحاديثه.

وقد ذكر ابن تيمية «أن الصحابة كلهم كانوا يأخذون بحديث أبي هريرة كعمر وابن عمر وابن عباس وعائشة»، و «أن أحداً من الصحابة لم يطعن في شيء رواه أبو هريرة»(١).

كما ذكر ابن حجر الأقوال العديدة المحفوظة المبينة لاعتراف الصحابة بفضل أبي هريرة وحفظه وملازمته للنبي ﷺ(٢).

ولم يمتنع أحد من التابعين من رواية أحاديث أبي هريرة، أو يتحرج أحد من أهل العلم من بعدهم في نقلها والاستشهاد بها مطلقاً على سعة علمهم وشدة تحريهم، وأحاديثه مخرَّجة في كافة كتب أهل السنة قاطبة.

ثانياً: نرى هنا تناقض الكاتب وتشهيه فيما يأخذ ويرد من الأحاديث، وصاحب هذه الدعوى مطالب بالتفريق بين ما أقره من الأحاديث النبوية وبين ما أنكره.

إن إسناد حديث أبي هريرة الذي زعم الكاتب فيه تشكك بعض من أخذ عنه، هو على نفس درجة الأحاديث التي ينكرها الكاتب «قولد زيهر»، بل إنه حديث واحد يجعل بعضه موضوعاً، ويحتج

---

(١) مجموع الفتاوى ٤/ ٥٣٥.

(٢) فتح الباري ١/ ٢١٤ العلم ٤٢، ٧/ ٧٥ - ٧٦ فضائل الصحابة ١٠.

بالبعض الآخر.

فالبخاري روى كلام أبي هريرة الذي فيه: «إن الناس كانوا يقولون: أكثر أبو هريرة، وإني كنت ألزم رسول الله ﷺ بشبع بطني..»[1]، وروى حديث دعآء النبي ﷺ لأبي هريرة بعد أن شكى للنبي ﷺ نسيانه لبعض الأحاديث، فأمره النبي ﷺ ببسط ردائه ثم غرف منه، ثم قال له: ضمه، فقال أبو هريرة: فما نسيت شيئاً بعد ذلك[2].

وفي رواية أن النبي ﷺ قال: (من يبسط ثوبه فلن ينسى شيئاً سمعه مني) فبسط أبو هريرة ثوبه[3]، وفي رواية (إلا وعى ما أقول)[4]. وعند الرجوع لهذين الحديثين فإننا نجد أنهما حديث واحد رواهما البخاري ومسلم والإمام أحمد وغيرهما بأسانيد في غاية ما يكون من الصحة.

ذلك أن الحديث المتضمن لدعاء النبي ﷺ لأبي هريرة ودفاعه عن نفسه مروي بالأسانيد الآتية[5]:

١ – علي ● سفيان ● الزهري ● الأعرج[6].

٢ – أبو اليمان ● شعيب ● الزهري ● سعيد بن المسيب وأبو سلمة[7].

---

(١) البخاري فضائل اصحابة ١٠.

(٢) البخاري العلم ٤٢.

(٣) مسلم فضائل الصحابة ١٥٩.

(٤) البخاري البيوع ١.

(٥) مع ملاحظة حذفي لصيغ التحديث اختصاراً، ولاتصال الأسانيد.

(٦) البخاري الاعتصام بالسنة ٢٢.

(٧) البخاري البيوع ١.

٣ – موسى بن إسماعيل ● إبراهيم بن سعد ● الزهري ● الأعرج[١]، وفيه زيادة وهي: تعليل أبي هريرة بالحديث خشية كتم العلم.

٤ – قتيبة بن سعيد وأبو بكر بن أبي شيبة وزهير بن حرب ● سفيان بن عيينة ● الزهري ● الأعرج[٢].

٥ – عبد الله الدارمي ● أبو اليمان ● شعيب ● الزهري ● سعيد بن المسيب وأبو سلمة[٣].

٦ – عبد الرزاق ● معمر ● الزهري ● الأعرج[٤].

٧ – سفيان ● الزهري ● الأعرج[٥].

ونلاحظ أن مدار تلك الأسانيد هو الإمام الزهري.

وجاء تشكك بعض الرواة على حد زعم الكاتب، ودفاع أبي هريرة عن نفسه مجرداً عن حديث دعاء النبي ﷺ لأبي هريرة بالإسنادين الثامن والتاسع:

---

(١) البخاري المزارعة ٢١.
(٢) مسلم فضائل الصحابة ١٥٩.
(٣) مسلم فضائل الصحابة ١٥٩.
(٤) أحمد ٢/٢٧٤.
(٥) أحمد ٢/٢٤٠.

٨ - أحمد بن أبي بكر • محمد بن إبراهيم بن دينار أبو عبد الله الجهني • ابن أبي ذئب • سعيد المقبري[١].

٩ - عبد العزيز بن عبد الله • مالك • الزهري • الأعرج[٢]، وفيه نفس الزيادة المذكورة في الإسناد الثالث.

ويلاحظ أن الإسناد التاسع من رواية الزهري عن الأعرج مما يرجح أنه نفس الحديث السابق، ولكن اختصر بعض الرواة الدعاء فيه بدليل أن هناك رواية أخرى غير تلك الرواية جمعت بينهما كما سيأتي.

أما الإسناد الثامن فقد جاء نفسه في موضع آخر في حديث لم يُذكر فيه سوى الدعاء [٣] مما يرجح أنه قد جمع الأمرين ولكن الراوي ساق كل واحدة على حدة.

وهناك إسناد عاشر هو:

١٠ - إبراهيم بن المنذر • ابن أبي الفديك • ابن أبي ذئب • المقبري[٤].

وهو متابعة للثامن وفيها الدعاء وحده.

فهو حديث واحد اختصر بعض الرواة بعضه، وقد بيّن ابن حجر

---

(١) البخاري فضائل الصحابة ١٠.

(٢) البخاري العلم ٤٢.

(٣) البخاري العلم ٤٢.

(٤) البخاري المناقب ٦١.

أنهما حديث واحد، وأن أتم الروايات هي الرواية المروية بالإسناد الثالث لأنها جمعت بين الإنكار على أبي هريرة بكثرة الحديث، ودعاء النبي ﷺ له، وتعليل أبي هريرة بكثرة الحديث(١)، ونصها: قال أبو هريرة: «يقولون: إن أبا هريرة يكثر الحديث. والله الموعد. ويقولون: ما للمهاجرين والأنصار لا يحدّثون مثل حديثه؟ وإن إخوتي من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق. وإن إخوتي من الأنصار كان يشغلهم عمل أموالهم، وكنت أمرءاً مسكيناً ألزم رسول الله ﷺ على ملء بطني، فأحضر حين يغيبون، وأعي حين ينسون. وقال النبي ﷺ: (لن يبسط أحد منكم ثوبه حتى أقضي مقالتي هذه ثُمَّ يجمعه إلى صدره فينسى من مقالتي شيئاً أبداً)، فبسطت نمرة ليس عليَّ ثوب غيرها، حتى قضى النبي ﷺ مقالته، ثُمَّ جمعتها إلى صدري، فوالذي بعثه بالحق ما نسيت من مقالته تلك إلى يومي هذا. والله لولا آياتان في كتاب الله ما حدَّثتكم شيئاً أبداً: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (١٥٩) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴾](٢)»(٣).

وعلى فرض أنه حديث آخر ـ مع أنه ليس كذلك ـ فإن من لديه أقل إلمام بمصطلح الحديث وقواعد التثبت يعلم أن الروايتين على درجة

---

(١) فتح الباري ١٣/٣٢٢ الاعتصام ٢٢.

(٢) البقرة ١٥٩ ـ ١٦٠.

(٣) البخاري المزارعة ٢١.

واحدة حيث رُوِيَت كل منها بنفس الأسانيد تقريباً.

فالمعاني التي أنكرها المستشرق مروية بنفس طرق الحديث التي أعتمده، والمعاني التي أثبتها مروية بنفس الطرق التي نفاها.

فليس الأمر إذاً نتيجة دراسة للسند والمتن، وإنما هو غاية في التشهي والهوى، والذي ظهر بأجلى صورة.

إن أولئك القوم في تشهيهم واتباعهم الهوى ليصدق عليهم قوله تعالى في أعداء النبوة الأول: ﴿ .... **أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ** ﴾ (1)، وقوله تعالى: ﴿ **فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾(2)، وقوله تعالى: ﴿ **أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ**.. ﴾(3).

ثالثاً: الزعم بأن أبا هريرة اختلق الحديث ورعاً – وهذا ما زعمه شبرنكر ولقي تأييد قولد زيهر له – مفتقد لأي حجة صحيحة، وقد روى أبو هريرة حديث: (من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار)(4).

---

(1) البقرة ٨٧.

(2) القصص ٥٠.

(3) الجاثية ٤٥.

(4) البخاري العلم ٣٨، مسلم مقدمة ٣.

وهذا الحديث متواتر، وهو من أثبت الأحاديث النبوية[1].

فكيف يكون التقي الورع يسمع هذا الوعيد الشديد ويرويه لغيره ثم يكذب على النبي ﷺ.

إن الذي يضعون الأحاديث على النبي ﷺ ديانة معروفون، وهم جهلة بسنته ﷺ.

وقد تخلى بعض المستشرقين المتأخرين عن هذا الاتجاه - لتهالك الحجة -. وردوا تلك المقالة واستبعدوها، ومن ذلك كاتب المادة الثانية لأبي هريرة وهو المستشرق ربصون، الذي استبعد تلك الدعوى.

رابعاً: أما زعمهم بأن أغلب أحاديثه منحولة عنه فهو يفتقر إلى برهان، ورواة أحاديث أبي هريرة هم أنفسهم رواة بقية الأحاديث.

---

(١) هذا الحديث رواه تسعة وتسعون صحابياً انظر لقط الآلئ المتناثرة في الأحاديث المتواترة للزبيدي ٢٦١، وأخرجه عامة الأئمة وأخبروا بتواتره، وقد أخرجه البخاري العلم ٣٨، ومسلم مقدمة ٣، وأحمد ٢/٣٦٥، ٣/١٢، وابن ماجه مقدمة ٣٤، وغيرهم، وقد ذكر ابن حجر بعض طرقه الكثيرة حيث اتفق الصحيحان على إخراجه بأربعة طرق، وانفرد البخاري بأربعة أخرى، وانفرد مسلم بطريق، وصح في غير الصحيحين بستة طرق أخرى، كما ورد بأسانيد حسان بثمانية عشر طريقاً، وورد بخمسين طريقاً ضعيفاً، وعشرين بأسانيد ساقطة «فتح الباري لابن حجر ١/٢٠٣ كتاب العلم ٣٨».

المسألة الثانية : انتقاص الدائرة للإمام الزهري – رحمه الله – :

الزهري هو محمد بن شهاب الزهري من صغار التابعين، ومن أكثرهم حفظاً للسنة النبوية، سكن المدينة ومات بها سنة ١٢٣هـ[1].

وقد جاء في الدائرة في ترجمة الزهري: (وأدى الزهري فروض الولاء لمروان المتوفى عام ٦٥ هـ [ابن حجر التهذيب ٩ / ٤٤٥]...، ثم شخص إلى بلاط عبد الملك وربما كان قبل ذلك قبل سنة ٧٣ لأن اليعقوبي [٢ / ٣١٣] يقول إن عبد الملك أجاب أهل الورع الذين احتجوا على منعه الحج إلى مكة: هذا ابن شهاب الزهري يحدثكم عن رسول الله ﷺ : لا تشدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد. والحق أن هذا الحديث المنسوب إلى النبي والذي جاء فيه أن الحج يكون إلى المسجد الحرام ومسجد النبي في المدينة ومسجد بيت المقدس قد ورد في كتب الحديث الصحاح... ويصح لنا أن نفترض أن الزهري شخص إلى دمشق تحدوه آمال من هذا القبيل ليروي لعبد الملك ذاك الحديث المؤيد لدعوته باسم شيخه)[2].

كما جاء أيضاً الاعتراف بجهده وعلمه: (وقد جمع الزهري حشداً عظيماً من الأحاديث بفضل ما أبداه من همة لا تكل ... ولم يكتف الزهري ببذل الجهد في توطيد دعائم السنة النبوية فحسب بل

---

(١) تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ٩ / ٤٤٥ – ٤٥١ ،

(٢) الدائرة، الأولى ١٠ / ٤٤٥ – ٤٥٦ ، الزهري، هوروفتز.

وطد أيضاً سنة صحابة النبي ... وأضاف الزهري علمه إلى علم شيوخه، ومن ثم عدته الأجيال المتأخرة أعلم أهل الحديث. ومن ذلك قول مكحول: «أي رجل هو لولا أنه أفسدته نفسه بصحبة الملوك» ولم تقتصر مواهب الزهري على رواية الحديث، فقد كان إلى ذلك عارفاً بالتاريخ وبصيراً بالشعر)[1].

قلت: شيخه هو: سعيد بن المسيب، والدعوة هي منع عبد الملك الناس الحج إلى مكة، والحديث المؤيد هو حديث لا تشد الرحال.. الحديث.

وقد تنقص المستشرق من الزهري بأن أظهره بمظهر المتزلف إلى الملوك، وإن كان لم يصرح بأنه وضع الأحاديث إرضاء لهم، كما صنع قولد زيهر، وتأثر بها للأسف بعض المسلمين حيث ينقل د. مصطفى السباعي عن مدرسه د. علي حسن عبد القادر قوله: «إن عبد الملك بن مروان منع الناس من الحج أيام فتنة ابن الزبير. وبنى قبة الصخرة في المسجد الأقصى ليحج الناس إليها بعقيدة دينية، فوجد الزهري وهو ذائع الصيت في الأمة الإسلامية مستعداً لأن يضع له أحاديث في ذلك، فوضع أحاديث منها حديث: لا تشد الرحال....، ومنها حديث الصلاة في المسجد الأقصى تعدل ألف صلاة...، وأمثال هذين الحديثين، والدليل على أن الزهري هو واضع هذه الأحاديث

(١) الدائرة، الأولى ١٠/٤٤٥ - ٤٥٦، الزهري، هوروفتز.

بزعمه: أنه كان صديقاً لعبد الملك، وكان يتردد عليه، وأن الأحاديث التي وردت في بيت المقدس مروية عن طريق الزهري فقط»[1].

قلت: الجواب على تلك الفرية من وجوه عدة:

أولاً: قول الكاتب: (وأدى فروض الولاء لمروان) ونسبتها إلى التهذيب، هو من قبيل التحريف الذي لا يتورع كثير من كُتَّاب الدائرة منه، فلا يوجد في التهذيب إلا قدومه على مروان، والعبارة هي: «وفدت إلى مروان وأنا محتلم»، وقد عقب ابن حجر بزيادة في رواية أخرى: أنه ذهب بصحبة ابن عمر وسالم مولاه[2]، وهل كان ابن عمر وسالم يؤديان الولاء أيضاً؟.

إن كان المقصود بالولاء ما يجب تجاه الإمام من الطاعة في المعروف والنصيحة فجميعهم يؤدون ذلك؛ إذ أنه من الواجبات، وإن كان المقصود المداهنة والطاعة المطلقة من غير اعتبار للشريعة كما يرمي إليه المستشرق فهذا لم يفعله أحد منهم.

وهذا التلبيس والتحريف من عاداتهم، فهذا شيخهم قولد زيهر يحتج بقول الزهري: «إن الأمراء أكرهونا على كتابة أحاديث»، بينما النص هو: «إن الأمراء أكرهونا على كتابة الأحاديث»[3].

وهذا تحريف لكلام الزهري الذي كان يكره كتابة الأحاديث

---

(١) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ١٩١.

(٢) تهذيب التهذيب لابن حجر ٩/٤٥١.

(٣) االسنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ٢٢١.

النبوية لسعة حفظه، وكان يقول: «كنَّا نكره الكتاب، حتى أكرهنا عليه الأمراء، فرأيت ألا أمنعه مسلماً»[1].

ثُم إن دخول العالم على الأمير لا يقدح فيه إذا كان يؤدي ما عليه من النصيحة، والمنتفع من ذلك المسلمون، وكان دخول الزهري من هذا النوع، ولم يكن الزهري ليتنازل عن هذا الأمر فضلاً عن أن يكذب على رسول الله ﷺ، وقوته في الحق عند الخلفاء تبينها معارضته للوليد بن عبد الملك عندما قال إن الذي تولى كبره في الإفك هو علي، وكان الزهري حاضراً فلم يسكت بل قال: «أصلح الله الأمير ليس كذا، بل هو عبد الله بن أبي»[2] فضلاً عن أن يعينه على ما يريد؛ في وقت كان الذود عن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – تهمة، فكيف إذا جمعت مع ذلك تخطئة الخليفة في مجلسه في تلك المسألة الحساسة، والعجيب أن الكاتب بعد أن ساق هذا الحدث معترفاً به في هذه المادة، جعل السبب في معارضة الزهري للخليفة هو دين على الزهري لعلوي!

سبحانك هذا بهتان عظيم!

ثانياً: لا يعقل أن يوجه عبد الملك الناس للحج من مكة إلى بيت المقدس، فمن المعلوم بالضرورة – حيث تواتر الكتاب والسنة واتفق أهل العلم عليه – أن الحج الركن الخامس في الإسلام لا يؤدى إلا في

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ٥/ ٣٣٤.

(٢) تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام، للذهبي ٥/ ١٤٥، مكتبة القدس، القاهرة ١٣٦٧هـ.

مكة، ومن مناسك الحج شعائر الطواف حول الكعبة، والسعي بين الصفا والمروة، والوقوف بعرفة، والمبيت بمزدلفة، والمبيت بمنى ورمي الجمار بها، فهل دعا عبد الملك أيضاً إلى بدائل عنها؟!

إن تلك الدعوة كفر صريح لم يكن ليفعله عبد الملك، وقد كان فقيهاً عالماً، ولوفعله لشنع خصومه عليه به!

ثم إن أي عاقل يعلم استحالة قبول المسلمين لتلك الدعوة، وإن من شأنها إسقاط صاحبها!

وربما أن عبد الملك لَمَّا كان محارباً لابن الزبير، وكان الناس يذهبون إلى مكة فيجتمعون مع ابن الزبير أراد صرفهم عنه بإشاعة الأحاديث في فضائل بيت المقدس[1].

ثالثاً: ذكر المستشرق أن الأجيال المتأخرة عدته أعلم أهل الحديث وساق قول مكحول كمثال، ومن المعلوم أن مكحول[2] من المتقدمين وليس من المتأخرين حيث كان معاصراً للزهري، بل توفي قبله، والمشهور عن مكحول قوله: «ما أعلم أحداً بسنة ماضية من الزهري»، ولم أجد المقولة الأخرى التي نقلها المستشرق[3]، وقد ساق تلك

---

(١) انظر قريباً من ذلك في مجموع الفتاوى ١٥/ ١٥٤.

(٢) مكحول الدمشقي أو الشامي أصله من كابل فقيه من رواة الأحاديث الثقات توفي سنة ١١٨هـ أو قبلها. (انظر طبقات ابن سعد ٧/٤٥٣ - ٤٥٤، تقريب التهذيب ٢/٢٧٣).

(٣) طبقات ابن سعد ٢/٣٨٩، تهذيب التهذيب ٩/٤٤٩.

المقولة بصفة المدح وهي تحمل الذم، وهناك عشرات المقولات الأكثر مناسبة التي كان من الواجب الاستشهاد بها.

والحق أن الزهري اعترف بفضله وعلمه الأجيال المتقدمة والمتأخرة ومن ذلك:

قول سفيان الثوري: «كان الزهري أعلم أهل المدينة»[1].

وقول الإمام مالك – وكان من تلاميذه – : «بقي ابن شهاب، وما له في الناس نظير»[2].

وقول الإمام أحمد: «الزهري أحسن الناس حديثاً وأجودهم إسناداً»[3].

وقول أبي حاتم: «أثبت أصحاب أنس الزهري»[4].

وقول النسائي[5]: «أحسن أسانيد تُروى عن رسول الله ﷺ أربعة: الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده، والزهري عن عبيد الله عن ابن عباس، ...»[6].

---

(١) الجرح والتعديل، عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ٤ /٧٤، المطبعة العثمانية بحيدر أباد، الطبعة الأولى ١٣٧٢هـ – ١٩٥٣م.

(٢) سير أعلام النبلاء ٥ /٣٣٦.

(٣) سير أعلام النبلاء ٥ /٣٣٥.

(٤) سير أعلام النبلاء ٥ /٣٣٤.

(٥) أحمد بن علي بن شعيب النسائي صاحب السنن ومن أئمة وحفاظ الحديث كان ورعاً تقياً توفي سنة ٣٠٣ هـ (البداية والنهاية ١١ /١٢٣).

(٦) تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ٩ /٤٤٨.

وقول الذهبي: «الإمام العَلَم حافظ زمانه»[1].

وقد لخص ابن حجر ذلك بقوله: «الفقيه الحافظ، متفق على جلالته وإتقانه»[2].

وقال أيضاً: «اتفقوا على إتقانه وإمامته»[3].

إن الطعن في مثل هذا الرجل المجمع على إمامته يتعدى الطعن في شخصه إلى الطعن في مؤرخي الأمة ونقادها.

رابعاً: يستحيل على الإمام الزهري مراعاة الحكام في هذا الجانب، وقد اشتهر بالورع والتقوى، وتحري الصدق في رواية الأحاديث النبوية.

نعم هو حدَّث عبد الملك بحديث النبي ﷺ كما سمعه، وأن عبد الملك قضى ديناً على الزهري[4]، وهذا من تشجيع الخلفاء للعلماء، ولا يدل بالضرورة على زعم الكاتب، إذ إن العطاء حق للمسلمين، وحق العلماء المتفرغين للعلم أكبر.

---

(١) سير أعلام النبلاء ٥/٣٢٦.

(٢) تقريب التهذيب، أحمد بن حجر العسقلاني ٢/٢٠٧، دار المعرفة بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م.

(٣) فتح الباري ١/٢٣.

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي ٥/٣٢٩.

ولو كان العطاء أو قضاء الدين لمجاملة الخليفة والكذب على رسول الله ﷺ، لو كان الأمر كذلك لقدح فيه علماء الجرح والتعديل الذين لا يجاملون في هذا الأمر، حيث كانوا في غاية الاحتياط لحديث رسول الله ﷺ، ولكننا نجد اتفاق علماء السنة على إمامة الزهري، ومدح علمه وحديثه، كما سبق.

خامساً: فهْم المستشرق لحديث (لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد) بأنه يجيز الحج إلى هذ المساجد الثلاثة غير صحيح، وإنما غاية ما يدل عليه الحديث هو: فضل تلك المساجد الثلاثة بأن شُرِع السفر إليها بقصد التعبد فيها.

ولو فرضنا جدلاً أن عبد الملك أراد ذلك، وقبِل الزهري بأن يضع الحديث، فإن المفروض منه عقلاً أن يضع حديثاً صريحاً يؤكد دعوة عبد الملك في مشروعية الحج لبيت المقدس، إذ كان في مقدوره ذلك.

سادساً: لو وضع الزهري الحديث لأنكر عليه شيخه سعيد بن المسيب الذي كان حياً حينذاك: ولم يكن ليقبل أن يكذب الزهري عليه.

سابعاً: لو كان هذا الحديث موضوعاً لبينه العلماء والنقاد المسلمون، ولما خفي عليهم تلك المدة حتى يبينه أولئك المستشرقون، فقد سبق لعلماء المسلمين بيان وضع وضعف أحاديث كثيرة من جملتها أحاديث في فضل الشام

وفلسطين[1].

ثامناً: هذا الحديث يرويه غير الزهري باعتراف المستشرق حيث يقول عن حديث لا تشد الرحال: (ولكنه ورد في أحاديث أخرى بإسناد آخر لم يذكر فيه اسم الزهري [مثل الترمذي مواقيت باب ١٢٦، ابن ماجة الإقامة باب ١٩٦، أحمد بن حنبل ٣/ ٧، ٣٤، ٤٥، ٥١، ٦٤، وفي مواضع أخرى])[2].

وهذا الحديث ورد في الصحيحين عن طريق الزهري عن سعيد عن أبي هريرة[3].

كما رواه البخاري من غير طريق الزهري، عن أبي سعيد الخدري من طريق شعبة[4].

ورواه مسلم بطريق ثالث مستقل ولا صلة للزهري به، عن أبي هريرة بلفظ: (إنما يسافر إلى ثلاث مساجد: مسجد الكعبة، ومسجدي، ومسجد إيلياء)[5].

---

(١) انظر على سبيل المثال مجموع فتاوى ابن تيمية ١٥/ ١٥٢، و١٧/ ٤٦٤، و٢٧/ ١٦، ٤٨، ومختصر المقاصد الحسنة، محمد الزرقاني ح ١٠٣٠، تحقيق محمد الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠١ هـ.

(٢) الدائرة، الأولى ١٠/ ٤٥٦، الزهري، هوروفتز.

(٣) البخاري فضل الصلاة ٦، مسلم الحج ٥١١.

(٤) البخاري فضل الصلاة ٦.

(٥) مسلم الحج ٥١٣.

المسألة الثالثة: انتقاص الإمام البخاري وصحيحه:

البخاري هو محمد بن إسماعيل البخاري ١٩٤ – ٢٥٦هـ اتفق العلماء على سعة علمه بالسنة وإتقانه لها. حفظ مئات الآلاف من الأحاديث النبوية، وألف كتابه الصحيح الذي تلقته الأمة بالقبول وشهد له الجميع بشدة تحريه فيه(١).

وقد أخذت ترجمة الإمام البخاري في الدائرة صفحتين فقط، على الرغم من جلالته وعظيم مكانته، في حين أنها أفردت الصفحات الكثيرة لمن هم أقل منه مكانة وتأثيراً بمراحل(٢).

ومع حسن سيرته، وسعة علمه، ودقة ضبطه، وتأليفه لأصح كتاب بعد كتاب الله، فإنه لم يسلم – رحمه الله – من لمز كُتَّاب الدائرة في تلك الصفحتين، والتي حاولوا الظهور بمظهر المنصف، فقد جاء فيها في مادة البخاري: (وتعتمد شهرته على جامعه في الحديث؛ وعنوانه: الجامع الصحيح، وقد رتبه على أبواب الفقه واصطنع لذلك طريقة كاملة، وإن لم يوفق إلى إيجاد مواد الحديث اللازمة لجميع الفصول، واظهر في اختياره للأحاديث براعة فائقة، ومحصها تمحيصاً دقيقاً، كما أنه كان عظيم الأمانة في إيراد المتن، وبذل جهداً لا يبارى لكي يصل إلى أضبط ما يمكن الوصول إليه، ولم يتردد في تفسير المواد

---

(١) تهذيب التهذيب لابن حجر ٩/٤٩ – ٥٥.

(٢) انظر مثلاً ترجمة أبي نواس الماجن ٢ / ١٣ – ١٩، وترجمة جلال الدين الرومي الشاعر الصوفي ١٢ / ١٨٩ – ٢٠٣.

بتعليقات موجزة متميزة عن النصوص، وكانت نصوص الصحيح منذ أول الأمر محل عناية كبيرة بيد أن البخاري لم يستطع التخلص من الاختلافات التي ذكرها الشرّاح)[1].

كما جاء فيها أيضاً عن صحيحه: (ومن الخصائص المميزة لصحيح البخاري: عناوين الأبواب، أو ما يسمى ترجماتها التي تتسم في كثير من الأحيان بالهوى، كما تكون في بعض الأحيان مضللة، مثال ذلك: عندما يُقدِّم لحديث يتكلم عن المساجد التي تشد إليها الرحال وهي: المسجد الحرام، ومسجد المدينة، والمسجد الأقصى، بعنوان: في فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة)[2].

كما جاء أيضاً في موضع آخر: (ثم دخل على الحديث فيما بعد زيادات وتغييرات كثيرة، وأول هذه الزيادات ما كان خاصاً بالأساطير، ثم جعلت الأحاديث صفات الله أكثر وضوحاً، وفصلت الكلام في صلته بالملائكة والجن، ونما الاعتقاد في الجن، وأصبح الكلام في فعل الله معقداً، نجد هذا كثيراً في صحيح البخاري، وبخاصة في كتاب التوحيد وبدء الخلق؛ ونجد فيه كذلك الكلام عن وجه الله، وعن عرشه، وعن خلق السموات والأرض، وجاء فيه أيضاً أن الله يتنزل إلى السماء الدنيا فيقول: «من يدعوني فأستجيب له؟ من يستغفرني فأغفر له؟». وترد كذلك قصة آخر من يدخل الجنة من أهل النار وكيف يضحك الله منه. وفي الآخرة يمسك الله الأرض على إصبع،

---

(١) الدائرة ٦/٣٦٤ – ٣٦٥، البخاري، بروكلمان.

(٢) الدائرة، الأولى ١٤/١٥٩، صحيح، الفرد كييوم.

والسموات على إصبع، ثم يقول: «أنا الملك، أين ملوك الأرض؟». ثم يضع قدمه على النار ليفسح فيها مكاناً. وورد الكلام عن عينه في القرآن تارة بالمفرد، وتارة بالجمع. وجاء في الحديث أنه ليس بأعور كالمسيح الدجال)(١).

قلت: بيان افتراءات هذا الكلام من وجوه:

الأول: فيما يتعلق بعدم توفيق البخاري - كما يزعم الكاتب - في إيجاد مواد الحديث اللازمة لجميع الفصول؛ فإن كلامه هذا يدل على جهله بالصحيح، وبسرعة أحكامه؛ ذلك أن البخاري - رحمه الله - له شروط فيما يُورد من أحاديث، ومنهجٌ في التأليف، وعدم إيراد بعض الأحاديث في بعض الأبواب يتمشى مع منهجه، حيث أنه يتجنب تكرار الحديث الذي ورد في باب سابق، أو لعدم وجود حديثٍ على شرطه، مع وجود حديثٍ صحيح دون شرطه، وإيراد الترجمة مجردة من أي حديث خير من عدمها؛ ذلك أنها مشعرة لذوي الألباب بمقصوده، وهذا من رجحان عقله - رحمه الله - ومن عرف منهجه زال عنه ما أشكل عليه فيه من إشكالات.

نقل ابن حجر عن الشيخ محيي الدين قوله: «ليس مقصود البخاري الاقتصار على الأحاديث فقط، بل مراده الاستنباط منها، والاستدلال لأبواب أرادها؛ ولهذا المعنى أخلى كثيرا من الأبواب عن إسناد الحديث، واقتصر فيه على قوله: [فيه عن فلان عن النبي ﷺ]

---

(١) الدائرة ٤/ ٢٥٦، مادة (الله)، ماكدونالد.

أو نحو ذلك، وقد يذكر المتن بغير إسناد، وقد يورده معلقاً، وإنما يفعل هذا؛ لأنه أراد الاحتجاج للمسألة التي ترجم لها، وأشار إلى الحديث؛ لكونه معلوماً، وقد يكون مما تقدم، وربما تقدم قريباً، ويقع في كثيرٍ من أبوابه الأحاديث الكثيرة، وفي بعضها ما فيه حديث واحد، وفي بعضها ما فيه آية من كتاب الله، وبعضها لا شيء فيه البتة، وقد ادعى بعضهم أنه صنع ذلك عمداً؛ وغرضه أن يبين أنه لم يثبت عنده حديث بشرطه في المعنى الذي ترجم عليه»[1].

الثاني: أما ما يتعلق باختلافات الشراح، فإن عدم جزم البخاري في تراجمه بالحكم دليلٌ على ورعه ودقته، وليُشعر القارئ بالخلاف بين العلماء في المسألة، وأن الدليل يحتمل كلا القولين، بخلاف المسائل الراجحة عنده لقوة دليلة فإنه يجزم بها.

الثالث: أما قول الكاتب: إن التراجم تتسم في كثير من الأحيان بالهوى؛ فإن هذا من الأحكام الظالمة التي يطلقها كتاب هذه الموسوعة على أنها مسلَّمات، مع أنها طعن فيمن شهدت لهم الأمة بالعلم والفضل، وهم يطلقون هذه الأحكام مجردة من الأدلة والأمثلة في الغالب.

وهنا لم يذكر الكاتب ما يدل على الهوى الذي في تراجم الصحيح رغم كثرتهاحسب زعمه. وحسبي في هذا المقام قول الله

---

(١) فتح الباري المقدمة ١٤/٨، وهي في المجلد الأول في بعض الطبعات الأخرى.

تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[(١)].

بل إن تراجم الصحيح هي من دلائل فقه الإمام البخاري وحسن استنباطه، فسبحان الله كيف تحولت الميزة إلى عيب في أنظار هؤلاء القوم الذين ملأ الحقد قلوبهم على حفظة سنة رسول الله ﷺ، فلا يضر الإمام بعد ذلك انتقاد قاصري الأفهام، كما لا يعيب أن يكون الحلو مراً إذا ورد على معيب الذوق.

قال ابن حجر في مقدمته لشرح الصحيح في بيان فقه الإمام وعلو منزلته: «وكذلك الجهة العظمى الموجبة لتقديمه وهي ما ضمَّنه أبوابه من التراجم التي حيرت الأفكار وأدهشت العقول والأبصار، وإنما بلغت هذه الرتبة، وفازت بهذه الحظوة؛ لسبب عظيم أوجب عِظمها، وهو ما رواه أحمد بن عدي عن عبد القادر بن همام قال: شهدت عدة مشايخ يقولون: حوَّل البخاري تراجم جامعه - يعني بيضها - بين قبر النبي ﷺ ومنبره، وكان يصلي لكل ترجمة ركعتين.

ولنشرع الآن في الكلام عليها، ونبين ما خفي على بعض من لم يمعن النظر، فاعترض شاب غر على شيخ مجرب أو مكتهل، وأوردها إيراد سعد، وسعد مشتمل «[ما هكذا تورد يا سعد الإبل]»[(٢)].

---

(١) البقرة ١١١.

(٢) فتح الباري، المقدمة ١٤/١٣.

وقال العلامة عبد السلام المباركفوري[1]: «لقد راعى الإمام البخاري في تراجم أبواب صحيحه مقاصد عالية، وأهدافاً سامية نبيلة، ففي بعض الأحيان يشير إلى النكات الفقهية الدقيقة، وأحياناً أخرى يبين الأصول الحديثية، وعللها الغامضة التي تحتاج إلى نظر ثاقب، وفهم صائب، وفطنة خارقة، وذكاء موهوب، مع سعة الأفق، وكثرة الاطلاع. أما الطبائع المعكوسة الزائفة، والعقول الضيقة، والأنظار المحدودة، أو أولئك الذين يتقيدون بالأصول الموروثة، أو تفريعات أهل الرأي، فقد حرموا من الوصول إلى دقائق تراجم الإمام البخاري، ولذلك تراهم تارة يطعنون في تراجم صحيح البخاري، وتارة أخرى يعترضون بعدم الموافقة بين التراجم والأحاديث المذكورة فيها:

وكم من عائب قولاً صحيحاً   وآفته من الفهم السقيم

مع أن حكم الفقهاء والمحدِّثين في شأن تراجمه أصبح مضرب المثل؛ وهو قولهم: [فقه البخاري في تراجمه].»[2].

---

(١) عبد السلام المباركفوري ١٢٨٩ – ١٣٤٢ هـ: عالم هندي سلفي ولد بمدينة مباركفور بالهند. تعلم الحديث الشريف واعتنى به. له كتاب سيرة الإمام البخاري.
(انظر مقدمة الكتاب ١٧ – ٢١، الدار السلفية – بومباي، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م).

(٢) سيرة الإمام البخاري، عبد السلام المباركفوري ١٣٣.

الثالث: أما قوله: إن التراجم تكون بعض الأحيان مضللة، فهذا يصدق على سطحي النظر، غير ممعن التدبر.

قال ابن خلدون[1] عن كتب السنة: «فأما البخاري وهو أعلاها رتبة فاستصعب الناس شرحه، واستغلقوا منحاه من أجل ما يحتاج إليه من معرفة الطرق المتعددة ورجالها من أهل الحجاز والشام والعراق، ومعرفة أحوالهم واختلاف الناس فيهم، ولذلك يحتاج إلى إمعان النظر في التفقه في تراجمه؛ لأنه يترجم الترجمة ويورد فيها ذلك الحديث بعينه لما تضمنه من المعنى الذي ترجم به الباب، وكذلك في ترجمة وترجمة إلى أن يتكرر الحديث في أبواب كثيرة بحسب معانيه واختلافها»[2].

وأما المثال الذي ذكره، فإنه رغم تحرز كتاب الدائرة من ذكر الأمثلة، فإن المثال الذي اختاره الكاتب بنفسه، لا يدل على مراده، وإني استعجب من اختياره له، فإن المناسبة بين الترجمة والحديث ظاهرة، فالترجمة: باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، والحديث الذي عناه الكاتب هو حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -

---

(١) هو عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون الحضرمي الإشبيلي ٧٣٢ - ٨٠٨ هـ، فيلسوف مؤرخ، وعالم اجتماع وفقيه تولى قضاء المالكية بمصر. (انظر الأعلام للزركلي ٣/٣٣٠).

(٢) مقدمة ابن خلدون ٤٤٣، عبد الرحمن بن خلدون المغربي، دار الكتاب العربي، بيروت الطبعة الخامسة دت.

عن النبي ﷺ قال: (لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ، والمسجد الأقصى)[1]، قال ابن رشيد: «لم يقل في الترجمة وبيت المقدس، وإن كان مجموعاً إليهما في الحديث لكونه أفرده بعد ذلك بترجمة».

قال: «وترجم بفضل الصلاة وليس في الحديث ذكر الصلاة؛ ليبين أن المراد بالرحلة إلى المساجد قصد الصلاة فيها؛ لأن لفظ المساجد مشعر بالصلاة»[2].

وأما النقل الأخير من الحكم على أحاديث في الصحيح بالوضع فقد تقدم الكلام عليه[3].

المطلب السادس: طعون متفرقة في الأحاديث النبوية:

من يتأمل الدائرة يجد الاحتجاج بالأحاديث النبوية واعتمادها في مرات كثيرة دون نظر لصحتها، وقد يكون هذا مقبولاً إذا نُسب الحديث إلى مصادره، ولكن الأمر غير المقبول هو الحكم على الأحاديث النبوية «وبعضها في الصحيحين» بالوضع، أو التشكيك فيها من غير أدنى دراسة لإسنادها؛ وإنما بالتشهي والهوى.

وهذه أمثلة لهذا النوع من المطاعن:

---

(١) البخاري، المساجد ١.

(٢) فتح الباري ٣/٦٣، كلا النقلين.

(٣) انظر ص ٤٥٦.

أولاً: جاء في مادة «الأجر»: (والاجتهاد في أداء فرض ديني أو إصدار حكم مطابق للشريعة الدينية يوجب على الأخص ثواباً واحداً، حتى وإن كان الحكم الذي انتهى إليه خطأً، أما إذا كان صحيحاً فثمة وعد بثوابين أو عشرة، ويظهر أن أقدم رواية في هذا الصدد نشأت حوالي منتصف القرن الثاني للهجرة)[1].

قلت: هذه الرواية ثابتة ولا مجال للطعن فيها، وهي في البخاري ومسلم وغيرهما بأسانيد ثابتة، ونصها: عن عمرو بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول: (إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد، ثم أخطأ فله أجر)[2].

ما السبب في محاولة «شاخت» الطعن في هذه الرواية؟

إن الجواب على ذلك ما يظهر من مزية للإسلام بالحث على الاجتهاد، ونيل صاحبه أجره عليه بغض النظر عن صوابه وخطئه بشرط توفر آلته لدى المجتهد، فإذا أصاب مع اجتهاده نال أجراً آخر؛ ليكون حافزاً على بذل مزيد من الجهد لإدراك الصواب.

إن ما في الإسلام من حوافز نحو التدبر والتعقل والتفكير مما يُفتقد عند أهل الكتاب، إن ذلك تسبب في حسدهم لهذا الدين، فينطلقون

---

(١) الدائرة ٢/٢٣٦، الأجر، شاخت.

(٢) البخاري الاعتصام ٢١، مسلم الأقضية ١٥.

من ذلك الحقد البغيض لمحاولة طمس نور الشمس في رابعة النهار، وأنى لهم ذلك؟

وتردده بين ثوابين وعشرة ليس في الروايات، ولكنه عجز منه في فهم السنة النبوية؛ ذلك أن الحسنة بعشر أمثالها، وهذه قاعدة عامة لا تختص بالاجتهاد، وعلى هذا فالمجتهد المخطئ له أجر واحد يضاعف إلى عشرة أمثاله، والمجتهد المصيب له أجران يضاعف أيضاً إلى عشرة أمثاله.

ثانياً: جاء في مادة «أم الولد»: (وهناك حديث من الأحاديث التي تذم التسري ظل إلى زمن البخاري [إيمان ٣٧: عتق ٨، مسلم إيمان ١، ٥، ٧] وهذا الحديث لا شك في أن خصوم العباسيين هم الذين وضعوه ثم حُرِف عن معناه، وكان فيه آخر صدى للاتجاه الجاهلي القديم)[١].

قلت: الحديث الذي جزم الكاتب أنه من وضع خصوم العباسيين رواه البخاري ومسلم، وهو حديث طويل يتضمن سؤال جبريل للنبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان، وعن أشراط الساعة، وفيه من أشراط الساعة: (وأن تلد الأمة ربتها)[٢].

والجملة الأخيرة تحتمل معنيين:

الأول: معناه اتساع الإسلام واستيلاء أهله على بلاد الشرك وسبي

---

(١) الدائرة ٤ / ٤٢٤، أم الولد، شاخت.

(٢) البخاري إيمان ٣٧، مسلم إيمان ١.

ذراريهم، فإذا ملك الرجل الجارية واستولدها؛ كان الولد منها بمنزلة ربها؛ لأنه ولد سيدها وهو قول الجمهور.

والثاني: أن تفسد أحوال الناس فيكثر بيع أمهات الأولاد، فيكثر ترددها في أيدي المشترين، حتى يشتريها ابنها ولا يدري[1].

إن خصوم العباسيين إن أرادوا وضع حديث في ذم العباسيين فليسوا بحاجة إلى وضع هذا الحديث الطويل لأجل تلك الفقرة التي تحتمل معاني عدة، منها معنى فيه مدح العباسيين، وهو ما تبادر إلى ذهن أكثر العلماء.

أما عند النظر في سنده، الذي لم يعره الكاتب أي اهتمام، فإن الحديث مما اتفق البخاري ومسلم على تصحيحه، وأخرجاه في صحيحيهما بطرق متعددة يستحيل معها أن يكون موضوعاً، بل هو مسلسل برواية العدول بالأسانيد الكثيرة، وهذه بعض منها:

– البخاري عن مسدد عن إسماعيل بن إبراهيم عن أبي حيان التيمي عن أبي زرعة عن أبي هريرة.

– البخاري عن إسحاق عن جرير عن أبي حيان التيمي عن أبي زرعة عن أبي هريرة[2].

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي ١/١٥٨ الإيمان ١، فتح الباري لابن حجر ١/١٢٢ إيمان ٣٧.

(٢) هذان الإسنادان في البخاري، الإيمان ٣٧، التفسير ٣١.

- مسلم عن عبد الله بن معاذ العنبري عن أبيه عن كهمس عن بريدة عن يحيى بن معمر عن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن أبيه - رضي الله عنهما - ، وقد ساقه عبد الله بن عمر للرد على القدرية.

- مسلم عن أبي خيثمة عن وكيع عن كهمس...

- مسلم عن محمد بن عبيد الغبري وأبي كامل الجحدري وأحمد ابن عبدة عن حماد بن زيد عن مطر الوراق عن عبد الله بن بريدة...

- مسلم عن محمد بن حاتم عن يحيى القطان عن عثمان بن غياث عن عبد الله بن بريدة...

- مسلم عن أبي بكر بن شيبة وزهير بن حرب عن ابن علية اسماعيل بن ابراهيم عن أبي حيان عن أبي زرعة بن عمرو عن أبي هريرة[1].

هذه الأسانيد موجودة في الصحيحين، وإلا فالحديث «مروي بأسانيد متعددة عن أنس وإسناده حسن عند البزار، وعن جرير البجلي عند أبي عوانة، ورواية أخرى لابن عمر عند الطبراني، وعن ابن عباس وأبي عامر الأشعري عند أحمد بإسناد حسن»[2].

---

(١) جميع تلك الأسانيد في مسلم، الإيمان ١.

(٢) فتح الباري لابن حجر ١/١١٦ إيمان ٣٧ بتصرف.

إن هذا الحديث رواه ستة من الصحابة عن النبي ﷺ بأسانيد منفصلة، حتى وصلت إلى الأئمة أصحاب كتب الحديث فدونوها بأسانيدها.

وإنني أتساءل: أين وكيف تم الوضع؟ هل اتفق الصحابة الأطهار على ذلك! وهذا لا يستطيع الكاتب ادعاءه؛ لأنهم قبل الدولة العباسية، إذاً هل اتفقت طبقات السند الواحد على وضعه مع كثر عددهم، وتباعد أماكنهم وتباينهم، واشتهارهم بالصدق والتحري؟ أم وضعه أصحاب الكتب المشهود لهم بالتقوى والصدق؛ مع أنهم لم يجتمعوا مطلقاً! ثم كيف انطلى عليهم جميعاً ذلك الوضع؛ وأدركه الكاتب؛ وأين هم أعداء العباسيين الذين وضعوا الحديث من أولئك؟!

إن العجيب في الأمر أن الكاتب لهذه المادة يحكم على هذا الحديث الثابت بالأسانيد الصحيحة وبالطرق المتعددة بالوضع، وفي الوقت ذاته في نفس هذه المادة يجعل الأثر الذي رواه أبو داود عن جابر في نهي عمر عن بيع أمهات الأولاد[1] صحيحاً، مع أن ما أنكره أثبت وأصح.

ومما يزيد العجب قوله في سبب صحة الأثر: «وثبتت صحته في رواية أخرى [كنز العمال ٤ / ٥١٢٦]»[2].

---

(١) أبو داود العتاق ٨، والحديث مختلف في صحته فقد ضعفه ابن القيم في مختصر سنن أبي داود، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٣٣٤٥.

(٢) الدائرة ٤ / ٤١٨، أم الولد، شاخت.

ومن المعلوم أن كنز العمال ليس كتاباً في رواية الأحاديث، وإنما هو يجمع الأحاديث التي رواها أصحاب الكتب، وتلك الرواية التي أشار إليها في كنز العمال هي نفس رواية أبي داود بذات الاسناد[1]، ولو أنه استدل بالرواية الثابتة التي في موطأ مالك عن نافع عن ابن عمر عن عمر لكان مصيباً[2].

إن ذلك التخبط لا حدود له، وينم عن حقد وجهل ذريع بقواعد التثبت في الأسانيد، وبعدم تطبيق أبسط الأسس العلمية في البحث على حد سواء.

إن هذا لا شك مُسقط لموضوعية الكاتب، وهو مسقط أيضاً للثقة في نقله وأحكامه.

ثالثاً: جاء في مادة بئر معونة بعد ذكر القصة المشهورة: (وقد اخترع المحدِّثون هذه القصة لتغطية حملة خانها التوفيق، ولإثبات كثرة عدد القراء، وشدة قدمهم، وإسباغ القداسة عليهم)[3].

قلت: أين الدليل على أنها حملة خانها التوفيق؟ ومن أين أتى بهذه المعلومة؟ وقد تقدم حرص المحدثين واستيثاقهم، فضلاً أن يخترعوا قصصاً، إن مخترعي القصص وضّاعون يعرف حقيقتهم أئمة الحديث.

---

(١) انظر كنز العمال ٤/ ٥١٢٦.

(٢) انظر الموطأ كتاب العتاق، عتق أمهات الأولاد ١.

(٣) الدائرة ٨/ ٥٦٤، بئر معونة، لامنس.

ثم أين القصة الحقيقية التي علمها الكاتب دون سواه؟!

إن إنكار المستشرقين لهذه القصة يهدف إلى محاولة إنكار أن يكون حفاظ القرآن بهذه الكثرة في تلك المرحلة المبكرة، ومن ثم سهولة التشكيك فيه. إن كثرة القراء مصدر إزعاج لأولئك الحاسدين، كما أن تضحيتهم في سبيل نشر دعوتهم هي الأخرى مصدر قلق لهم.

إن قصة بئر معونة مروية بأسانيد صحيحة وبطرق مختلفة وعن صحابة متعددين فقد رواها البخاري وحده بخمسة أسانيد مختلفة، عن أنس بن مالك باكثر من ثلاثة طرق مختلفة، وعن عائشة [1]، كما أنها موجودة في كتب السنة الأخرى وكتب السير والتاريخ، فالقصة واضحة لا غموض فيها.

إن المنهج العلمي يتطلب منه أن يبرهن على وضع المحدّثين لهذه القصة، ومطلوب منه أيضاً إثبات القصة التي ادعاها.

رابعاً: جاء في مادة «التصوف» قول ماسنيون – وهو مرجعهم في التصوف –: (إذا لا يخفى على أحد اليوم أن الحديث المشهور «لارهبانية في الإسلام» حديث موضوع، وليس من شك أنه وُضِع في القرن الثالث الهجري على أكثر تقدير تحبيذاً وتدعيماً لتفسير جديد للآية السابعة والعشرين من سورة الحديد التي ورد فيها ذكر الرهبانية،

(١) البخاري المغازي ٢٨.

وهو تفسير يحرمها ويعيذ الإسلام منها، وكان مفسرو القرون الثلاثة الأولى للهجرة أمثال مجاهد وأبي أمامة الباهلي، والمتصوفة القدامى الذين عُرِفوا بالحرص قد أجمعوا على تفسير هذه الآية تفسيراً يجيز الرهبانية ويمتدحها قبل أن يشيع التفسير المعارض الذي غلبه الزمخشري على جميع التفاسير)[1].

قلت: الجواب من وجوه:

أولها: من أين أتى بهذا التأكيد الجازم بوضع الحديث؟ علماً أنني لم أجد نص الحديث الذي ذكره، ولكن وجدت لفظاً مقارباً له، في مصنف عبد الرزاق بلفظ: «لا ترهب في الإسلام»[2].

ثانيها: إن الكاتب يتهم بعض المفسرين المسلمين بوضع الحديث تدعيماً لآرائهم، بينما الناظر لكتابة الكاتب، وتخطيه للأسس العلمية في سبيل إثبات ما يريده، إن الناظر لذلك ليدرك أن الكاتب يتهم غيره بما وقع فيه، وصدق القائل: «رمتني بدائها وانسلت».

ثالثها: معنى الحديث المذكور جاء ثابتاً أكثر من تلك الآراء التي يدعيها الكاتب، ومن ذلك:

قول النبي ﷺ: (عليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام)[3].

---

(١) الدائرة ٩/٣٢٩، التصوف، ماسنيون.

(٢) المصنف، عبد الرزاق الصنعاني ٨/٤٤٨ ح ١٥٨٦٠، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

(٣) رواه أحمد ٣/٨٢.

وقول النبي ﷺ لعثمان بن مظعون لما بلغه أنه يقوم الليل ويصوم النهار: (يا عثمان: إن الرهبانية لم تكتب علينا)[1].

وقول النبي ﷺ: (إني لم أومر بالرهبنة)[2].

وقول النبي ﷺ: (تزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة، ولا تكونوا كرهبانية النصارى)[3].

رابعاً: التفسير بتحريم الرهبنة لم يكن مصدره الزمخشري كما جزم الكاتب؛ بل هو موجود في كتب التفسير المتقدمة على الزمخشري. ومن ذلك ما رواه ابن جرير عن قتادة: « ﴿ **وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة** ﴾ فهاتان من الله، والرهبانية ابتدعها القوم من أنفسهم، ولم تكتب عليهم، ولكن ابتغوا بذلك وأرادوا رضوان الله فما رعوها حق رعايتها »، وفي رواية أخرى عنه: « لم تكتب عليهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله » وروى بسنده عن ابن زيد: « ابتدعوها ابتغاء رضوان الله تطوعاً فما رعوها حق رعايتها: كانوا غير

---

(١) رواه أحمد ٦ /٢٢٦، وابن حبان أبي حاتم محمد بن حبان البستي في صحيحه ١ /١٧٠ح ٩، ترتيب علاء الدين الفارسي، تحقيق شعيب الارنؤوط وحسين الأسد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
وصححه المحقق، وقال الألباني وإسناده صحيح، رجاله رجال الشيخين. سلسلة الأحاديث الصحيحة ١٧٨٢.

(٢) رواه الدارمي نكاح ٢، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ١٧٨٢.

(٣) رواه البيهقي في السنن الكبرى ٧ /٧٨، دار المعرفة، بيروت، دطت، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ١٧٨٢.

الذين ابتدعوها، ولكنهم كانوا المريدي الاقتداء بهم» كما نقل عن ابن عباس أثراً طويلاً يفيد نفس المعنى[1].

فما هو السر في حرص المستشرق على إظهار أن الإسلام يجيز الرهبنة؟ إن سبب ذلك هو شعور أولئك النصارى بفضل الإسلام وتميزه عن النصرانية بتحريم الرهبنة، والأمر بعمارة الأرض، والجمع بين الدين والدنيا في آن واحد.

خامساً: جاء في الدائرة عن تميم الداري [2]- رضي الله عنه -:(ويقال إن تميماً كان أول من روى القصص الديني، وقصص قيام الساعة وظهور الدجال، والجساسة من هذا الفن من فنون الآداب، وقد أخبر بها تميم النبي فأخذ بروايته وأذاعها بين الناس.

ويقال: إن تميماً شاهد بعينيه هذين المخلوقين العجيبين، وتحدث إليهما في جزيرة في آخر العالم ألقت به إليها عاصفة هبت عليه في رحلة له ببحار الشام، وقد حبس بهذه الجزيرة الدجال والجساسة انتظاراً لليوم الذي سوف يؤذن لهما فيه بالخروج إلى الأرض، وليس من شك أن أسطورة تميم هذه نشأت في عهد سحيق؛ لأننا نجدها بجميع تفصيلاتها في أقدم كتب السنة)[3].

---

(١) تفسير الطبري ٢٧/ ١٣٨، الحديد ٢٧.

(٢) تميم بن أوس الداري صحابي جليل كان نصرانياً فقدم المدينة وأسلم سنة تسع، انتقل إلى الشام بعد مقتل عثمان وسكن فلسطين واشتهر بالعبادة وطول الصلاة والتهجد. مات بفلسطين. (انظر الإصابة ١/ ١٨٤).

(٣) الدائرة ١٠/ ٥٩، تميم الداري، ليفي دلافيدا.

قلت: حديث تميم حديث صحيح رواه الإمام أحمد ومسلم والترمذي وأبو داود وابن ماجة بأسانيد متعددة عن فاطمة بنت قيس عن النبي ﷺ، وهو حديث طويل تضمن الحديث عن الدجال والجساسة وهما من أشراط الساعة[1].

والنبي ﷺ أخبر أصحابه بالدجال، وأما الجساسة فهي الدابَّة المذكورة في القرآن[2]، وقد فرح النبي ﷺ لموافقة مارآه تميم لما أخبر به أصحابه عن الدجال، ولما في القرآن من خبر الدابَّة.

وهذا الحديث من دلائل نبوته ﷺ، والذي يحرص بطبيعة الحال أولئك المستشرقون على إنكاره.

سادساً: جاء في مادة «السفينة»: (وليس بغريب أن توضع الأحاديث على لسان النبي فيما بعد، بعد أن تبينت في النهاية قيمة الملاحة في السلم والحرب، وكلها تبيح بشكل قاطع التجارة بحراً وتشيد بفضل الاستشهاد في البحر) ثم استشهد على صحة كلامه بحروب المسلمين في صدر الإسلام حينما كانت الحرب برية، وعلى تردد عمر في الغزو في البحر، ومعاقبته لبعض قواده لما غزوا بحراً بغير إذنه[3].

---

(١) أحمد ٦/٣٧٣، مسلم الفتن ١١٩، صحيح سنن أبي داود ٤٣٠٥، الترمذي الفتن ٢٢٥٣، صحيح سنن ابن ماجة للألباني ٣٢٤٩.

(٢) شرح مسلم للنووي ١٨/٧٨.

(٣) الدائرة الأولى ١١/٤٦١، السفينة، كندرمان.

قلت: ورد حديث في فضل الغزو في البحر وهو ثابت غير موضوع بل هو في الصحيحين، ونصه: أن النبي ﷺ استيقظ من نومه وهو يضحك، فلما سُئل عن ذلك، قال: (ناس من أمتي عرضوا عليَّ غزاة في سبيل الله يركبون ثبج [1]هذا البحر ملوكاً على الأسرة) فقالت أم حرام بن ملحان: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: (أنت من الأولين)[2]، فوقع كما أخبر ﷺ وركبت أم حرام البحر مع زوجها في زمن عثمان إبان إمارة معاوية[3].

وقد جاء الحديث تحت عنوان: «باب فضل الجهاد في البحر» في سنن النسائي بإسناد صحيح[4]، وتحت عنوان: «فضل غزو البحر» في سنن ابن ماجه بإسناد صحيح[5].

ولعل السر في محاولة المستشرق إنكار هذا الحديث هو ما تضمنه من دلائلٍ لنبوته ﷺ.

أما فعل عمر - رضي الله عنه - فهو اجتهاد منه خوفاً على المسلمين من الغرق حينما كان عدوهم متفوقاً عليهم بحراً، ولم تكن

---

(١) أي ظهره.

(٢) البخاري الجهاد ٣، مسلم الأمارة ١٦٠.

(٣) شرح مسلم للنووي ١٣/ ٥٩ الإمارة ١٦٠.

(٤) صحيح سنن النسائي للألباني برقم ٢٩٧٣.

(٥) سنن ابن ماجه، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي برقم ٢٨٠٢، شركة الطباعة العربية السعودية، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

الضرورة تستدعي ذلك في وقته الذي توسعت فيه الدولة الإسلامية كثيراً من غير احتياج إلى البحر.

والمستشرق احتج بما روي عن عمر - رضي الله عنه - مع أن الحديث في فضل الغزو في البحر أصح مما استشهد به، وهو مطالب بالتفريق بين ما يحكم عليه بالوضع، وبين ما يحتج به.

سابعاً: جاء في مادة «شهيد»: (والشهداء تغفر لهم كل ذنوبهم، فلا يحتاجون لشفاعة النبي عليه السلام، بل هم في الأحاديث المتأخرة يظهرون شفعاء لغيرهم من الناس)[1].

قلت: يكفي في الرد عليه بأن شفاعة الشهيد لغيره وردت في أحاديث صحيحة في سنن أبي داود وابن ماجة[2].

ثامناً: جاء في مادة أم الولد: (وقد تكون الرواية التي ذهبت إلى أن النبي اعترف بابن مارية بعد تردد طويل، معقولة من ناحية موضوعها، وإن كانت غير معقول من ناحية الصيغة التي وردت فيها)[3].

هذه الرواية التي يشير إليها الكاتب هي: أن قبطياً كان يأتي مارية القبطية بالماء والحطب فقال الناس في ذلك، فأرسل النبي ﷺ علي بن

---

(١) الدائرة الأولى ١٣/٤٢٨، شهيد، بيوركمان.

(٢) أبو داود الجهاد ٢٨، صحيح سنن ابن ماجة للألباني ٢٢٥٧.

(٣) الدائرة ٤/٤١٨، أم الولد، شاخت.

أبي طالب فوجده مجبوباً، وولدت مارية إبراهيم فجاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: السلام عليك يا أبا إبراهيم، فاطمأن النبي ﷺ إلى ذلك[1].

فالكاتب يريد من الرواية تردد النبي ﷺ، وعدم اطمئنانه أولاً، ولا يريد مجيء جبريل إلى النبي ﷺ؛ لأنه لا يريد أن يُسلم بما يدل على نبوته ﷺ.

وقد اعتدنا على ما يمارسه كتاب الدائرة في انتقائهم لما يريدون من الأحاديث والحكم عليها بالصحة، وردهم لما لا يشتهون وحكمهم عليه بالوضع حتى لو كان أثبت مما احتجوا به، ولكن أن يصل الأمر إلى ذات الحديث الواحد، فهذا تناقض صارخ فإما أن يدع الرواية ولا يستشهد بها، وإما أن يسلم بجميع ما فيها، إنه التشهي والهوى، وهذه طريقة قديمة لأهل الكتاب ذكرها الله في القرآن حيث قال: سبحانه لهم: ﴿ ... **أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ** ﴾[2].

قال ابن القيم معلقاً على هذه الآية: «فهذا هو الذي تسميه النظار والفقهاء: التشهي، فيقول أحدهم لصاحبه: لا حجة لك على ما ادعيت سوى التشهي والتحكم الباطل، فإن جاءك ما لا تشتهيه دفعته ورددته، وإن كان موافقاً لما تهواه وتشتهيه قبلته وأجزته، فترد ما خالف

---

(١) طبقات ابن سعد ٨/١٥٤ – ١٥٥.

(٢) البقرة ٨٧.

هواك، وتقبل ما وافق هواك، وهذا الاحتجاج مفحم للخصم لا جواب عليه البتة»[1].

تاسعاً: جاء في الدائرة: (ويقال إنه كانت في القرآن في أول الأمر آية كالأية التي يعترف بها عمر بن الخطاب، وتسمى آية الرجم: [إذا زنى الشيخ والشيخة فارجموهما البتة نكالاً من الله]، ومن المستبعد أن تكون هذه الآية صحيحة، ومن البين أن الأحاديث المتعلقة بها، وذكر اسم عمر بصددها، كل ذلك لا يخلو من غرض، ومهما يكن من شيء، فإن الروايات التي تقول: إن النبي عليه السلام طبق حكم الرجم لهي أيضاً روايات غير جديرة بالثقة)[2].

قلت: الآية منسوخة التلاوة باقية الحكم، وقد تقدم الكلام عن النسخ[3]، وقد عمل بهذه الآية النبي ﷺ ورجم ماعزاً وغيره، ونُقل ذلك متواتراً، وقد روى رجم ماعز من الصحابة خمسة عشر نفساً[4].

قال الرافعي[5]: «والرجم مما اشتهر عن النبي ﷺ في قصة ماعز والغامدية واليهوديين، وعلى ذلك جرى الخلفاء بعده، فبلغ حد

---

(١) بدائع الفوائد لابن القيم ٤/١٤٤.

(٢) الدائرة الأولى ١٠/٤١٢، زنا، شاخت.

(٣) انظر ص ٣٧٦.

(٤) لقط اللآلئ المتناثرة في الأحاديث المتواترة لابن الزبيدي ١٥٦.

(٥) هو عبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني الشافعي ٥٥٧ - ٦٢٣هـ من أئمة الشافعية، ومن علماء الحديث والتفسير، وله المؤلفات الكثيرة المتنوعة. (انظر طبقات الشافعية للسبكي ٥/١١٩).

التواتر» وقد وافقه ابن حجر[1].

وقال الكمال ابن الهمام[2]: «ثبوت الرجم عن رسول الله ﷺ متواتر المعنى»[3].

وأما الغرض الذي يكثر تردده في الدائرة فلا يجوز رمي الناس به إلا بدليل، وكل إناء بما فيه ينضح.

عاشراً: جاء في الدائرة في مادة «أبو أيوب» الأنصاري: (ويرُوى عن أبي أيوب مائة وخمسون حديثاً، ولكن عدداً قليلاً منها [ثلاثة عشر حديثاً في الجملة] هو الذي يسلم البخاري ومسلم بصحته)[4].

قلت: من المعلوم لكل من له أدنى علم بالحديث النبوي أن البخاري لم يستوعب في كتابه كافة الأحاديث الصحيحة، بل ترك أحاديث كثيرة صحيحة أقر بصحتها لم يخرجها في كتابه؛ لأنه كما هو ظاهر من عنوان كتابه «الجامع الصحيح المسند المختصر من أمور

---

(١) تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ٤/٥٨، تحقيق شعبان محمد اسماعيل، نشر مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، دطت، نقلاً عن فتح العزيز للرافعي.

(٢) هو محمد بن عبد الواحد السيواسي، من أئمة الحنفية، وكان عالماً بالتفسير والفرائض وعلوماً شتى وكان مقرباً من الملوك وأرباب الدولة توفي بالقاهرة سنة ٨٦١هـ (انظر الأعلام للزركلي ٦/٢٥٥).

(٣) شرح فتح القدير، محمد بن عبد الواحد السيواسي المعروف بابن الهمام الحنفي ٥/٢٢٤، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ- ١٩٧٠م.

(٤) الدائرة ١/٤٢٣، أبو ايوب، مورتمان.

رسول الله ﷺ وسننه وأيامه»[1] إنما أراد الاختصار.

بل وصرح البخاري نفسه بذلك حيث قال: «لم أُخرج في هذا الكتاب إلا صحيحاً، وما تركت من الصحيح أكثر»[2].

فلم يكن غرضه جمع الصحيح كله، وإنما تأليف كتاب مختصر، كما هو معلوم من سبب تأليفه عندما اقترح إسحاق بن راهويه عليه ذلك[3].

ونفس الأمر بالنسبة للإمام مسلم. قال الإمام النووي عن البخاري ومسلم: «ولم يستوعبا الصحيح ولا التزماه»[4].

وقال ابن كثير: «إن البخاري ومسلم لم يلتزما بإخراج جميع ما يحكم بصحته من الأحاديث، فإنهما صححا أحاديث ليست في كتابيهما كما ينقل الترمذي وغيره عن البخاري تصحيح أحاديث ليست عنده»[5].

---

(١) انظر توجيه النظر إلى أصول أهل الأثر، طاهر بن صالح الجزائري الدمشقي ٨٨، المكتبة العلمية، المدينة النبوية، دطت. نقلاً عن السيوطي في التوشيح.

وانظر أيضاً: الحديث النبوي، د. محمد الصباغ ٣٦٤، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

بينما لا يذكر ابن حجر لفظ مختصر انظر المقدمة ١٤ /٨.

(٢) مقدمة فتح الباري ٧.

(٣) مقدمة فتح الباري ٧.

(٤) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، جلال الدين السيوطي ١ /٩٨، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الكتب الحديثة، مصر، الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.

(٥) الباعث الحثيث لابن كثير ١٨ - ١٩.

وأما ما يتعلق بمرويات أبي أيوب الأنصاري – رضي الله عنه – فإن البخاري أخرج له ثلاثة عشر حديثاً، أخرجها جميعاً مسلم، وزاد عليها خمسة، فيكون ما في صحيح مسلم ثمانية عشر حديثاً، فالعبارة تحتاج إلى تعديلين:

الأول: يستبدل الصحة بالإخراج في الصحيح.

الثاني: يشار إلى اتفاق البخاري ومسلم على إخراجها، لتكون العبارة: «وقد اتفق البخاري ومسلم على إخراج ثلاثة عشر حديثاً لأبي أيوب الأنصاري – رضي الله عنه –

وأخيراً فهذا غيض من فيض، والأحاديث الصحيحة التي ينفيها كتاب الدائرة كثيرة تُكُلِّم عنها في مواطن أخرى[1].

* * *

(١) انظر ذلك في الصفحات ٢١٨، ٤٨٢، ٥٨٣، ٦٧٨، ٧٣٨.

المبحث الخامس

ـين الـ ة فيڤ ير بـ بـ

- الطعن الإجمالي في السيرة.
- اتهام النبي ﷺ بالجور في توزيع الأموال.
- اتهام النبي ﷺ بالشهوانية والهوى.
- اتهام النبي ﷺ بالتحايل ونقض العهود.
- اتهامات متفرقة.

تمهـــيد :

جاء في الدائرة الطعن الإجمالي والتفصيلي في السيرة النبوية تارة بالتشكيك في رواياتها، وتارة بتشويهها لغرض لا يخفى، وهو الطعن في نبوته ﷺ.

وهذا المسلك قد سلكه كافة المكذبين بالرسل عليهم السلام – كما جاء في القرآن الكريم – ابتداء من نوح عليه السلام إلى يومنا هذا، وهذه نماذج من ذلك:

نبي الله نوح – عليه السلام – يقول له المكذبون من قومه: ﴿ **إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ** ﴿٦٠﴾ ﴾[1].

ونبي الله هود – عليه السلام – يقول له المكذبون من قومه: ﴿ **إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ** ﴾[2].

وفرعون مصر يقول لموسى – عليه السلام –: ﴿ **إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُوراً** ﴾[3].

والمكذبون بعيسى – عليه السلام – يزعمون أن ما جاء به هو من

---

(١) الأعراف ٦٠.

(٢) الأعراف ٦٦.

(٣) الإسراء ١٠١.

قبيل السحر، فقال سبحانه لعيسى عليه السلام: ﴿ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[١].

وقد فعل المكذبون من قريش مع النبي ﷺ مثل ذلك، فسلَّى الله نبيه بقوله: ﴿ فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلا مَجْنُونٍ (٢٩) أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴾[٢].

فالمكذبون بالرسل لا يتورعون عند فقدان الحجج عن تشويه سمعة الرسل الصادقين والتكذيب بفضائلهم: ﴿ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٥٢) أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾[٣].

وتشويه كُتَّاب الدائرة لسيرة نبينا ﷺ ليس بمستغرب، إذ فعلوا ذلك مع أنبياء الله تعالى، بل حتى مع أنبيائهم، كما هو مسطر في كتبهم المحرفة، ومن ذلك:

- اتهام نبي الله نوح عليه السلام بشرب الخمر[٤].

- اتهام نبي الله لوط عليه السلام بالسكر ومضاجعة ابنتيه وفعل الفاحشة بهما[٥].

---

(١) المائدة ١١٠.

(٢) الطور ٢٩ - ٣٠.

(٣) الذاريات ٥٢.

(٤) سفر التكوين ٩/ ٢٠ - ٢٧.

(٥) سفر التكوين ١٩/ ٣٠ - ٣٨.

- اتهام نبي الله داود عليه السلام بنكران الجميل؛ ذلك بعد أن أكرمه ملك فلسطين «أخيش» وأعطاه أرضاً ليسكن فيها وجنوده، فيجازيه داود بالإغارة على القرى وقتل جميع سكانها، ثم كذب على الملك بعد ذلك وزعم أنه أغار على ملك يهوذا، بل وكرر الخديعة مرات عديدة[1].

- اتهام داود - عليه السلام - أيضاً بقتل أحد قواده من أجل التزوج بزوجته، التي أعجبته عندما رآها في السطح عارية تستحم، فأمر أن يجعل زوجها في مقدمة المقاتلين في الحرب ليُقتل، وقد سُرَّ داود بمقتله، ومن ثم تزوجها[2].

- اتهام نبي الله سليمان - عليه السلام - بالبطش بأخيه «أدونيا» واغتياله خشية أن يطلب الملك لنفسه[3].

إنهم وهم بهذه الصفة غير مؤهلين للكتابة عن أنبياء الله - عليهم السلام -.

وطعن مستشرقي الدائرة في سيرة النبي ﷺ ليست الأولى ولا الأخيرة بل هي حلقة من سلسلة مستمرة يؤججها تعصبهم وحقدهم على دين الإسلام.

---

(١) سفر صمويل الأول ٢٧.
(٢) سفر التكوين الثاني ١١/ ٢٦.
(٣) سفر الملوك الأول ٢/ ٢٣ - ٢٥.

وقد سلكوا مسلك المكذبين الأوائل من بني قومهم في قذف النبي ﷺ بكل قبيح، ومن ذلك:

قول المسيو كيون[1]: «إن الديانة المحمدية جذام فشا بين الناس وأخذ يفتك بهم فتكاً ذريعاً، بل هو مرض مروع وشلل عام وجنون ذهولي يبعث الإنسان على الخمول والكسل، ولا يوقظه منهما إلا ليسفك الدماء ويدمن معاقرة الخمور، ويجمع بين القبائح، وما قَبْرُ محمد في مكة (!) إلا عمود كهربائي يبث الجنون...»[2].

وقول جوليان[3]: «إن محمداً مؤسس دين المسلمين قد أمر أتباعه أن يُخضعوا العالم وأن يُبدِّلوا جميع الأديان بدينه هو، ما أعظم الفرق بين هؤلاء الوثنيين وبين النصارى»[4].

ويصف المونيسنيور كولي[5] بأن النبي ﷺ «تساهل في أقدس قوانين الأخلاق، ثم سمح لأتباعه بالفجور والسلب» ويقول واصفاً نهاية الحروب الصليبية: «وهكذا تقهقرت قوة الهلال أمام راية

---

(١) في كتابه «ميثولوجيا الإسلام». وانظر إلى قوله: (وما قبر محمد في مكة إلا عمود كهربائي يبث الجنون) لتدرك أي جهل يغلف هؤلاء الأدعياء بأنهم مختصون بالدراسات حول الإسلام!

(٢) المستشرقون والسيرة النبوية مقال لعماد الدين خليل في مجلة البعث الإسلامي الصادرة بالهند عدد رمضان وشوال ١٤٠٢ ص ١١٣.

(٣) مؤرخ فرنسي قال ذلك في كتابه «تاريخ فرنسا».

(٤) المستشرقون والسيرة النبوية مقال لعماد الدين خليل في مجلة البعث الإسلامي عدد رمضان وشوال ١٤٠٢ ص ١١٣.

(٥) في كتابه «البحث عن الدين الحق».

الصليب، وانتصر الإنجيل على القرآن وعلى ما فيه من القوانين الساذجة»[1].

كما جاء في موسوعة «لاروس»[2]: «بقي محمد مع ذلك ساحراً ممعناً في فساد الخلق، لص نياق، كردينال[3] لم ينجح في الوصول إلى كرسي البابوبة، فاخترع ديناً جديداً لينتقم من زملائه، واستولى القصص الخيالي والخليع على سيرته»[4].

يقول برنارد لويس: «وقد أوجد الغرب كذلك أساطيره عن محمد وشخصيته من الأخطاء غير المعقولة والتهجمات الجدلية البذيئة والطعن الساخر في القرون الوسطى... بتصوير النبي كشيطان أو إله دجّال، وانتهت إلى وضعه رئيس الهراطقة الذي وضعه دانتي»[5].

فالمستشرقون الحاقدون في الدائرة هم امتداد طبيعي لأولئك القوم؛ وهم جميعاً خَلَفٌ للمشركين الأوائل الذين نعتوا النبي ﷺ بكل قبيح فقال الله عنهم: ﴿ **إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ** ﴾[6].

فالتناقض دأب الجميع، وهذه نماذج من مفتريات المعاصرين

---

(١) المستشرقون والسيرة النبوية مقال لعماد الدين خليل في مجلة البعث الإسلامي عدد رمضان وشوال ١٤٠٢ ص ١١٣.

(٢) خلال عرضها لآراء كتاب المسيحية إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر ممن نالوا من النبي ﷺ.

(٣) رتبة كنسية دون البابوية.

(٤) حياة محمد لهيكل ٢٩.

(٥) العرب في التاريخ، برنارد لويس ٦٢.

(٦) الذاريات ٨ - ١٠.

المتناقضة:

في تعليلهم لظاهرة الوحي والرسالة يقول «هنري باسية»: «والرجل المطرود من قبيلته على أثر خطأ أو جرم يجد نفسه في وضعية بائسة، وهذه كانت حالة محمد في فترة ما»(١).

بينما يجعل «نولدكه» سبب الوحي النازل على النبي ﷺ والدعوة التي قام بها بسبب ما كان ينتابه من الصرع، ويرد «غويه» بأن هذا ليس بصحيح؛ لأن الذاكرة عند المصابين بالصرع تكون معطلة، ومحمد كان يتذكر كل ما يسمعه(٢).

ونجد «روم لاندرو» يجعل لقاء النبي ﷺ بجبريل من قبيل الرؤيا، وينفي الصرع «لأن المصروع لا يملك وعيه بحيث يمكنه أن يتحدث بمثل تلك المقاطع المعقدة»(٣).

بينما يزعم «شبرنجر» أنها ليست صرعاً ولكنها نوبات هيسترية، ويرد «هورجونيه» أنها ليست كذلك(٤).

بينما نجد سيديو(٥) يزعم أنه نوع من الخيال(٦).

---

(١) الإسلام هنري ماسية ٢٤ – ٢٥.

(٢) حاضر العالم الإسلامي، لوثرب ستودار، تعليق شكيب أرسلان ٣٤ – ٣٥.

(٣) الإسلام والعرب، روم لاندرو ٣٢ – ٣٣.

(٤) حاضر العالم الإسلامي، لوثرب ستودار؛ تعليق شكيب أرسلان – ٣٤ – ٣٥.

(٥) جان جاك سيديو ١٧٧٧ – ١٨٣٢م مستشرق فرنسي تخصص في علم الفلك عند العرب وكتب عن تاريخ العرب مبيناً فضلهم على الحضارة الغربية (المستشرقون للعقيقي ١/١٦٩).

(٦) تاريخ العرب العام، ل.أ.سيديو ٨٦، ترجمة عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي ١٣٦٧هـ – ١٩٤٨م.

بينما نجد «مارجليوث» يزعم أن النبي ﷺ يمارس الشعوذة، وأن له مجالس سرية أشبه بالمحافل الماسونية[1].

ونموذج آخر: نجد أن «بينه سانغله» يقول إن النبي ﷺ كان سيئ الغذاء صابراً على الجوع متقشفاً وأنه مات من الضعف[2].

بينما يزعم «هيار» أنه مات بذات الجنب[3].

بينما نجد أن «لامنس» ينسب للنبي ﷺ الإكثار من الطعام والشراب، والشره والاسترسال في اللذات البدنية، وأنه مات بالبطنة[4].

وصدق الله العظيم إذ يقول عن أهل الكتاب: ﴿ ... **قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ....** ﴾[5].

يقول «دينيه» بعد أن ساق التناقضات والافتراءات على النبي ﷺ: «وإن أردنا استقصاء هذه التناقضات التي نجدها بين تمحيصات هؤلاء المحصين بزعمهم يطول بنا الأمر، ولا نقدر أن نعرف أية حقيقة ولا يبقى أمامنا إلا أن نرجع إلى السيرة النبوية التي كتبها العرب»[6].

---

(١) حاضر العالم الإسلامي، لوثرب ستوادار، تعليق شكيب أرسلان ٣٥.

(٢) حاضر العالم الإسلامي، لوثرب ستوادار، تعليق شكيب أرسلان ٣٤.

(٣) حاضر العالم الإسلامي، لوثرب ستوادار، تعليق شكيب أرسلان ٣٤ – ٣٥.

(٤) حاضر العالم الإسلامي، لوثرب ستوادار، تعليق شكيب أرسلان ٣٥.

(٥) آل عمران ١١٨.

(٦) حاضر العالم الإسلامي، لوثرب ستوادار، تعليق شكيب أرسلان ٣٥.

وقد نبه بعض المستشرقين إلى تعدي بعض إخوانهم حدود الموضوعية؛ إن لم يكن نسفها بالكلية عند حديثهم عن سيرة النبي ﷺ، ومن ذلك ما قاله درمنجهم: «من المؤسف حقاً أن غالى بعض هؤلاء المتخصصين – من أمثال موير ومرجليوث ونولدكه وشبرنجر ودوزي وكايتاني وقولد زيهر... – في النقد أحياناً فلم تزل كتبهم عامل هدم على الخصوص، ومن المحزن ألا تزال النتائج التي انتهى إليها المستشرقون سلبية ناقصة... ومن دواعي الأسف أن كان الأب لامنس الذي هو من أفضل المستشرقين المعاصرين من أشدهم تعصباً وأنه شوه كتبه الرائعة الدقيقة وأفسدها بكرهه للإسلام ونبي الإسلام، فعند هذا العالم اليسوعي أن الحديث إذا وافق القرآن كان منقولاً من القرآن، فلا أدري كيف يمكن تأليف التاريخ إذا اقتضى تطابق الدليلين تهادمهما، بدلاً من أن يؤيد أحدهما الآخر»[1].

ويقول مونتقمري وات: «ليس هناك شخصية كبيرة في التاريخ حُط من قدرها في الغرب كمحمد، فقد أظهر الكتاب الغربيون ميلهم لتصديق أسوأ الأمور عن محمد، وكلما ظهر أي تفسير نقدي لواقعة من الوقائع قبلوه»[2].

---

(١) المستشرقون والسيرة النبوية، عماد الدين خليل، مقالة ضمن كتاب الإسلام والمستشرقون ٢٥٧ – ٢٥٨ بتصرف.

(٢) محمد في مكة لمونتقمري وات ٩٤.

المطلب الأول: الطعن الإجمالي في سيرته ﷺ:

جاء في الدائرة التكذيب بجملة السيرة النبوية، وذلك لنفي فضائله ﷺ وجحد معجزاته، فقد جاء في مادة السيرة عن السيرة: (هي الترجمة المأثورة لحياة النبي محمد عليه السلام.. والراجح أنها أُطلقت على الروايات الخاصة بحياته أسوة بسير الملوك البهلوية.. كما انصُرِف إلى تخليد ذكر المغازي على غرار ما كان يفعل العرب في الجاهلية، تلك المغازي التي اشترك فيها المسلمون تحت راية قائدهم الذي كان جل أتباعه ينظرون إليه نظرتهم إلى أمير استطاع بفضل حكمته وشجاعته المؤيدتين بروح من الله، أن يحرز من آيات النصر أروعها وأعظمها أثراً في النفوس، وإن كان لا يختلف في خلقه اختلافاً مشهوداً عن أمراء الجاهلية) حتى قال: (فليست هذه المغازي إلا استمراراً لأيام العرب)[1].

وجاء أيضاً: (إن هذه السيرة يرجع أصلها إلى التحول الذي طرأ على شخصية محمد في ضمير المسلمين الديني، وإلى الأثر الحاسم الذي أحدثته عناصر مختلفة بعينها في هذا التحول، وإلى شيء آخر فوق هذا كله، وهو أن احتكاك المسلمين باليهودية والمسيحية، ورغبتهم في أن يضعوا منشئ الإسلام في كفة منشئ هذين الدينين قد شجعاهم على وضع تلك القصص التي حاطوا بها شخص النبي والتي أحدثت هذا التحول الشامل في طبيعة شخصيته من مولده، بل قبل

---

(١) الدائرة الأولى ١٢/ ٤٣٩ - ٤٤٤، السيرة، ليفي دلافيدا.

مولده إلى وفاته وبدلتها تبديلاً، ذلك أن النبي الذي أعلن بصريح العبارة في خلال حياته الفانية أنه إنما يعد نفسه بشراً كسائر البشر، قد أصبح في النهاية يمثل الصورة الظاهرة لكمال الخلق الإلهي، وغدت حياته أشبه بنسخة من حياة موسى وعيسى، أُسبغ على أدق تفاصيلها طابع الوحي والخوارق. فكيف نفسر التوسع في هذا الاتجاه، وهو التوسع التي نمت خطوطه العريضة فيما يظهر بعد وفاة النبي بقرن واحد فحسب)[١].

كما جاء في الدائرة أيضاً: (وقد حلل «لامنس» في سلسلة من المقالات الأطوار التي مرت بها السيرة في تأليفها بلغ به المدى، ذلك أن هذا العالم الجزويتي[٢] تصدى لإثبات أن البناء الكامل للرواية الإسلامية عن حياة النبي في مرحلتها السابقة على الهجرة على الأقل لا سند له بحال. فكل حادث ترويه السيرة، وكل تفصيل تاريخي مزعوم ليس إلا نتيجة لتفسير ذاتي لآية من القرآن استنبط منه أصحاب مدرسة المدينة – حيث كانت الغيرة الدينية في المحافظة على ذكر النبي قائمة تضطرم بها نفوس أهل المدينة – الذين مال بهم التقى عن السبيل الذي كان ينبغي أن تسير فيه حياة النبي، مستعينين في ذلك بشتى التوفيقات الفقهية وبالأصول الدخيلة، فلا تجد للحوادث التي رووها سنداً من الرواية التاريخية.

---

(١) الدائرة الأولى ١٢/ ٤٤٦، ٤٤٧، السيرة، ليڤي دلافيدا.

(٢) أي اليسوعي.

وهكذا تصبح السيرة في حادثها مجرد «مدرش قرآني»[1] كبير وضع لتمجيد النبي، ودعم هذا المذهب أو ذاك من المذاهب الدينية أو السياسية)[2].

وجاء فيها كذلك: (أدى توقير المسلمين المطرد لشخصية النبي إلى نمو أسطورة حول شخصيته تتسم بطابع سير القديسين عند المسيحيين)[3].

وجاء في الدائرة بعد سرد لسيرة وجبروت الملك الجاهلي جذيمة بن الأبرش الوضاح: (ولم يأذن جذيمة بتزويج أخته من عدي اللخمي إلا وهو سكران. وهذا حادث مستملح وجد مكاناً حتى في سيرة محمد)[4].

قلت: هذا الكلام مخالف للمنهج العلمي، كما أنه مشحون بالأباطيل، والرد عليه من وجوه عدة:

أولها: - وهو رد عام لجملة كلام المستشرقين في هذا الباب - إن الإيمان بالغيب والتصديق بالوحي ضروري لفهم السيرة النبوية، أو على الأقل احترام نبوته ﷺ، كيف لا!، والنبوة هي التي أعطت السيرة أهميتها، وإن غياب هذا العامل في أي بحث أو دراسة سيؤدي إلى

---

(١) معناها كما ذكره آنفاً: أي محاولة لتفسير القرآن باختلاق القصص.

(٢) الدائرة الأولى ١٢/ ٤٤٨، السيرة، ليفي دلافيدا.

(٣) الدائرة الأولى ١٢/ ٤٤٩، السيرة، ليفي دلافيدا.

(٤) الدائرة ١١/ ١٤٦، جذيمة، ڤاوار.

نتائج خاطئة، «إن وقائع السيرة هي بمثابة التشكيل التاريخي والواقعي لعقيدة الإسلام: قرآناً وسنةً ورصيداً تشريعياً، وبما أنها البيئة الزمنية والمكانية لفاعلية محمد ﷺ النبي المبعوث من الله سبحانه للعالم جميعاً، فإنه يصعب من الوجهة الإسلامية اعتبارها مسألة تاريخية صرفة تخضع لأساليب النقد والتحليل التي تعامل بها مراحل التاريخ المختلفة»[1] دون اعتبار لظاهرة الوحي.

فإذا اجتمع مع العامل الأول الحقد والضغينة، واتخاذ مواقف مسبقة، فإن النتائج ستكون مُدمِرة، والدراسة مشوهة ممجوجة كما هو واضح في الكتابات التي تُعالج في هذا المبحث.

إن الدراسة العلمية الموضوعية الجادة لسيرة النبي ﷺ لا بد أن تسفر عن احترامه ﷺ، وتقدير جهوده، والاعتراف بدوره في خدمة الإنسانية، وإذا اقترنت بتوفيق الله ثم حسن التوجه، فإنها ستؤدي إلى إسلام صاحبها لا شك.

ثانيها: إن هذا الكلام فيه من الجرأة والافتراء ما يعجب له أي منصف، فقد أطلق الكاتب عنان قلمه بنقض بدهيات المسلمين بغير دليل أو برهان، ولو صح هذا أو ساغ لقال من شاء ما شاء، وفي الكلام السابق جملة من الادعاءات التي يحتاج كلٌّ منها إلى الأدلة والبينات، وهي:

---

(١) بحث: المستشرقون والسيرة النبوية عماد الدين خليل ١/ ١٢٠، ضمن مناهج المستشرقين.

أولاً: التشكيك في السيرة النبوية بجملتها، وأن المرحلة المكية على الأقل لا سند لها بحال.

ثانياً: أن السيرة أُطلقت على النبي ﷺ أسوة بسير الملوك البهلوية.

ثالثاً: أن المغازي إنما خُلِّدت تقليداً للعرب في الجاهلية، ليس لأنه نبي يقتدى به.

رابعاً: التأثير المسيحي واليهودي حيث أن المسلمين خلدوا سيرة نبيهم رغبة في مشابهته بموسى وعيسى – عليهما السلام –.

خامساً: أن هذا الأمر شجعهم على وضع القصص التي بدلت حقيقة السيرة وأضفت طابع الوحي عليها، وأن توقير المسلمين للنبي ﷺ هو الذي أدى إلى نمو أسطورة حول شخصيته، وأن الغيرة الدينية والتقى اللذيْن كان يتحلى بهما أصحاب مدرسة المدينة كان لهما دور في ذلك مستعينين في ذلك بشتى التوفيقات الفقهية وبالأصول الدخيلة، فلا تجد للحوادث التي رووها سنداً من الرواية التاريخية.

سادساً: أن كل حادث ترويه السيرة بل كل تفصيل تاريخي ليس إلا نتيجة لتفسير آية من القرآن.

سابعاً: صلة جذيمة وسكره بسيرة النبي ﷺ.

إنَّ هذه كلها دعاوى، وكل دعوى بغير برهان فلا قيمة لها.

ثالثها: أن كاتب المقال نصراني، ولو آمن بعيسى عليه السلام حق الإيمان لما تجرأ على قول ما قال في محمد ﷺ، ذلك أن سيرة عيسى

عليه السلام ليصدُق عليها ما قاله في سيرة محمد ﷺ، بل أبلغ من ذلك، والمسلمون يؤمنون بعيسى عليه السلام، وأنه نبي معصوم بل هو من أُولي العزم من الرسل الذين قال الله عنهم في القرآن: ﴿ **وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا** ﴾[1]، فلو استقام منهجه لصح أن يقول اليهود وغيرهم ممن لا يؤمن بنبوة عيسى: إن سيرة عيسى لم تكن كما نقل، وما نقل عنه من معجزات إنما هي من اختراع أتباعه الذين حاولوا إضفاء مسحة من التمجيد على سيرته، بل كلها من وضع النصارى الذين غالوا في حبه، وساعد على ذلك رغبتهم في وضع نبيهم في كفة الأنبياء السابقين كإبراهيم وإسحاق وسليمان وموسى!

إن إطلاق الكلام على عواهنه لا يعجز عنه أحد، ومن المعلوم أن سيرة محمد ﷺ أثبت نقلاً وأظهر إعجازاً من سيرة عيسى – عليه السلام – يعلم ذلك كل دارس منصف.

إن سيرة النبي ﷺ نقلت باستفاضة واشتهار مدعمة بأسانيد متواترة ومشهورة نقلت تفاصيل حياته ﷺ، وقد دوّن تلك الحقيقة المؤرخون الغربيون أنفسهم حيث يقول «جون ديون» في كتابه الذي تحدث فيه عن الفاتحين والمشرعين: «لا ريب أنه لا يوجد في الفاتحين والمشرعين، والذين سنوا السنن من يعرف الناس حياته وأحواله أكثر

---

(١) الأحزاب ٧.

تفصيلاً، وأشمل بياناً مما يعرفون من سيرة محمد ﷺ وأحواله»[1].

ويقول رينان: «إن الإسلام خلافاً لغيره من الأديان التي كانت نشأتها محاطة بالغموض ولد في وضح نور التاريخ، فجذوره ليست خفية في باطن الأرض، وحياة مؤسسه معروفة عندنا معرفة حياة المصلحين في القرن السادس عشر»[2].

رابعها: تردد الكاتب في الأسباب التي دفعت بالمسلمين لتخليد السيرة حيث تارة يزعم أن المسلمين وضعوا في ذلك الروايات المكذوبة أسوة بسير الملوك البهلوية! وأخرى يزعم أنهم فعلوا ذلك على غرار ما كان يفعل العرب في الجاهلية! وثالثة يزعم أنهم صنعوا ذلك محاكاة لليهود والنصارى! ورابعة يزعم عوامل مختلفة أدت إلى نشوء السيرة! وفي هذا تناقض، وقد ذكر كل ذلك ولم يشر - حتى ولو احتمالاً - إلى السبب الحقيقي لذلك، وهو: أن المسلمين نقلوا سيرة النبي ﷺ بعناية وتثبت؛ لأنه رسول من عند الله تجب طاعته ويجب الاقتداء به.

خامسها: إن جوهر دعواه هو: وضع المسلمين للسيرة بدافع محبة النبي ﷺ وتمجيده. وأقول: إن أي مُطَّلِع على سيرة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ليدرك يقيناً أنهم لم يكونوا ليفعلوا ذلك، بل تواتر ما

---

(١) المستشرقون والقرآن الكريم، محمد صدر الحسن الندوي، مقالة ضمن كتاب الإسلام والمستشرقون ٤١٦.

(٢) العرب في التاريخ، برنارد لويس ٤٦.

يدل على صدقهم وزهدهم وتشديدهم في نقل سنة النبي فضلاً عن الكذب عليه، وقد روى أصحاب المصنفات كالبخاري ومسلم وأصحاب السنن الأربعة وغيرهم السيرة كما نقلوا أحاديث العقائد والأحكام سواء بسواء، كما أن الناظر للقواعد والضوابط التي يتبعها المحدِّثون في قبول الروايات ليعلم أن كلام الكاتب ضرب من الخيال، فقد محص العلماء كل ما نقل عن النبي ﷺ، وبينوا ما صح من ذلك، وما هو دونه كالحسن، وما هو ضعيف يعتضد بغيره، وما هو باطل وموضوع(1).

سادسها: ما ذكره الكاتب بشأن جذيمة(2)، وتزويجه أخته وهو سكران، فهو كلام مبتور يدل على منهج القوم، وقد علق عليه أحمد شاكر بقوله: «لا ندري إلى من يرمي كاتب هذه المادة، ولم نجد إشارة في سيرة رسول الله ﷺ إلى شيء مما يتصل بأخبار جذيمة، والمصادر بين أيدينا متوفرة، ولسنا نرى موضعاً للمناسبة بين السيرة وبين هذه الأخبار»(3).

إن أولئك القوم الذين اتهموا نبيي الله نوحاً ولوطاً عليهما السلام

---

(1) سبق الكلام عن اهتمام العلماء بالحديث وتمحيصهم له انظر ص ٥٠٧ – ٥١٢.

(2) هو جذيمة بن مالك القضاعي يقال له الأبرش والوضاح لبرص فيه، هو ثالث ملوك الدولة التنوخية في العراق حكم في القرن الرابع قبل الهجرة كان من أعز ملوك تلك الدولة، قضى على ملك عمرو بن الضرب أبي الزباء وقتله، وعرضت عليه الزباء الزواج وقتلته غيلة ثأراً لأبيها. (انظر الأعلام للزركلي ٢/١١٤).

(3) الدائرة ١١/١٤٦، جذيمة، تعليق أحمد شاكر.

بالسكر[١] لا يستغرب منهم الزج بسيرة نبينا ﷺ في تلك القصة.

المطلب الثاني: اتهام النبي ﷺ بعدم العدل في توزيع الأموال:

ساق «شاخت» بعض الحوادث التاريخية بطريقة يُفهم منها أن النبي ﷺ لم يتصرف التصرف المناسب في صرف الأموال فقد قال في الدائرة: (وقد أثار تصرف النبي في الصدقات نقداً من جانب المؤمنين، فقد اعترض البعض اعتراضاً شديداً لَمَّا أراد النبي بعد فتح مكة أن يتألف قلوب بعض سادات قريش بأن أعطاهم من أموال الزكاة حتى يرضوا بالنظام الجديد)[٢].

كما قال: (وأخيراً فإن النبي عليه السلام لم يستعمل ما يتحصل عليه من جملة الصدقات لمساعدة المحتاجين فحسب؛ بل هو استعمله خصوصاً عند الضرورة في الإنفاق على مشروعاته الحربية، وفي أغراض سياسية أخرى)[٣].

قلت: بيان هذا الكلام والرد عليه من وجوه عدة:

أولها: ما أشار إليه الكاتب كان بعد غزوة حنين التي تلت فتح مكة، وليس الموضوع متعلقاً بالزكاة، وإنما بالغنائم التي غُنِمت بعد هذه الغزوة فقد ثبت في الصحيحين: أن رسول ﷺ أصاب غنائم كثيرة فقسم في المهاجرين والطلقاء ولم يعط الأنصار شيئاً، فقالت

---

(١) سفر التكوين ٩/ ٢٠ – ٢٧، ١٩/ ٣٠ – ٣٨.

(٢) الدائرة، الأولى ١٠/ ٣٥٧، زكاة، شاخت.

(٣) الدائرة، الأولى ١٠/ ٣٥٧، زكاة، شاخت.

الأنصار: إذا كانت الشدة فنحن نُدعى، ويُعطى الغنائم غيرنا، فبلغه ذلك، فجمعهم في قبة، فقال: يا معشر الأنصار، أما ترضون أن يذهب الناس بالدنيا، وتذهبون بمحمد تحوزونه إلى بيوتكم، قالوا: بلى يا رسول الله، فقال النبي ﷺ: (لو سلك الناس وادياً، وسلك الأنصار شعباً لأخذت شعب الأنصار) متفق عليه[1].

ثانيها: أن هذا الاعتراض ليس من أفعال المؤمنين، وإنما هو مخالفة رجع عنها الأنصار بعد كلام رسول الله ﷺ كما في الحديث السابق، كما أن المعترضين كانوا من صغار الأنصار. يدل عليه قول الأنصار لما قال لهم رسول الله ﷺ: (ما حديث بلغني عنكم، فقال له فقهاء الأنصار: أما ذوو رأينا يا رسول الله فلم يقولوا شيئاً، وأما أُناس منا حديثة أسنانهم قالوا: يغفر الله لرسول الله يعطي قريش ويتركنا..... الحديث) متفق عليه[2].

وبعض المعترضين لم يكونوا من أصحاب الإيمان كما في الصحيح عن جابر بن عبد الله قال: أتى رجل رسول الله ﷺ بالجعرانة منصرفه من حنين، وفي ثوب بلال فضة ورسول الله ﷺ يقبض منها يعطي الناس، فقال: يا محمد اعدل، قال: ويلك، ومن يعدل إذا لم أكن أعدل؟ لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: دعني يا رسول الله فاقتل هذا المنافق، فقال: (معاذ الله

---

(١) البخاري المغازي ٥٦، مسلم الزكاة ١٣٤.

(٢) البخاري المغازي ٥٦، مسلم زكاة ١٣٢.

أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي، إن هذا وأصحابه يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية) رواه مسلم[1].

فهذا الرجل لم يقل عنه النبي ﷺ: إنه لا يستحق القتل؛ بل ترك قتله لمصلحة أعظم، وهي: تألُّف الناس؛ لذا جاء البخاري بحديثه في كتاب «استتابة المرتدين والمعاندين وقتلهم» تحت باب «باب من ترك قتال الخوارج للتألف ولئلا ينفر الناس عنه» وساق حديث أبي سعيد المقارب للحديث السابق[2]، فهذا وأمثاله قد أظهروا من العبادة مما يجعل في قتلهم فتنة وتنفيراً للناس عن الإسلام، وإلا فاعتراضه على النبي ﷺ، واتهامه بعدم العدل يناقض رسالته ﷺ، وهذا معلوم في كافة الشرائع السماوية، لذا قال عمر رضي الله عنه: دعني يا رسول الله فاقتل هذا المنافق.

ووَصْفُ «شاخت» للمعترضين على النبي ﷺ بـ «المؤمنين» ليس من عادته في وصف الصحابة، ولكنه فعل ذلك لما فيه من تجريح للنبي ﷺ.

ثالثها: أن النبي ﷺ لم يكن يعطي على إيمان الرجل وبلائه، كما أن الحكمة من هذا العطاء ليس لمجرد الرضا بالنظام الجديد؛ وإنما ليهديهم الله للإسلام ظاهراً وباطناً، لذا قال النبي ﷺ للأنصار: (فإني أعطي رجالاً حديثي عهد بكفر أتالفهم) رواه البخاري[3]، وفي رواية

(١) مسلم زكاة ١٤٢.

(٢) البخاري المرتدين ٧.

(٣) البخاري المغازي ٥٦.

لمسلم: (إن قريشاً حديثُ عهد بجاهلية ومصيبة وإني أردت أن أجبرهم وأتألفهم)[1].

فليس العطاء للإيمان، وإنما لتلك المصلحة العظيمة، قال سعد بن أبي وقاص – رضي الله عنه –: أعطى رسول الله ﷺ رهطاً وأنا جالس فيهم، فترك رسول الله ﷺ منهم رجلاً لم يعطه، وهو أعجبهم إليَّ، فقمت إلي رسول الله ﷺ فساررته فقلت: يا رسول الله مالك عن فلان والله إني لأراه مؤمناً، قال: (أو مسلماً)، فسكت قليلاً، ثم غلبني ما أعلم منه فقلت: يا رسول الله ما لك عن فلان والله إني لأراه مؤمناً، قال أو مسلماً، ثم غلبني ما أعلم منه، فقلت: يارسول الله مالك عن فلان والله إني لأراه مؤمناً، قال (أو مسلماً)، قال: (إني لأعطي الرجل، وغيره أحبُّ إليَّ منه خشية أن يُكب في النار على وجهه)[2].

كما أن هذا العطاء ليس من نصيب المحاربين الذين أخذوا نصيبهم، بل هو مما خص الله به رسوله ﷺ، قال ابن القيم: «وهذا العطاء الذي أعطاه النبي ﷺ لقريش، والمؤلفة قلوبهم، هل هو أصل الغنيمة أو من الخمس، أو من خمس الخمس؟ فقال الشافعي ومالك هو من خمس الخمس، وهو سهمه ﷺ الذي جعله الله له من الخمس، وهو غير الصفي وغير ما يصبه من المغنم؛ لأن النبي ﷺ لم يستأذن الغانمين في تلك العطية. ولو كان العطاء من أصل الغنيمة، لاستأذنهم؛ لأنهم ملكوها بحوزها والاستيلاء عليها، وليس من أصل الخمس؛ لأنه

---

(١) مسلم الزكاة ١٣٣.

(٢) مسلم الزكاة ١٣٠.

مقسوم على خمسة، فهو إذاً من خمس الخمس. وقد نص الإمام أحمد على أن النفل يكون من اربعة أخماس الغنيمة، وهذا العطاء هو من النفل، نَفَلَ النبي ﷺ به رؤوس القبائل والعشائر ليتألفهم به وقومهم على الإسلام، فهو أولى بالجواز من تنفيل الثلث بعد الخمس، والربع بعده، لما فيه من تقوية الإسلام وشوكته وأهله، واستجلاب عدوه إليه، هكذا وقع، كما قال بعض هؤلاء الذين نفلهم: لقد أعطاني رسول الله ﷺ وإنه لأبغض الخلق إليَّ، فما زال يعطيني حتى إنه لأحب الخلق إليَّ.

فما ظنك بعطاء قوَّى الإسلام وأهله، وأذل الكفر وحزبه، واستجلب به قلوب رؤوس القبائل والعشائر الذين إذا غضبوا، غضب لغضبهم أتباعهم، وإذا رضوا رضوا لرضاهم؛ فإذا أسلم هؤلاء لم يتخلف عنهم أحد من قومهم، فللّه ما أعظم موقع هذا العطاء، وما أجداه وأنفعه للإسلام وأهله.

ومعلوم أن الأنفال لله ولرسوله يقسمها رسوله حيث أمره لا يتعدى الأمر، فلو وضع الغنائم بأسرها في هؤلاء لمصلحة الإسلام العامة، لما خرج عن الحكمة والمصلحة والعدل، ولما عميت أبصار ذي الخويصرة التميمي وأضرابه عن هذه المصلحة والحكمة. قال له قائلهم: اعدل فإنك لم تعدل. وقال مشبهه: إن هذه القسمة ما أُريد بها وجه الله، ولَعَمْرُ الله إن هؤلاء من أجهل الخلق برسوله، ومعرفته بربه، وطاعته له، وتمام عدله، وإعطائه لله، ومنعه لله، ولله سبحانه أن يقسم الغنائم كما يحب، وله أن يمنعها الغانمين جملة كما منعهم غنائم مكة، وقد

أوجفوا عليها بخيلهم وركابهم، وله أن يسلط عليها ناراً من السماء تأكلها، وهو في ذلك أعدل العادلين، وأحكم الحاكمين، وما فعل ما فعله من ذلك عبثاً، ولا قدره سدى: بل هو عين المصلحة والعدل والرحمة، مصدره كمال علمه، وعزته، وحكمته، ورحمته، ولقد أتم نعمته على قوم ردهم إلى منازلهم برسوله ﷺ يقودونه إلى ديارهم، وأرضى من لم يعرف قدر هذه النعمة بالشاة والبعير، كما يعطى الصغير ما يناسب عقله ومعرفته، ويعطى اللبيب العاقل ما يناسبه، وهذا فضله، وليس هو سبحانه تحت حجر أحد من خلقه، فيوجبون عليه بعقولهم ويحرمون، ورسول الله منفِّذ لأمره»[1].

رابعها: هذا الاعتراض وأمثاله بلاء يصيب الأنبياء ولا يضيرهم، كما روى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (لما قسم النبي ﷺ قسمة حنين قال رجل من الأنصار: ما أراد بها وجه الله، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته، فتغير وجهه، ثم قال: رحمة الله على موسى، لقد أُوذي بأكثر من هذا فصبر) رواه البخاري[2].

---

(١) زاد المعاد لابن قيم الجوزية ٣/٤٨٤ – ٤٨٥.

(٢) البخاري المغازي ٥٦.

المطلب الثالث: اتهام النبي ﷺ بالشهوانية والهوى:

جاء في الدائرة محاولات عدة للحط من شأن النبي ﷺ، واضعاف الثقة بنبوته، وصد الناس عن دين الله، ومن ذلك سرد الأحداث والمعلومات بحيث يُفهم منها أن النبي ﷺ أسير هواه، ومتبع لشهوته لا غير، حاشاه ﷺ من ذلك، وقد جعلت لكل فرية مسألة تخصها:

المسألة الأولى: جاء في الدائرة: (وفي العام الرابع من الهجرة رأى النبي زينب وكان قد استدعى زيد إلى بيته، فأعجب بها وأحبها، وطلقها زيد ليتزوجها النبي، وقد نزل الوحي بما بدد شكوك النبي....... وقد هولت الدعاية المسيحية في حادث شغف الرسول بزوجة متبناه، وحاول المُحدَثون من كتّاب السير والمسلمين، والمفسرون إظهار هذا الحادث في ثوب لائق)[1].

قلت: الرد على هذا الكلام من وجوه:

أولها: إن استدعاء النبي ﷺ لزيد[2] في السنة الرابعة من الهجرة

---

(١) الدائرة، الأولى ١١/٢٨ - ٢٩، زينب بنت جحش، فكا.

(٢) زيد بن حارثة بن شراحيل الكعبي سُرق في الجاهلية وهو صغير وبيع في سوق عكاظ فاشترته خديجة فلما تزوجها النبي ﷺ وهبته له، فلما عرف أبوه مكانه أتى مكة وسأل النبي ﷺ أن يفديه فقال ﷺ: إن اختاركم فهو لكم بغير فداء فاختار النبيَّ ﷺ فتبناه فلما جاء الإسلام كان زيد من السابقين إلى الإسلام، زوَّجه النبي زينب بنت عمته، وقد شارك في غزوات النبي ﷺ حتى قتل شهيداً على رأس جيش في مؤتة سنة ست من الهجرة (انظر الإصابة ١/٥٦٣ - ٥٦٤).

ورؤيته زينب[1] وإعجابه بها وحبه لها لم يثبت بحديث صحيح يُعول عليه، وقد ساقت المستشرقة ذلك بصيغة الجزم، وكأنه حديث صحيح، وهذا غير مقبول البتة.

إن غاية ما في الأمر وجود بعض الآثار الضعيفة عن السلف التي ذكرت أن النبي ﷺ أحب زينب واستحسنها، وأنه يخفي محبة تطليق زيد لها[2].

وقد قال ابن كثير عن تلك الآثار: «ذكر ابن أبي حاتم وابن جرير ههنا آثاراً عن بعض السلف - رضي الله عنهم - أحببنا أن نضرب عنها صفحاً لعدم صحتها فلا نوردها»[3].

ولم يطلقها زيد ليتزوجها النبي ﷺ، ولم يأت ذلك في حديث صحيح أو ضعيف، ولم يقل به أحد من المسلمين، وإنما كرهها فطلقها.

وهذا مدعاة للتساؤل: من الذي يختلق القصص؟ أهم المسلمين الذين يروون الأحاديث بأسانيدها؟ أم تلك المستشرقة وأمثالها؟

---

(١) زينب بنت جحش الأسدية بنت أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ تزوجها النبي ﷺ بأمر من الله تعالى بعد طلاق زيد لها كانت ورعة تقية صوامة قوامة توفيت سنة ٢٠ هـ. (الإصابة ٤/٣١٣ - ٣١٤).

(٢) تفسير ابن جرير الطبري ٢٢/١٠ - ١١، تفسير الأحزاب ٣٧.

(٣) ابن كثير ٣/٤٩١، تفسير الأحزاب ٣٧.

ثانيها: ما ذكره محمد حسين هيكل بقوله: «ويكفي لهدم كل القصة التي قرأت عنها من أساسها أن تعلم أن زينب بنت جحش هذه هي ابنة أُميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله – عليه السلام – وأنها رُبيت بعينه وعنايته، وأنها كانت لذلك منه بمقام البنت أوالأخت الصغرى، وأنه كان يعرفها: أهي ذات مفاتن أم لا؟ قبل أن تتزوج زيداً، وأنه شهدها في نموها تحبو من الطفولة إلى الصبا إلى الشباب، وأنه هو الذي خطبها على زيد مولاه»[1].

ثالثها: أن زينب لم تكن لترضى بزيد لولا تدخل النبي ﷺ، قال ابن عباس – رضي الله عنهما –: «إن رسول الله ﷺ انطلق ليخطب على فتاه زيد بن حارثة – رضي الله عنه –، فدخل على زينب بنت جحش الأسدية – رضي الله عنها –، فخطبها، فقالت: لست بناكحته، فقال رسول الله ﷺ: بلى فانكحيه، قالت: يا رسول الله أؤامر في نفسي؟ فبينما هما يتحدثان أنزل الله هذه الآية على رسول الله ﷺ: ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا** ﴾[2] قالت: قد رضيتَه لي يا رسول الله منكحاً؟ قال: نعم، قالت إذاً لا أعصي رسول ﷺ قد أنكحته نفسي»[3].

رابعها: ما قصه الله تعالى بقوله سبحانه: ﴿ **وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ**

---

(١) الدائرة، الأولى ١١ /٢٨، زينب بنت جحش، تعليق محمد حسين هيكل.

(٢) الأحزاب ٣٦.

(٣) تفسير ابن كثير ٣ /٤٨٩.

اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ... ﴾[1]، فزيد لم يكن يريدها، وكان رسول الله ﷺ يأمره بإمساكها، ويقول له: (اتق الله وأمسك عليك زوجك) كما جاء في القرآن وأجمع عليه المفسرون، قال ابن حجر: وقد أخرج ابن أبي حاتم هذه القصة من طريق السدي فساقها سياقاً واضحاً حسناً، ولفظه: «بلغنا أن هذه الآية نزلت في زينب بنت جحش، وكانت أمها أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ، وكان رسول الله أراد أن يزوجها زيد بن حارثة مولاه فكرهت ذلك، ثم إنها رضيت بما صنع رسول الله ﷺ فزوجها إياه، ثم أعلم الله عز وجل نبيه ﷺ بعدُ أنها من أزواجه، فكان يستحيي أن يأمر بطلاقها، وكان لا يزال يكون بين زيد وزينب ما يكون من الناس، فأمره رسول الله ﷺ أن يمسك عليه زوجه، وأن يتقي الله، وكان يخشى الناس أن يعيبوا عليه ويقولوا: تزوج امرأة ابنه، وكان قد تبنى زيداً»[2].

فالذي أخفاه ﷺ: أنه لو طلقها زيد لتزوجها، وأنه يخشى أن يبدي ذلك للناس[3].

---

(١) الأحزاب ٣٧.

(٢) فتح الباري ٨/ ٥٢٣، وقال ابن حجر عن هذه الرواية مقارنة بالروايات الأخرى: «أنها أوضح سياقاً وأصح إسناداً» ٨/ ٥٢٤.

(٣) انظر ابن كثير ٣/ ٤٩١، وفتح القدير للشوكاني ٤/ ٢٨٤، وأضواء البيان لمحمد الأمين الشنقيطي ٦/ ٥٨٠ – ٥٨٢، وتيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن لعبد الرحمن بن ناصر السعدي ٦/ ٢٢٤.

وقال القرطبي في تأييد ذلك: «قال علماؤنا رحمة الله عليهم: وهذا القول أحسن ما قيل في تأويل هذه الآية، وهو الذي عليه أهل التحقيق من المفسرين والعلماء الراسخين؛ كالزهري والقاضي بكر بن العلاء القشيري والقاضي أبي بكر العربي وغيرهم. والمراد بقوله تعالى: ﴿ **وتخشى الناس** ﴾ إنما هو إرجاف المنافقين بأنه نهى عن تزويج نساء الأبناء وتزوج بزوجة ابنه. فأما ما رُوي أن النبي ﷺ هوى زينب امرأة زيد – وربما أطلق عليه بعض المجان لفظ عشق – فهذا إنما يصدر عن جاهل بعصمة النبي ﷺ عن مثل هذا، أو مستخفّ بحرمته»(١).

وقال الشنقيطي في تفسير: ﴿ **وتخفي في نفسك ما الله مبديه** ﴾: «هنا أبهم هذا الذي أخفاه ﷺ في نفسه وأبداه الله، ولكنه أشار إلى أن المراد به زواجه ﷺ زينب بنت جحش – رضي الله عنها – حيث أوحى الله إليه ذلك، وهي في ذلك الوقت تحت زيد بن حارثة؛ لأن زواجه إياها هو الذي أبداه الله بقوله: ﴿ **فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها** ﴾ وهذا هو التحقيق في معنى الآية الذي دل عليه القرآن، وهو اللائق بجنابه ﷺ»(٢).

أما ماروي غير ذلك في شأن هذه القصة من إعجاب النبي ﷺ بزينب فهو مردود لعدم ثبوته، ولمخالفته حقائق التاريخ من معرفة النبي بزينب قبل ذلك كما تقدم، والآيات القرآنية لم تذكر ذلك، ولو صح

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٤/ ١٩١.

(٢) أضواء البيان للشنقيطي ٦/ ٥٨٠.

ذلك فإن الخواطر لا يؤاخذ عليها الإنسان إذا أخفاها، ولو كان ذنباً من النبي ﷺ بأية حال لأُمر بالتوبة والاستغفار.

خامسها: أن نزول الوحي في هذه القضية لم يكن ليبدد شكوك النبي ﷺ فحسب، وإنما كان حرجاً عليه، وهذا من دلائل نبوته ﷺ إذ لو كان القرآن من عند نفسه لما أحرجها.

قال عمر وابن مسعود – رضي الله عنهما –: «ما أنزل الله على رسوله أشد من هذه الآية»[1].

كما روى مسلم عن عائشة– رضي الله عنها –: «لو كان محمد ﷺ كاتماً شيئاً مما أُنزل عليه؛ لكتم هذه الآية: ﴿وإذ تقول للذي... ﴾»[2].

وروى البخاري عن أنس – رضي الله عنه – قال: «لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً لكتم هذه الآية»[3].

سادسها: بيان الحِكمة من زواج النبي ﷺ بزينب – رضي الله عنها – وهي إبطال عادة التبني التي استحكمت في الجاهلية، وكانوا يجعلون للمُتبنَّى نفس حقوق الأبناء، ومن ذلك تحريم الزواج بمطلقة المُتبنَّى، فجاء الإسلام لإلغاء تلك العادة وما يترتب عليها، ولَمَّا كانت

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٤/ ١٨٩.

(٢) مسلم الإيمان ٢٨٨.

(٣) البخاري التوحيد ٢٢.

هذه العادة متعمقة في النفوس، لم يكتف سبحانه بالآية الناهية عن ذلك وهي قوله تعالى: ﴿ ....وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٤﴾ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ... ﴾[1]؛ بل احتاجوا إلى إلغاء النبي ﷺ عملياً لهذه العادة.

لذا قال تعالى بعد هذه الآيات: ﴿ ...فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ.... ﴾[2].

المسألة الثانية: جاء في الدائرة في مادة «صفية»: (ولكن محمداً عندما رآها بهره حسنها فألقى عباءته عليها إشارة إلى أنه اختارها لنفسه، فافتداها من دحية بسبعة رؤوس من الماشية، ورغبها في اعتناق الإسلام، أما زوجها فقد حكم عليه النبي بالإعدام، فقُتل شر قتلة؛ لأنه رفض تسليم كنز بني النضير، ولعل رغبة النبي في الزواج بصفية كان لها أثر في هذا الحكم؛ ذلك لأن مراسيم الزواج تمت في روح من العجلة لا تليق بهذه المناسبة)[3].

---

(١) الأحزاب ٤ – ٥.

(٢) الأحزاب ٣٧ – ٣٨.

(٣) الدائرة، الأولى ١٤/٢٤٩، صفية، فكا.

قلت: ليس في فعل رسول الله ﷺ ما يشين، وقد أساءت الكاتبة الظن بنبي الله ﷺ، وساقت القصة على غير وجهها مخالفة في ذلك الأمانة العلمية في سرد الحوادث؛ ذلك أن خيبر فُتحت بالسلاح من غير صلح بعد أن ساهم يهودها متحالفين مع من انضم إليهم من يهود بني النضير في تأليب الأحزاب على رسول لله ﷺ[1]،فلما فتحت جاز كما هو معروف للفاتحين الاستيلاء على ما فيها من المغانم، واسترقاق الذراري والنساء، والتخيير في الرجال المقاتلين بين القتل والأسر والفداء والمن، وهذا ما كان يُفعل آنذاك في سائر الحروب، فأقره الإسلام معاملة بالمثل، مع سعيه إلى تحرير الأرقاء بوسائل عديدة وأسباب شتى.

ولما كانت خيبر كذلك استُرِقت صفية[2] كسائر السبي، وقد روى ابن سعد وغيره من أصحاب السير: «أن النبي ﷺ عرض عليها أن يعتقها إن اختارت الله ورسوله. فقالت: اختار الله ورسوله. فأسلمت فأعتقها وتزوجها ﷺ، وجعل عتقها مهرها، ورأى بوجهها أثر خضرة قريباً من عينها، فقال: ما هذا؟ قالت: يا رسول الله رأيت في المنام قمراً أقبل من يثرب حتى وقع في حجري، فذكرت ذلك لزوجي كنانة

---

(١) سيرة ابن هشام ٣/١٠٧.

(٢) صفية بنت حيي بن أخطب النضري من ذرية لاوي بن يعقوب قُتِل زوجها كنانة يوم خيبر واسترقت هي فاعتقها النبي ﷺ وتزوجها كانت عاقلة حليمة فاضلة توفيت سنة ٥٢ هـ.

(انظر الإصابة ٤/٣٤٧ – ٣٤٨).

فقال: تحبين أن تكوني تحت هذا الملك الذي يأتي من المدينة، فضرب وجهي»[1].

أما ما يتعلق بقتل زوجها فلا علاقة له بزعم الكاتبة، فقد ذكر ابن حجر العسقلاني ما نصه: «واسم زوجها كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وكان سبب قتله ما أخرجه البيهقي بإسناد رجاله ثقات من حديث ابن عمر: أن النبي ﷺ ترك من ترك من أهل خيبر على أن لا يكتموه شيئاً من أموالهم؛ فإن فعلوا فلا ذمة لهم ولا عهد، قال: فغيبوا مسكاً فيه مال وحلي لحيي بن أخطب كان احتمله معه إلى خيبر، فسألهم عنه، فقالوا: أذهبته النفقات، فقال: العهد قريب، والمال أكثر من ذلك، قال: فوُجِد بعد ذلك في خربة، فقتل النبي ﷺ ابني أبي الحقيق، وأحدهما زوج صفية»[2].

المسألة الثالثة: جاء في الدائرة في مادة سودة بنت زمعة (وبرم النبي بها حين أسنت وأهملها، وراح يقضي وقتاً طويلاً مع عائشة الصبية)[3].

قلت: في مقدمة الرد على هذا الكلام أسوق هذه النصوص الموضحة للقصة الحقيقية وبالتالي مفندة لمزاعم الكاتبة:

قال ابن كثير في تفسير قول الله تعالى: ﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا

---

(١) ابن سعد ٨/١٢١.

(٢) فتح الباري ٧/٤٧٩ المغازي ٣٨.

(٣) الدائرة، الأولى ١٢/٣٥٣، سودة بنت زمعة، فكا.

نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ....﴾ [1] قال: «لما كبرت سودة بنت زمعة[2] عزم رسول الله ﷺ على فراقها فصالحته على أن يمسكها وتترك يومها لعائشة». ثم ساق قول ابن عباس: «خشيت سودة أن يطلقها رسول الله ﷺ؛ فقالت يا رسول الله: لا تطلقني واجعل يومي لعائشة، ففعل، ونزلت هذه الآية»[3].

كما ذكر ابن كثير هذه الرواية عن القاسم بن أبي برة قال: «بعث النبي ﷺ إلى سودة بنت زمعة بطلاقها، فلما أن أتاها؛ جلست له على طريق عائشة، فلما رأته قالت له: أنشدك بالذي أنزل عليك كلامه، واصطفاك على خلقه؛ لما راجعتني، فإني قد كبرت، ولا حاجة لي في الرجال، ولكن أريد أن أُبعث مع نسائك يوم القيامة، فراجعها، فقالت: فإني قد جعلت يومي وليلتي لحِبة رسول الله ﷺ». قال ابن كثير: «هذا غريب مرسل»[4].

كما روى البخاري عن عائشة: «أن سودة بنت زمعة وهبت يومها لعائشة، وكان النبي ﷺ يقسم لعائشة بيومها ويوم سودة»[5].

---

(١) النساء ١٢٨.

(٢) سودة بنت زمعة القرشية العامرية توفي زوجها السكران بن عمرو فتزوجها النبي ﷺ وهي ثاني أزواجه بعد خديجة، وهبت ليلتها لعائشة بعد تقدم عمرها مخافة أن يطلقها النبي ﷺ توفيت سنة ٥٤هـ. (انظر الإصابة ٤/٣٣٧ – ٣٣٨).

(٣) تفسير ابن كثير ١/٥٦٢.

(٤) تفسير ابن كثير ١/٥٦٢.

(٥) البخاري النكاح ٩٨.

مما سبق يتبين عدة أمور:

أولاً: لم تذكر الكاتبة هذا التفصيل الضروري، ولكنها اختصرت الكلام اختصاراً مخلاً، مما أدى إلى تحريفه.

ثانياً: يفهم من كلام الكاتبة أن رسول الله ﷺ ظلم سودة، ولم يعدل بينها وبين عائشة – رضي الله عن الجميع – وهذا ليس بصحيح، بل هو صلح بين النبي ﷺ وسودة، بدلاً من الطلاق؛ ذلك لأن الإسلام لا يحرم الطلاق – كما هو الحال في النصرانية –[1]، فلما خشيت سودة تطليق النبي ﷺ لها كما بينته الروايات السالفة، وهبت يومها لعائشة ليستبقيها النبي ﷺ زوجة له، لتبقى زوجة له في الآخرة، وهذا من كمال عقلها. وهو من الصلح الذي ذكره الله في الآية الكريمة.

والصلح خير من الطلاق لذا قال سبحانه: ﴿**وَالصُّلْحُ خَيْرٌ**﴾[2].

قال ابن كثير في هذا المعنى: «والظاهر من الآية: أن صلحهما على ترك بعض حقها للزوج، وقبول الزوج ذلك؛ خير من المفارقة بالكلية»[3].

---

(١) الطلاق مشروع في الإسلام لما فيه من المصالح لكلا الزوجين، ودفع الأذى عنهما، فلا يجبر أحد منهما على البقاء مع من لا يريده، والطلاق وإن كان فيه مفسدة لما فيه من تفريق الأسر، ولكن الله شرعه لأن التفريق قد يكون أخف الضررين، وهذا من كمال دين الإسلام.

(٢) النساء ١٢٨.

(٣) تفسير ابن كثير ١/٥٦٣ تفسير النساء ١٢٨.

فليس في الروايات: أن النبي ﷺ برم بها، أو أساء إليها، أو لم يعدل معها، بل هي التي وهبت يومها لعائشة برضاها.

ثالثاً: يلاحظ سوء الأدب في العبارات التي اختارتها الكاتبة في وصف سيد الخلق رسول الله ﷺ وهذا ليس بغريب عليهم فكل إناء بما فيه ينضح.

المطلب الرابع: اتهام النبي ﷺ بالتحايل ونقض العهود:

جاء في الدائرة في معرض بيان فائدة صلح الحديبية للنبي ﷺ:

(ومن ثم أُتيح لأبي القاسم أن يستغل ذلك إلى أقصى حد، وأن يفيد من حرية التنقل التي أباحها له هذا العهد إفادة كاملة، ولم تعد المدينة تخشى شيئاً من مكة، وما كانت لتعوز النبي الوسيلة إلى التحايل على القيود الثقيلة التي رضى بها، ونقض العهد الذي أبرمه)[1].

وجاء فيها أيضاً في الحديث عن الأشهر الحرم: (وأحرز النبي أول انتصار له في غزواته بخروجه على عهد الله)[2].

كما جاء فيها: (ويعد التقصير في حماية أهل الكتاب إثماً كبيراً في الإسلام، وبالطبع لا يمكن أن يتخذ ما فعله النبي ببني النضير وبني قريظة مثلاً يقاس عليه. على أنه رغم التعصب التي كان يعبر عنها

---

(١) الدائرة ١٣/ ٣٨٧، الحديبية، لامنس.

(٢) الدائرة ١١/ ١٦، الجاهلية، لامنس.

بعبارات شديدة)[1].

قلت: كلام الكاتب غير صحيح، وبيان ذلك من وجوه:

أولاً: – وهو جواب مجمل – لو صح أن النبي ﷺ ينقض العهود لاتهمته قريش وأعداؤه المعاصرون له بذلك، ولم يستطع أحد أن يتهم النبي ﷺ بذلك مع حرصهم على تشويه سيرته ﷺ، لما عُرف عنه ﷺ وفاؤه بالعهود والمحافظة عليها، وأي مُتهِم له في هذا الجانب سيعرض نفسه للسخرية والتكذيب؛ لذا لم يجد الكاتب أي نص – مع شدة حرصه – يؤيد به كلامه من معاصري النبي ﷺ.

بل إن الذي وُجد واشتهر عن النبي ﷺ خلاف ذلك.

فقد تواتر صدق النبي ﷺ قبل البعثة وبعدها حتى لقب بالصادق الأمين، وفي الحوار الذي دار بين هرقل ملك الروم – عندما أرسل النبي ﷺ يدعوه إلى الإسلام – وبين أبي سفيان سيد قريش – وكان يومها مشركاً – بحضور عدد من العرب أقر بصدق النبي، وأنه يأمرهم بالصدق، ولم يتهمه بالغدر عندما سأله هرقل عن ذلك، وقد استدل هرقل من ذلك على صدق نبوته ﷺ فقال له: «وسألتك: هل يغدر فذكرت أن لا. وكذلك الرسل لا تغدر» إلى آخر ما استدل به هرقل على نبوته ﷺ[2].

---

(١) الدائرة ٥ / ١٦٠، أهل الكتاب، قولد زيهر.

(٢) البخاري بدء الوحي ١، مسلم الجهاد والسير ٧٤.

ولو كان ثمة غدر من النبي ﷺ لفرح به أبو سفيان ومن معه، وذكروا ذلك لهرقل في وقت شدة العداوة بينه وبين النبي ﷺ.

ثانياً: لم يكن النبي ﷺ ينقض العهود ، أو يخرج على عهد الله، بل ثبت خلاف ذلك، والشواهد على ذلك كثيرة منها:

١ – الأوامر العديدة في كتاب الله بمراعاة هذا الجانب، كقول الله تعالى: ﴿ .. **وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً** ﴾[١]، وقوله سبحانه: ﴿ **وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلا تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا** ... ﴾[٢]، ويقول سبحانه: ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ** ﴾[٣].

ولا يصح لرسوله ﷺ مخالفة أمره تعالى، وأقول تنزلاً لأمثال هؤلاء المستشرقين أنه لا يمكن لعاقل يقول إنه رسول الله ويريد تصديق الناس له وهو يخالف في الوقت ذاته أوامر الله التي يدعو إلى احترامها.

٢ – ما ثبت عنه ﷺ من التحذير من نقض العهود، ومن ذلك: قوله ﷺ: (أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كان فيه خلة منهن كان فيه خلة من نفاق، حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا

---

(١) الإسراء ٣٤.

(٢) النحل ٩١.

(٣) المؤمنون ٨.

عاهد غدر، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر)[1]، وقوله ﷺ: (آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتُمِن خان) متفق عليه[2]، وقوله ﷺ: (لكل غادر لواء يوم القيامة، يرفع له بقدر غدره، ألا ولا غدر أعظم غدراً من أمير عامة)[3].

٣ ــ ما صح عنه ﷺ عملياً من المحافظة على العهود، ومن ذلك ما قاله حذيفة رضي الله عنه: «ما منعني أن أشهد بدراً إلا أني خرجت أنا وأبي، فأخذنا كفار قريش، قالوا: إنكم تريدون محمداً، فقلنا: ما نريده، ما نريد إلا المدينة، فأخذوا علينا عهد الله وميثاقه لننصرفن إلى المدينة، فأتينا رسول الله ﷺ، فأخبرناه الخبر، فقال: (انصرفا نفي لهم بعهدهم ونستعين الله عليهم)»[4].

بل حرص النبي ﷺ على المحافظة على نفس صلح الحديبية من بدايته، فمن ذلك ما روى البخاري: «لما كاتب رسول الله ﷺ سُهيل بن عمرو يوم الحديبية على قضية المدة، وكان فيما اشترط سُهيل بن عمرو أنه قال: لا يأتيك منا أحد، وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، وخليت بيننا وبينه.

وأبى سهيل أن يُقاضي رسول الله ﷺ إلا على ذلك. فكره المؤمنون

---

(١) البخاري الإيمان ٢٤، مسلم الإيمان ١٠٦.
(٢) البخاري الإيمان ٢٤، مسلم الإيمان ١٠٧.
(٣) مسلم الجهاد والسير ١٦.
(٤) مسلم الجهاد والسير ٩٨.

ذلك، وامعضوا[1] فتكلموا فيه، فلما أبى سهيل أن يُقاضي رسول الله ﷺ إلا على ذلك؛ فرد رسول الله ﷺ أبا جندل بن سهيل يؤمئذ إلى أبيه سهيل بن عمرو. ولم يأت رسول الله ﷺ أحد من الرجال إلا رده في تلك المدة وإن كان مسلماً»[2].

كما أن هناك رواية أخرى مفصلة لهذه الرواية، وفيها: «فقال سهيل: وعلى ألا يأتيك منا رجلٌ - وإن كان على دينك - إلا رددته إلينا. قال المسلمون: سبحان الله! كيف يُرد إلى المشركين وقد جاء مسلماً؟ فبينما هم كذلك؛ إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده، وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال سهيل: هذا يا محمد أول ما أقاضيك عليه أن ترده إليَّ. فقال النبي ﷺ: إنا لم نقض الكتاب بعد.

قال: فوالله إذاً لا أصالحك على شيء أبداً. قال النبي ﷺ: فأجزه لي، قال ما أنا بمجيزه لك، قال: بلى فافعل، قال: ما أنا بفاعل»[3].

وفي سيرة ابن هشام: «فلما رأى سهيل أبا جندل قام إليه فضرب وجهه، وأخذ بتلابيبه، ثم قال: يا محمد، قد لجت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا، قال صدقت، فجعل ينتره بتلبيبه، ويجره ليرده إلى قريش، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته: يا معشر

---

(١) أي شق عليهم. «انظر فتح الباري ٧/٤٥٤ المغازي ٣٥».

(٢) البخاري، المغازي ٣٥.

(٣) البخاري، الشروط ١٥.

المسلمين، أأُرد إلى المشركين يفتنونني في ديني؟ فزاد ذلك الناس إلى ما بهم، فقال رسول الله ﷺ: يا أبا جندل، أصبر واحتسب، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً، وأعطيانهم على ذلك، وأعطونا عهد الله؛ وإنا لا نغدر بهم»(١).

ثالثاً: ما ذكره الكاتب من استغلال النبي ﷺ لصلح الحديبية وإفادته من ذلك في حرية التنقل، وتحايله بعد ذلك لنقض الصلح، ومن ثَم نقضه، فالجواب عليه من وجوه:

الوجه الأول: أن الكاتب أطلق الكلام والأحكام مجردة من أي أدلة، فهي دعاوى لا قيمة لها ومفتقرة إلى ما يسندها، ولا سيما أن ما ذكره مخالف لما اتفق عليه المؤرخون، وتواتر من سيرته ﷺ.

الوجه الثاني: إنه لما أبرم النبي ﷺ مع قريش صلح الحديبية، كان من بنود الصلح: «أنه من أحب أن يدخل في عقد رسول الله وعهده فعل، وأنه من أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم فعل» فدخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدهم، ودخلت خزاعة في عقد رسول الله ﷺ وعهده - و كان بينهما ثأر في الجاهلية - فلما كانت الهدنة استغلها بنو الديل من بني بكر، فخرج نوفل بن معاوية الديلي في بعض بني ديل، وهو يومئذ قائدهم وبيتوا خزاعة على ماء يُقال له الوتير، فأصابوا منهم رجلاً، واقتتلوا، وأعانت قريش بني بكر

(١) سيرة ابن هشام ٣/ ٢٠٤.

بالسلاح، كما قاتل معهم من قاتل بالليل مستخفياً، حتى حازوا خزاعة إلى الحرم، فلما انتهوا إليه، قالت بنو بكر: يا نوفل إنا قد دخلنا الحرم إلهك إلهك، فقال لا إله له اليوم، فلجأوا إلى دار بديل بن ورقاء[1].

قال ابن اسحاق: «فلما تظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعة وأصابوا منهم ما أصابوا، ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهد والميثاق بما استحلوا من خزاعة – وكانوا في عقده وعهده – خرج عمرو بن سالم الخزاعي فأتى رسول الله ﷺ وأنشد من الشعر يستنجده عند باب مسجده، وكان مما قاله:

يا رب إني ناشد محمداً	حلف أبينا وأبيه الأتلدا
فانصر هداك الله نصراً أيداً	وادع عباد الله يأتوا مددا
إن قريشاً أخلفوك الموعدا	ونقضوا ميثاقك المؤكدا
هم بيتونا بالوتير هجدا	وقتلونا ركعاً وسجدا

فقال رسول الله ﷺ: نصرت يا عمرو بن سالم»[2].

فقريش وحلفاؤها هم الذين نقضوا عهد النبي ﷺ، لا العكس، وكان من الواجب على الكاتب أن لا يغفل هذا الحدث الكبير الذي كان سبباً لفتح مكة، بدلاً من إلقاء تلك الأحكام التي ينال فيها من سيد الخلق من غير تبصر، إنه الحسد والحقد الصاد عن الحق، وصدق

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٤/ ٢٢ – ٢٥.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٤/ ٢٦ – ٢٧.

الله إذ يقول: ﴿ .... فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[١].

الوجه الثالث: لو كان فيما فعله النبي ﷺ أدنى خطأ، فضلاً عن نقض الصلح لاعترضت عليه قريش، وانتشر في جزيرة العرب، ولاتُخذ من ذلك ذريعة لتكذيب النبي ﷺ، والصد عن دينه، فلما لم يكن ذلك، ثبت شدة محافظة النبي ﷺ على العهد.

بل إن الذي حدث هو العكس، فلقد شعرت قريش بخطورة ما صنعت فأوفدت أبا سفيان ليعتذر، فأتى المدينة، فكلم رسول الله ﷺ فلم يجبه، فاستشفع بأبي بكر فلم يشفع له، ثم استشفع بعمر فلم يشفع له، ثم استشفع بعلي فلم يشفع له[٢].

بل لما فتح النبي ﷺ مكة، عقب نقضهم للصلح، لم يكن من أمرهم عندما قال لهم النبي ﷺ: يا معشر قريش ماترون أني فاعل فيكم؟، قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء[٣]، فما هذا بكلام ناقضٍ للعهد، وما هذا بجواب من نُقض عهده، بل العكس هو الصواب.

رابعاً: أما ما ذكره من خروجه ﷺ على عهد الله، وتحقيقه أول انتصار له بسبب ذلك، فالكاتب أراد بذلك سرية عبد الله بن جحش،

---

(١) الحج ٤٦.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٤ /٢٧ - ٢٨.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ٤ / ٤٠.

وفيها حدث أول قتال بين المسلمين والمشركين، والجواب عليه يتضح بسرد هذه الواقعة ليتبين أن النبي ﷺ لم يخرج على عهد الله:

«ففي شهر رجب بعث النبي ﷺ عبد الله بن جحش ومعه ثمانية من المهاجرين، وكتب له كتاباً، وأمره ألا ينظر فيه حتى يسير يومين، فيمضي لما أمره به، ولا يستكره من أصحابه أحداً، لما سار يومين فتح الكتاب ونظر فيه، فإذا فيه: (إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة[1] بين مكة والطائف فترصد بها قريشاً وتعلّم لنا من أخبارهم).

فلما نظر عبد الله بن جحش في الكتاب قال: سمعاً وطاعة، ثم أخبر أصحابه، فمضوا معه لم يتخلف منهم أحد.

فلم نزلوا بنخلة مرت عير لقريش فيها أربعة رجال تحمل زبيباً وأدماً، وكانو ا في آخر يوم من رجب، فقال القوم: والله لئن تركتم القوم هذه الليلة ليدخلن الحرم فليمتنعن منكم، ولئن قتلتموهم لتقتلنهم في الشهر الحرام!، فتردد القوم وهابوا الإقدام، ثم شجعوا أنفسهم وقتلوا أحد المشركين وأسروا أسيرين، وفر الرابع، فقدموا على رسول الله ﷺ بالمدينة فقال: ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام، فوقَّف العير والأسيرين، وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً، فلما قال ذلك رسول الله ﷺ سُقط في أيدي القوم وظنوا أنهم قد هلكوا، وعنفهم إخوانهم

---

(١) هي نخلة اليمانية، وهو الوادي المسمى بأسم اليمانية المعروف بين مكة والطائف.

المسلمون فيما صنعوا. وقالت قريش: قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام، وسفكوا فيه الدم، وأخذوا فيه المال، وأسروا فيه الرجال!، فقال من يرد عليهم من المسلمين بمكة: إنما أصابوا ما أصابوا في شعبان.

فلما أكثر الناس في ذلك أنزل الله على رسوله ﷺ: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ...** ﴾[1]، أي إن كنتم قتلتم في الشهر الحرام، فقد صدوكم عن سبيل الله مع الكفر به، وعن المسجد الحرام، وإخراجكم منه وأنتم أهله أكبر عند الله من قتل من قتلتم منهم، ثم إن فتنتهم للمسلم في دينه حتى يردوه إلى الكفر بعد إيمانه، فذلك أكبر عند الله من القتل، ثم هم مقيمون على أخبث ذلك وأعظمه وهو قتالكم حتى ردتكم عن دينكم غير تائبين ولا نازعين.

فلما نزل القرآن بهذا، وفرَّج الله عن المسلمين ما كانوا فيه، قبض رسول الله ﷺ العير والأسيرين»[2].

من هذا العرض يتبين عدة أمور:

١ - أن النبي ﷺ لم يقاتل في الشهر الحرام، أو ينقض عهد الله

---

(١) البقرة ٢١٧.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٢/١٧٨ - ١٨٠.

كما زعم الكاتب، بل ولم يأمر بذلك. وإنما وقع القتال بغير أمره ﷺ.

٢ - إن القتال في الشهر الحرام لأمر كبير، كما ذكره الله تعالى في الآية السابقة، والسرية لا يُنكر وقوع ذلك منها، ولكن هناك أمر جدير بالانتباه ذكره الله في الآية رداً على كفار قريش الذي عابوا المسلمين، بقوله سبحانه بعد أن قرر حرمة الشهر الحرام: ﴿ ... **وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ** ... ﴾ (١).

«إن المسلمين لم يبدأوا بالقتال، ولم يبدأوا العدوان. إنما هم المشركون. هم الذين وقع منهم الصد عن سبيل الله، الكفر به وبالمسجد الحرام. لقد صنعوا كل كبيرة لصد الناس عن سبيل الله. ولقد كفروا بالله وجعلوا الناس يكفرون. ولقد كفروا بالمسجد الحرام. انتهكوا حرمته؛ فآذوا المسلمين فيه، وفتنوهم عن دينهم طوال ثلاثة عشر عاماً قبل الهجرة وأخرجوا أهله منه، وهو الحرم الذي جعله الله آمناً، فلم يأخذوا بحرمته ولم يحترموا قدسيته.

وإخراج أهله منه أكبر عند الله من القتال في الشهر الحرام.. وفتنة الناس عن دينهم أكبر عند الله من القتل. وقد ارتكب المشركون هاتين الكبيرتين فسقطت حجتهم في التحرز بحرمة البيت الحرام وحرمة

---

(١) البقرة ٢١٧.

الشهر الحرام. ووضح موقف المسلمين في دفع هؤلاء المعتدين على الحرمات؛ الذين يتخذون منها ستاراً حين يريدون! وكان على المسلمين أن يقاتلوهم أنى وجدوهم؛ لأنهم عادون باغون أشرار، لا يرقبون حرمة، ولا يتحرجون أمام قداسة. وكان على المسلمين ألا يدعوهم يحتمون بستار زائف من الحرمات التي لا احترام لها في نفوسهم ولا قداسة!

لقد كانت كلمة حق يراد بها باطل. وكان التلويح بحرمة الشهر الحرام مجرد ستار يحتمون خلفه، لتشويه موقف الجماعة المسلمة، وإظهارها بمظهر المعتدي.. وهم المعتدون ابتداء. وهم الذين انتهكوا حرمة البيت ابتداء»[1].

خامساً: فيما يتعلق بمعاملة النبي ﷺ لليهود فقد كان إخراج النبي ﷺ لبني النضير وقتل بني قريظة وفق الحكمة والعدل، فقد نقضت كلتا القبيلتين العهد، بعد أن كانوا يتمتعون بالأمن في المدينة إلى جوار المسلمين، أما بنو النضير فقصة محاولة قتلهم للنبي ﷺ والشروع في ذلك مشهورة وذكرها جل أهل السير عندما أتاهم مستعيناً بهم على دفع دية رجلين قتلهما أحد المسلمين خطأً.

---

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب ١/٢٢٦ تفسير البقرة ٢١٧.

أما بني قريظة فقد خانوا رسول الله ﷺ ونقضوا العهد عندما حاصر المشركون المدينة في غزوة الأحزاب، فقد ظاهروا المشركين، وأعانوهم ناقضين بذلك الصلح كما قال تعالى عنهم في سورة الأحزاب: ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴾[1].

وقد جاء في الدائرة الاعتراف بذلك في موضع آخر من مستشرق متعصب: (... إن محمداً كان قد اعتمد على اليهود في مكة، فما لبثوا أن اتخذوا حياله خطة عداء، فلم يكن له بد من أن يلتمس غيرهم ناصراً؛ ...)[2].

إن ما فعله النبي ﷺ باليهود أتى متناسقاً مع ما جاء في الشرع بحماية أهل الكتاب وإعطائهم حقوقهم غير منقوصة إذا أدوا ما عليهم.

«إن الإسلام يرعى حرمات من يرعون الحرمات، ويشدد في هذا المبدأ ويصونه. ولكنه لا يسمح بأن تُتخذ الحرمات متاريس لمن ينتهكون الحرمات، ويؤذون الطيبين، ويقتلون الصالحين، ويفتنون

---

(١) الأحزاب ٢٦ – ٢٧.

(٢) الدائرة ١/١٤٦، إبراهيم، فنسنك، مع التحفظ على باقي كلامه الذي سبق الرد عليه في ص ٣١٣.

المؤمنين، ويرتكبون كل منكر وهم في منجاة من القصاص تحت ستار الحرمات التي يجب أن تصان!

وهو يمضي في هذا المبدأ على اطراد.. إنه يحرم الغيبة.. ولكن لا غيبة لفاسق.. فالفاسق الذي يشتهر بفسقه لا حرمة له يعف عنها الذين يكتوون بفسقه. وهو يحرم الجهر بالسوء من القول. ولكنه يستثنى ﴿إلا من ظُلم﴾.. فله أن يجهر في حق ظالمه بالسوء من القول؛ لأنه حق، ولأن السكوت عن الجهر به يُطمع الظالم في الاحتماء بالمبدأ الكريم الذي لا يستحقه!

ومع هذا يبقى الإسلام في مستواه الرفيع لا يتدنى إلى مستوى الأشرار البغاة. ولا إلى أسلحتهم الخبيثة ووسائلهم الخسيسة.. إنه فقط يدفع الجماعة المسلمة إلى الضرب على أيديهم، وإلى قتالهم وقتلهم، وإلى تطهير جو الحياة منهم.. هكذا جهرة في وضح النهار»[1]، فلا يأمر الإسلام بأن تتلف مال من أتلف مالك، أو تخون من خانك، أو تلعن من لعنك، أو تقذف من قذفك، أو تزنى بأهل من زنا بأهلك، وإنما شرع العقوبة المناسبة لمن فعل ذلك.

وقول الكاتب: «إن محمداً كان قد اعتمد على اليهود بمكة» يدل على جهله؛ حيث لم يكن في مكة يهود في زمن النبي ﷺ ولا بعده.

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب ١/٢٢٧ تفسير البقرة ٢١٧.

المطلب الخامس: اتهامات متفرقة:

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: جاء في الدائرة: (ولما زاد سلطان محمد زادت حياة زوجاته يسراً، وارتفعت مكانتهن في المجتمع، ولقبن بأمهات المؤمنين «الأحزاب الآية ٥»، وحرم عليهن الزواج بعد النبي «الأحزاب الآية ٥٢»، وهكذا ترك النبي عائشة أرملة لا عقب لها وقد بلغت من العمر ثمانية عشر عاماً)[١].

قلت: جواب هذا الكلام من وجوه عدة:

الوجه الأول: لم يكن النبي ﷺ كالملوك في عيشته، بل كان ﷺ نبياً رسولاً، زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة، فلم يكن مراده ﷺ الدنيا، مع قدرته عليها، وهذه بعض النصوص الدالة على ذلك:

عن أنس – رضي الله عنه – قال: «لم يأكل النبي ﷺ على خوان[٢] حتى مات، وما أكل خبزاً مرققاً حتى مات»[٣].

وقالت عائشة – رضي الله عنها –: «لقد مات رسول الله ﷺ وما

---

(١) الدائرة، الأولى ١٥/٤٣٣، عائشة بنت أبي بكر، منتقمري وات.

(٢) هو ما يؤكل عليه الطعام.

(٣) البخاري الأطعمة ٨، الرقاق ١٦.

شبع من خبز وزيت في يوم واحد مرتين»[1].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «لقد رأيت رسول الله يظل اليوم يلتوي ما يجد دقلاً[2] يملأ به بطنه»[3].

وعن أنس - رضي الله عنه وقد خدم رسول الله ﷺ عشر سنين - قال: «ما علمت النبي ﷺ أكل على سكرجة[4] قط، ولا خبز له مرقق قط، ولا أكل على خوان قط»[5].

والنصوص في ذلك كثيرة معلومة.

ولو فرض أنه ﷺ عاش كعيشة الملوك فإن هذا لا يقدح في نبوته، فقد كان داود وسليمان - عليهما الصلاة والسلام - كذلك وهما نبيان اصطفاهما الله واختارهما.

الوجه الثاني: أن زوجات النبي ﷺ كن يعشن مع النبي ﷺ، عيشة الكفاف، ولم يكن كزوجات الملوك، اللاتي يزددن من نعيم الدنيا كلما زاد سلطان أزواجهن، وهذه نصوص صحيحة دالة على مشاركة أهل بيت النبي ﷺ له في الزهد:

---

(١) مسلم الزهد ٢٩.

(٢) الدقل هو التمر الرديء.

(٣) مسلم الزهد ٣٦.

(٤) قصاع صغار.

(٥) البخاري الأطعمة ٧.

قال أبو هريرة – رضي الله عنه –: «والذي نفس أبي هريرة بيده! ما شبع رسول الله ﷺ وأهله، ثلاثة أيام تباعاً من خبز حنطة حتى فارق الدنيا»[١].

وقالت عائشة – رضي الله عنها –: «ماشبع آل محمد ﷺ يومين من خبز بر، إلا وأحدهما تمر»[٢].

وعن عروة[٣] عن عائشة – رضي الله عنها –: «أنها كانت تقول لي: والله يا بن أختي إنا كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال، ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقد في بيت رسول الله ﷺ نار، قال: قلت: يا خالة فما كان يعيشكم، قالت: الأسودان: التمر والماء؛ إلا أنه كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار، وكانت لهم منائح[٤]، فكانوا يرسلون إلى رسول الله ﷺ من ألبانها، فيسقيناه»[٥].

بل إن الله خيَّرهن بين العيش مع رسول الله ﷺ والصبر على الشدة التي هو فيها، أو أن يطلقهن ﷺ كما قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل**

---

(١) مسلم الزهد ٣٣.

(٢) مسلم الزهد ٥٣.

(٣) تقدمت ترجمته ص ٥٢٧.

(٤) جمع منيحة والأصل فيها أن يجعل الرجل لبن شاته أو ناقته لآخر، ثم جعلت كل عطية منيحة. «لسان العرب ٢/٦٠٧».

(٥) مسلم الزهد ٢٨.

لأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً (٢٨) وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[١].

وسبب ذلك أن بعض أزواج النبي ﷺ سألنه النفقة، فدخل عليه أبو بكر وعمر، وقال كلّ منهما لابنته: « تسألن رسول الله ﷺ ما ليس عنده؟! قلن: والله لا نسأل رسول الله شيئاً أبداً ليس عنده، ثم اعتزلهن شهراً »، ثم نزلت عليه هذه الآية: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً (٢٨) وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[٢] فخير النبي ﷺ نساءه »[٣].

قالت عائشة – رضي الله عنها –: « خيرنا رسول الله ﷺ فاخترنا الله ورسوله »[٤].

قال القرطبي في تفسير هذه الآية: « وجملة ذلك أن الله سبحانه خير النبي ﷺ بين أن يكون نبياً ملكاً، وعرض عليه مفاتيح خزائن الدنيا، وبين أن يكون نبياً مسكيناً، فشاور جبريل، فأشار عليه

---

(١) الأحزاب ٢٨ – ٢٩.

(٢) الأحزاب ٢٨ – ٢٩.

(٣) مسلم الطلاق ٢٩.

(٤) البخاري الطلاق ٥، مسلم الطلاق ٢٤ – ٢٨ بمعان متقاربة.

بالمسكنة فاختارها؛ فلما اختارها وهي أعلى المنزلتين، أمره الله عز وجل أن يخير زوجاته؛ فربما كان فيهن من يكره المقام معه على الشدة تنزيهاً له »[1].

فأين هذا الكاتب من تلك النصوص الصحيحة الصريحة، الدالة على زهد النبي ﷺ وزوجاته – رضي الله عنهن – مختارات لذلك رغبة فيما عند الله تعالى.

أما تلقيبهن بأمهات المؤمنين في قوله تعالى: ﴿ **النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ** ... ﴾[2]، فقد قال ابن كثير: « أي في الحرمة والاحترام، والتوقير، والإكرام والإعظام »[3].

وقال القرطبي: « شرف الله تعالى أزواج نبيه ﷺ بأن جعلهن أمهات المؤمنين؛ أي في وجوب التعظيم والمبرة والإجلال وحرمة النكاح على الرجال، وحجبهن – رضي الله عنهن – بخلاف الأمهات »[4].

وهذا الاحترام لأمهات المؤمنين لا ينقص من قدرهن، كما أن تعظيم النصارى لمريم واحترامهم لها لا يقدح في فضلها ومكانتها.

الوجه الثالث: من حقوق النبي ﷺ على أمته ألا يتزوج أحد منهم بنسائه من بعده، وقد ورد ذلك صريحاً في القرآن : ﴿ ... **وَمَا**

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٤/١٦٢.

(٢) الأحزاب ٦.

(٣) تفسير ابن كثير ٣/٦٨.

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٤/١٢٣.

كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾[1]، وذلك كما قال ابن كثير: «لأنهن أزواجه في الدنيا والآخرة، وأمهات المؤمنين»[2].

وأما فيما يتعلق بعائشة – رضي الله عنها –، فلا ضير عليها إن ترملت وهي في هذا السن وبقيت بلا عقب؛ أن كونها أم المؤمنين وزوجة للنبي ﷺ في الآخرة خير لها من كل ذلك، بل إن عشرتها للنبي ﷺ ساعة خير لها من الدنيا وما فيها.

ولا عجب أن يكون هذا الرأي للكاتب فهو ينظر للأمور بنظرة مادية مجردة، وليس الأمر شفقة على عائشة، وإنما يطغى عليها الحقد على سيد الخلق والرغبة في تشويه سيرته ﷺ.

المسألة الثانية: جاء في الدائرة دفاعا عن أبي لهب عندما ذمه القرآن: (على أنه لا شك في أن يكون قد سبق ذلك مواقف عدائية أساء فيها أبو لهب إلى النبي مما جعل محمد يسخط على عمه مثل هذا السخط الذي لا شفقة فيه، مع أن أبا لهب كثيراً ما وقف في صف أخيه أبي طالب عندما عادى أبو طالب أهل مكة في ظرف سابق، وبذلك يكون قد وقف في صف النبي بطريقٍ غير مباشر)[3].

---

(١) الأحزاب ٥٣.

(٢) تفسير ابن كثير ٣/٥٠٦.

(٣) الدائرة ١/٥٩٠، أبو لهب، بارت.

قلت: هذا الكلام غير صحيح من عدة وجوه:

أولها: أن الله عز وجل هو الذي ذم أبا لهب لا رسوله ﷺ، يقول تعالى: ﴿ **تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ** ﴾[1]، وإذا كان الكاتب لا يؤمن بالقرآن؛ فإن من سلامة المنهج أن يفرق بين الأحاديث النبوية التي ينسبها المسلمون إلى النبي ﷺ، وبين ما تواتر في القرآن منسوباً إلى الله عز وجل.

ثانيها: فلننظر إلى تعبير الكاتب في وصفه لما جرى بين النبي ﷺ وأبي لهب، فمن جانب أبي لهب قال: «مواقف عدائية» فقط، ومن جانب النبي ﷺ قال: «مما جعل محمد يسخط على عمه مثل هذا السخط الذي لا شفقة فيه» ثم عطفها بقوله: «مع أن أبا لهب كثيراً ما وقف في صف أخيه أبي طالب عندما عادى أبو طالب أهل مكة في ظرف سابق، وبذلك يكون قد وقف في صف النبي بطريقٍ غير مباشر»، والقارئ لمثل هذا الكلام من غير أي خلفية أخرى سيحكم بظلم النبي ﷺ لأبي لهب وقسوته عليه. والحقيقة هي خلاف ما عرضه الكاتب، فأبو لهب كان قاسياً على النبي ﷺ، ولم يكن النبي ﷺ يعامله بالمثل، وهذه بعض المواقف المبيّنة لذلك:

عن عبد الله بن عباس قال: «لما نزلت ﴿ **وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ**

---

(١) المسد ١ – ٥.

﴿الْأَقْرَبِينَ﴾[1] خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا فهتف يا صباحاه، فقالوا: من هذا؟ فاجتمعوا إليه، فقال: (أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح الجبل، أأنتم مصدقي؟) قالوا: ما جربنا عليك كذباً، قال: (فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد)، قال أبو لهب: تباً لك ما جمعتنا إلا لهذا؟ ثم قام فنزلت: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾[2] »[3].

كما كان كثير التهكم بالنبي ﷺ، فكان يقول: « يعدني محمد أشياء لا أراها، يزعم أنها كائنة بعد الموت »[4].

وعندما كان النبي ﷺ يعرض الإسلام على القبائل في المواسم، كان أبو لهب يتبعه ويقول: « يا بني فلان، إن هذا إنما يدعوكم أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم، وحلفاءكم من الجن، إلى ما جاء به من البدعة والضلالة، فلا تطيعوه، ولا تسمعوا منه »[5].

ثالثها: لم يكن من شيمة أبي لهب الوقوف إلى جانب النبي ﷺ بطريق مباشر أو غير مباشر، كما أن معاونته للنبي ﷺ من غير قصد له

---

(١) الشعراء ٢١٤.

(٢) المسد ١ – ٥.

(٣) البخاري التفسير (١١١) ١.

(٤) سيرة ابن هشام ٢ / ٣.

(٥) سيرة ابن هشام ٢ / ٥٠.

لا تحسب له مع ظهور عداوته، وما حصل نقيض كلام الكاتب، وذلك «لما حوصر النبي ﷺ وأبو طالب وبنو المطلب في الشعب، وقاطعتهم قريش ثلاث سنوات. لا ينكحون إليهم، ولا يُنكحونهم، ولا يبيعونهم شيئاً، ولا يبتاعون منهم، فلا يصل إليهم شيء إلا سراً، فانحاز إليهم بنو هاشم، وخرج من بني هاشم أبو لهب إلى قريش، فظاهرهم»[1]، فلو كان واقفاً لوقف هنا ولما شذ وحده عن بني هاشم.

إن الكاتب لم يأت بموقف واحد وقف فيه أبو لهب موقفاً أفاد منه رسول الله ﷺ، فأين هذه المواقف التي عبر عنها بكلمة (كثير)؟

المسألة الثالثة: جاء في مادة طلاق في الدائرة: (وأخيراً يجب أن نذكر أنه بحسب ما ورد في الحديث أن الرسول ﷺ أوقع الطلاق من فوره على نساء استعذن بالله أمامه)[2].

قلت: خالف المستشرق في هذا النص القصير المنهج العلمي من عدة وجوه:

الأول: كان الكلام في مادة الطلاق عن أحكام الطلاق في الإسلام، ولم يكن لنقل هذه العبار أية فائدة في شرح تلك الأحكام، فضلاً أن يجب ذكره كما زعم.

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/٣ باختصار.

(٢) الدائرة، الأولى ١٥/٢٤٣، طلاق، شاخت.

الثاني: إن الكاتب «شاخت» كما هو معروف من أشد المستشرقين تكذيباً بالأحاديث النبوية[1]، فكيف يستدل بالحديث هنا وهو يكذبه؟

الثالث: لم يشر الكاتب إلى سبب الاستعاذة، وإنما أطلق الكلام مصوراً كراهية النساء للنبي ﷺ، وليس هذا من المنهج العلمي في شيء، فالإشارة المبهمة إما أن تحذف، أو تُوضح.

وإذا عدنا للسنة النبوية التي نُلزم الكاتب بها لعلمنا القصة كاملة، إذ ليس من حقه التشهي في النقل منها: فقد روى ابن سعد عن عبد الرحمن بن أبزى قال: «الجوينية[2] استعاذت من رسول الله ﷺ، وقيل لها هو أحظى لك عنده، ولم تستعذ منه أمرأة غيرها، وإنما خُدعت لمَّ رُئي من جمالها وهيئتها، ولما ذُكر لرسول الله من حملها على ما قالت[3]، قال رسول الله ﷺ: (إنهن صواحب يوسف، وكيدهن عظيم)»[4].

وفي البخاري: «أن ابنة الجون لما أُدخلت على رسول الله ﷺ ودنا منها قالت: أعوذ بالله منك، فقال لها: (لقد عذت بعظيم، الحقي

---

(١) انظر الدائرة الأولى ٨/٣٦٣، ١/٤٥٧، ٢/٢٣٦، ٣/٣٩٣.

(٢) هي أسماء بنت الجون الكندية كانت أجمل أهل زمانها خطبها النبي ﷺ عندما قدم أبوها في وفد كنده (الإصابة ٤/٢٣٤).

(٣) وهن بعض نساء النبي غيرة منها، حيث قالوا لها «إن ذلك مدعاة محبته ﷺ» وهذا أمر طبيعي بين النساء.

(٤) الطبقات الكبرى، محمد بن سعد ٨/١٤٤، دار صادر – بيروت، دطت.

بأهلك)[1]، وفيه أيضاً: أنها (لما قالت هذا وانصرف عنها النبي ﷺ، قالوا أتدرين من هذا، قالت: لا، قالوا هذا رسول الله جاء ليخطبك، قالت: كنت أشقى من ذلك»[2].

فدلت الروايات على أمور لم يذكرها الكاتب وهي: أنها لم تكن تعرف النبي ﷺ، وأنها لما عرفته ندمت على ذلك، كما دلت على أنها قد غُرر بها.

الرابع: كلام الكاتب يفيد أن نساء عديدات استعذن بالله من النبي ﷺ إن الذي استعاذ من النبي ﷺ امرأة واحدة فقط لا أكثر، بينما هذا واضح مما سبق، وخاصة من رواية ابن سعد السالفة والتي فيها: (ولم تستعذ منه امرأة غيرها)[3] قال ابن حجر معلقاً على هذه الرواية: (وهو الذي يغلب عليه الظن؛ لأن ذلك إنما وقع للمستعيذة بالخديعة المذكورة، فيبعد أن تُخدع أخرى بعدها بمثل ما خُدِعت به بعد شيوع الخبر بذلك)[4].

الخامس: إن هذه الحادثة تتناقض مع ما يزعمه أولئك المستشرقون من غلو النبي ﷺ في حب النساء والشغف بهن، حيث إنه هنا طلق من أراد الدخول بها دون أن يمسها لكونها استعاذت بالله منه، مع شدة جمالها.

إن هذا النقل في الدائرة لَيُظهِر ما يهدف إليه هذا المستشرق وأمثاله؛ إذ ليس همهم النظر في الأدلة ودراسة السيرة، ولكنه إرادة القدح في النبي ﷺ، وتشويه سيرته.

---

(١) البخاري العلم ٦٨.   (٢) البخاري، الطلاق ٣.

(٣) الطبقات الكبري، محمد بن سعد ٨/١٤٤.

(٤) فتح الباري ٩/٣٥٧، الطلاق ٣.

المبحث السادس

طعن الدائرة في الصحابة رضي الله عنهم

- نظرة عامة لما في الدائرة.
- الصحابة في القرآن والسنة.
- طعن الدائرة في عموم الصحابة.
- طعنها في العشرة المبشرين بالجنة.
- انتقاص أهل بيت النبي ﷺ.
- ادعاء التهويل والمبالغة في سير الصحابة.
- طعون متفرقة.

المطلب الأول: نظرة عامة لما في الدائرة:

دأبت الدائرة في غالب كتابتها فيما يخص صحابة النبي ﷺ على التنقيص من أمرهم، والحط من قدرهم، وذلك بوسائل عديدة منها: التجاهل المتعمد لفضائلهم، وتكذيب الأحاديث الصحيحة في مناقبهم، بل وتجاهل ما ورد في القرآن من ذلك[1]، وأما كراماتهم فهي عندهم كذب واختلاق.

ويقابل ذلك تضخيم أخطائهم، وسرد الروايات الواهية فيها، وترديد أقوال الزنادقة والشيعة الحاقدين، والتعميم المضلل عند حصول الخطأ والتقصير، ثم افتراض سوء النية في أفعالهم، وأخيراً ادعاء الكيد والمؤامرات بين الصحابة والتي لا توجد سوى في أذهانهم.

والذي يقتصر على ما ورد في الدائرة وحدها فيما يتعلق بصحابة النبي ﷺ فإنه يخرج بانطباع سيئ للغاية، أو على الأقل بعيداً جداً عن الواقع.

إن ذلك كله محاولة للنيل من الإسلام بجملته؛ ذلك أن نيل المستشرقين من صحابة رسول الله ﷺ إنما هو نتيجة لكرههم لرسول الله ﷺ، ولدين الله الذي حمله أصحاب نبيه ﷺ من بعده.

وصدق رسول الله ﷺ إذ قال: (ليبلغ الحاضر الغائب: الله الله في

---

(١) قد يذكر بعض المستشرقين بعض تلك الفضائل أما من باب العدل وهو في حكم النادر، أو لشهرتها وعدم سعة تجاهلها، أو لإظهار الموضوعية.

أصحابي، لا تتخذوهم غرضاً بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فيوشك الله أن يأخذه، ومن يأخذه الله فيوشك الله أن لا يفلته)[1].

المطلب الثاني: الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ في القرآن والسنة:

في بداية هذا المبحث لا بد من بيان من هو الصحابي؟

والصحابي في أصح الأقوال ـ وهو قول الإمام البخاري رحمه الله ـ: «من صحب النبي أو رآه من المسلمين»[2].

قال ابن حجر: والذي جزم به البخاري هو قول أحمد والجمهور من المحدثين[3].

وقال أيضاً: «وأصح ما وقفت عليه من ذلك أن الصحابي من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على الإسلام»[4].

والمعتقد الحق في صحابة رسول الله ﷺ: أنهم جميعاً عدول بتعديل الله لهم في القرآن[5]، وبشهادة رسول الله

---

(١) مسند أحمد ٤/٨٧، ٥/٥٤، الترمذي مناقب ١١٠ ح ٣٩٥٤، وحسنه، وليس فيه ليبلغ الحاضر الغائب..

(٢) البخاري فضائل الصحابة ١.

(٣) فتح الباري ٧/٤ في فضائل الصحابة ١.

(٤) الإصابة ١/٧.

(٥) وقد تقدمت الأدلة والبراهين على أنه من عند الله ص ٣٥٧.

ﷺ(1) الذي لا ينطق عن الهوى.

وما صدر من بعضهم من سيئات وأخطاء فهو لا يذكر بجانب ما قدموه من حسنات، وهذا هو العدل في تقويم الفضلاء من الرجال وغالب ما صدر منهم في هذا الجانب إنما كان باجتهاد وتأويل.

إن لصحابة رسول الله ﷺ مكانة عظيمة عند المسلمين لما قدموه من نصرة نبيه ﷺ وإعزاز دين الله.

وهذه بعض الآيات الكريمة المُعدّلة لصحابة رسول الله ﷺ والمُزكّية لهم:

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾(2).

وقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾(3).

---

(1) وقد تقدمت الأدلة والبراهين على كونه رسول الله ص ٣٢١.

(2) الفتح ١٨. (3) الفتح ٢٩.

وقال سبحانه عن المهاجرين: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[1].

وأما ما ورد في السنة النبوية في فضلهم:

قال رسول الله ﷺ: (خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم إن بعدكم قوماً يشهدون ولا يُستشهدون، ويخونون ولا يُؤتمنون، وينذرون ولا يفون، ويظهر فيهم السِّمَن) متفق عليه[2].

وقال ﷺ: (لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه) متفق عليه[3].

قال الخطيب[4]: «والأخبار في هذا المعنى تتسع، وكلها مطابقة لما ورد في نص القرآن، وجميع ذلك يقتضي طهارة الصحابة والقطع على تعديلهم ونزاهتهم، فلا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله تعالى لهم، المطَّلِع على بواطنهم إلى تعديل أحد من الخلق له. فهم على هذه

---

(١) الحشر ٨.

(٢) البخاري فضائل الصحابة ١، مسلم فضائل الصحابة ٢١٠.

(٣) البخاري فضائل الصحابة ٥، مسلم فضائل الصحابة ٢٢١.

(٤) هو أحمد بن علي بن ثابت البغدادي ٣٩٢ – ٤٦٣هـ أحد الحفاظ المؤرخين النقاد، عالماً باللغة والأدب، له التصانيف الكثيرة المفيدة أشهرها التاريخ المشهور «تاريخ بغداد»، كان ورعاً تقياً وزع كل ماله في وجوه الخير وأوقف جميع كتبه – رحمه الله تعالى – (انظر سير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٧٠ – ٢٩٤).

الصفة إلى أن يثبت على أحد ارتكاب ما لا يحتمل إلا قصد المعصية، والخروج من باب التأويل، فيُحكم بسقوط العدالة، وقد برأهم الله من ذلك، ورفع أقدارهم عنه، على أنه لو لم يرد من الله عز وجل ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه؛ لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة، والجهاد والنصرة، وبذل المهج والأموال، وقتل الآباء والأولاد، والمناصحة في الدين، وقوة الإيمان واليقين؛ القطع على عدالتهم، والاعتقاد بنزاهتهم، وأنهم أفضل من جميع المُعدلَين والمُزكَين، الذين يجيئون بعدهم أبد الآبدين.

هذا مذهب كافة العلماء، ومن يعتد بقوله من الفقهاء»[1].

المطلب الثالث: طعن الدائرة في عموم الصحابة والأنصار ـ رضي الله عنهم ـ:

جاء في الدائرة بعض النصوص الطاعنة في عامة الصحابة أو مجموعات منهم، ومن ذلك:

جاء في مادة «دحية الكلبي» ما يلي: (وكان إذا قدم بتجارته إلى المدينة هرع أهلوها جميعاً للقائه، وتركوا النبي قائماً وحده، ولعل بعض آيات القرآن تشير إلى ذلك «سورة الجمعة ٩ ـ ١١»)[2].

(١) الكفاية في علم الرواية، أحمد بن علي بن ثابت (الخطيب البغدادي) ٤٨ ـ ٤٩، المكتبة العلمية ـ المدينة المنورة، دطت.

(٢) الدائرة، الأولى ٩ / ١٧٠، دحية الكلبي، لامنس.

كما جاء في الدائرة: (أما قبيلة الأوس فقد وقفت من النبي موقفاً محايداً إن لم تكن قد ناصبته العداء أحياناً. ومن الأنصار جماعة فرقوا بين ما يقدمونه إلى محمد من العون بصفته نبياً، وما يقدمونه بصفته من رجال السياسة)[1].

كما جاء أيضاً: (وسيطرت روح التضحية على الأنصار فكانوا يغيثون الفقير بالرغم مما في ذلك من إثقال لكاهلهم، وفيما عدا ذلك نجد أن الأنصار قد قصروا مساعدتهم أول الأمر على الذود عن الدين، ولم يساهموا في الحروب التي شُنت في سبيل الدعوة إلا كارهين، ولم يشترك واحد منهم قط في الحروب الأولى التي وجهت إلى مكة، وكانت قلة حماسهم في المبادرة إلى الجهاد كثيراً ما تقلق بال النبي حتى آثر الإعتماد على عون الله ما دام عون الإنسان ليس بقريب)[2].

قلت: الرد على هذا الكلام من وجوه عدة:

أولها: فيما يتعلق بالحادثة المذكورة فإنها حدثت يوم الجمعة والنبي ﷺ يخطب وهي لم تتكرر كما أشار إليه المستشرق، كما أن الصحابة لم يتركوا النبي ﷺ وحده، وإنما ظل معه في المسجد بضعة عشر رجلاً، وكانت الخطبة آنذاك بعد الصلاة، ولم تنزل الآيات المشددة في الأهتمام بالخطبة إلا بعد هذه الحادثة، وهي آخر سورة

(١) الدائرة ٥/ ٧٤، أنصار، ركندروف.

(٢) الدائرة ٥/ ٧٤، أنصار، ركندروف.

الجمعة، وهي قول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٩) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠) وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[١].

وجاء في صحيح مسلم في سبب نزول الآية: عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما -: «أن النبي ﷺ كان يخطب يوم الجمعة، فجاءت عير من الشام، فانفتل الناس إليها، حتى لم يبق إلا أثنا عشر رجلاً، فأُنزلت هذه الآية التي في الجمعة»[٢].

ثانيها: أن ضلوع الهوى في هذا الكاتب ظاهر واضح فهو يريد التنقص من صحابة رسول الله ﷺ بذكر تلك الحادثة التي حرفها، ولكن إذا تعلق الأمر بظهور معجزات للنبوة وما لا يريد فإن الأمر مختلف حيث نجده ينكر قصة إرسال دحية إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام[٣] لما فيها من تصديق هرقل بنبوة النبي ﷺ من دلائل كثيرة تفرق بين النبي والكذاب[٤].

---

(١) الجمعة ٩ - ١١.

(٢) مسلم أبواب الجمعة ٣٦.

(٣) انظر القصة ص ٣٤٦.

(٤) الدائرة، الأولى ٩ / ١٧١، دحية الكلبي، لامنس.

بل إن الأمر تعدى إلى إنكار وجود دحية الكلبي ـ رضي الله عنه ـ نفسه حيث يقول نفس الكاتب: (وظل دحية شخصية أسطورية، على الرغم من الجهود التي بذلها المحدثون)[1].

ثالثها: فيما يتعلق بتنقيص الأوس وزعم المستشرق أنها «وقفت من النبي ﷺ موقفاً محايداً إن لم تكن قد ناصبته العداء أحياناً» مجانب للحقيقة التاريخية الدالة على نقيض ذلك؛ إذ أن الأوس شطر الأنصار الذين نصروا رسول الله ﷺ فهم لم يقفوا من النبي ﷺ موقفاً محايداً؟ فضلاً أن يناصبوه العداء!

إن الأوس والخزرج بايعوا رسول الله ﷺ ليلة العقبة الثانية على أن يحموه كما سيأتي، وكان منهم أسيد بن حضير نقيباً من الأوس[2]، كما شارك منهم واحد وستون رجلاً في بدر[3]، أي خُمس الجيش.

ولعل الذي جعل الكاتب يحكم على الأوس هذا الحكم الجائر هو: مقارنته بين أعداد المقاتلين من الأوس والخزرج، وفاته أن قبيلة الخزرج أكثر عدداً من قبيلة الأوس لذا يُسمون جميعاً بالخزرج تغليباً.

رابعها: أن التفريق بين الدين والسياسة ليس من الإسلام، والكاتب يكتب ذلك عن الإسلام بخلفية كنسية تعاني من الجفوة بين الدين والسياسة.

---

(١) الدائرة، الأولى ٩ / ١٧١، دحية الكلبي، لامنس.

(٢) سيرة ابن هشام ٢ / ٧٢.

(٣) سيرة ابن هشام ٢ / ٢٤١.

إن الدولة في الإسلام دولة سياسية تبرم المعاهدات، وتعلن الحروب، وتقيم العدل؛ كل ذلك على منهج ديني يُرضي الله عز وجل.

إن الأنصار الذين نصروا رسول الله ﷺ كانوا يقدمون إليه العون بصفته نبياً رسولاً، يقود المسلمين إلى ما فيه رضى الله عز وجل ونصرة الإسلام يتقربون إلى الله بذلك، كما كانوا يقدمون الزكاة إليه بصفته قائداً للأمة ليضعها في مواضعها، فليس هناك تفريق بين الدين والسياسة.

وهؤلاء الأنصار، وكذلك المهاجرون، وغيرهم ممن أسلم بعد ذلك يقدمون المال الواجب والمستحب للنبي ﷺ بهذه الصفة، كما استمروا بدفعها إلى الخلفاء من بعده أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وهكذا....

لذا لما منع بعض العرب دفع الزكاة للصديق - رضي الله عنه - حاربهم هو ومن معه من الصحابة حتى دفعوها.

إن الزكاة هي حق الله في المال يُؤدى إلى إمام المسلمين، أو يؤديه صاحبه بمعرفته إن لم يطلبه الإمام، وهذا أو ذاك يصب في مصارف حددها الله عز وجل في القرآن بقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾[1].

أما إن كان مراد الكاتب أن بعض الأنصار كان يدفع المال لرسول الله

(١) التوبة ٦٠.

ﷺ خوفاً من سلطانه، لا رغبة فيما عند الله عز وجل؛ فإنني أقول له: أين البرهان والدليل على ذلك؟.

إن صح أن يقال هذا الكلام في بعض من تأخر إسلامهم؛ فإنه لا يصح إطلاقاً أن يقال في الأنصار!

إن سلطان النبي ﷺ كقائد الدولة لم يكن موجوداً إلا بعد وقوف الأنصار معه، وسعيهم إليه في مكة مسلمين راغبين، كما استقبلوه في المدينة مؤمنين محبين، ثم قدموا له العون بالنفس والمال، يدرك ذلك كل منصف.

وما سوى ذلك من الكراهية للإنفاق فلا يقع من الأنصار، وإنما من المنافقين الذين ذكرهم الله عز وجل بقوله: ﴿**قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ (٥٣) وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ**﴾(١).

خامسها: أن الأنصار حاربوا وساهموا في نشر الدعوة مختارين راغبين لا كارهين، ونصروا رسول الله ﷺ بأموالهم وأنفسهم لذا سُمُّوا الأنصار، وقد بايعوا رسول الله ﷺ بيعة العقبة الثانية في مكة قبل الهجرة، وقد قال لهم العباس: يا معشر الخزرج ـ وكانت العرب إنما يسمون هذا الحي من الأنصار الخزرج، خزرجها وأوسها ـ: إن محمداً

---

(١) التوبة ٥٣ – ٥٤.

منا حيث علمتم، وقد منعناه من قومنا، وممن هو على مثل رأينا فيه، فهو في عز من قومه ومنعة في بلده، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم، واللحوق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك؛ وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم؛ فمن الآن فدعوه، فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده. قال: فقلنا له: قد سمعنا ما قلت، فتكلّمْ يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت.

قال: فتكلم رسول الله ﷺ، فتلا القرآن، ودعا إلى الله ورغب في الإسلام، ثم قال: أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم قال: فأخذ البراء بن معرور بيده، ثم قال: نعم والذي بعثك بالحق لنمنعنك ما نمنع به أزرنا[1] فبايعنا رسول الله ﷺ، فنحن والله أبناء الحروب، وأهل الحلقة ورثناها كابراً عن كابر، قال: فاعترض القوم، والبراء يكلم رسول الله ﷺ، فقال أبو الهيثم بن التَّيِّهان: يا رسول الله: إن بيننا وبين الرجال حبالاً ـ يعني اليهود ـ وإنا قاطعوها، فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ قال: فتبسم رسول الله ﷺ، ثم قال: (بل الدم بالدم، والهدم بالهدم، أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتم، وأسالم من سالمتم)[2].

---

(١) العرب تكني عن المرأة بالإزار، وتكني أيضاً بالإزار عن النفس.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/٦٣ - ٦٤.

فإن قيل: لِمَ لمْ يُشرِك النبي ﷺ الأنصار في السرايا الأولى التي شُنت على المشركين بعد الهجرة؟ وهذا ما أشار إليه الكاتب.

فالجواب: أن هذه السرايا محصورة في سبعة أشهر تقريباً من شهر صفر في السنة الثانية من الهجرة وحتى رمضان من نفس السنة، وهي أربع سرايا صغيرة لم يتجاوز أعداد من شارك فيها مجتمعة مئة وعشرين رجلاً، ولم يحدث فيها قتال باستثناء واحدة منهن، ولم يطلب النبي ﷺ من الأنصار المشاركة فيها، كما لم يظهر منهم – رضي الله عنهم – أي ممانعة للخروج. وعدم إشراك النبي ﷺ لهم في هذه السرايا يعود إلى أن النبي ﷺ عندما بايعه الأنصار ليلة العقبة إنما بايعوه على حمايته لا على الخروج للقتال ابتداءً، ولا شك أن هذه السرايا ليست داخلة في حمايته ﷺ. وقد أشار ابن هشام إلى ذلك[1]، كما أن حماس المهاجرين للخروج لأخذهم بثأرهم ممن أخرجهم من دورهم له اعتباره أيضاً ـ والعلم عند الله تعالى ـ.

ولم يظهر من الأنصار أي تقصير، بل ظهر ما يدل على حماسهم، ومن ذلك: أنه لما شاورهم النبي ﷺ في غزوة بدر وهي أول قتال يشاركون فيه وكان عددهم أكثر من ثلثي الجيش قال قائلهم: «إيانا تريد يا رسول الله؟ والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نُخيضها[2] البحر لأخضناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا»[3].

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/١٨٨.

(٢) أي الخيل.

(٣) مسلم الجهاد ٨٣.

وفي رواية ابن هشام: «فقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقي بنا عدونا غداً، إنا لصُبر في الحرب، صدُق في اللقاء لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله. فسُرَّ رسول الله، ونشطه ذلك؛ ثم قال: (سيروا وأبشروا، فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم)»[1].

وعندما هجا أبو سفيان النبي ﷺ أجاب حسان بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ بشعر، ومنه:

وقال الله: قد يسَّرت جنداً هم الأنصار عرضتها اللقاء[2]

مما يدل على اشتهار حماس الأنصار ودفاعهم عن دين الله تعالى.

ولما خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق، فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة، فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال عليه الصلاة والسلام: (اللهم إن العيش عيش الآخرة، فاغفر للأنصار والمهاجرة).

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/١٨٨.

(٢) مسلم فضائل الصحابة ١٥٧.

فقالوا مجيبين له:

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً[1]

أبعد هذا يقال إن الأنصار لم يساهموا في الحروب إلا كارهين، أو أن قلة حماسهم في المبادرة تقلق بال النبي!.

سادسها: أن الأنصار لهم مكانة عظيمة لما قاموا به من دور في نشر الإسلام؛ لذا فإن حبهم عقيدة من عقائد الإسلام، فالمسلمون يحبونهم، كما يحبون أصحاب الأنبياء الذين ساهموا في نشر دين الله، فلا يجحدون فضلهم ولا ينتقصون أحداً منهم.

لذا جاء فضلهم في القرآن الكريم وخُلِّد ذكرهم في آيات عديدة منها:

قول الله تعالى: **﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾**[2].

قول الله تعالى: **﴿لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾**[3].

---

(١) البخاري المغازي ١٩، مسلم الجهاد ١٣٠.

(٢) التوبة ١٠٠.

(٣) التوبة ١١٧.

وقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[1].

وقوله سبحانه: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[2].

كما أخبر النبي ﷺ بمكانة الأنصار في أحاديث صحيحة، منها:

ما ذكره النبي ﷺ في خطبته: (أُوصيكم بالأنصار، فإنهم كرشي وعيبتي[3]، وقد قضوا الذي عليهم، وبقي الذي لهم[4]، فاقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم)[5]، وفي رواية: (إنكم قد أصبحتم تزيدون، وأصبحت الأنصار لا تزيد على هيئتها التي هي عليه اليوم، وإن الأنصار عيبتي التي أويت إليها، فأكرموا كريمهم، وتجاوزوا عن مسيئهم)[6].

---

(١) الأنفال ٧٤.   (٢) الحشر ٩.

(٣) أي بطانتي وخاصتي. انظر فتح الباري ٧ / ١٣١.

(٤) قال ابن حجر: يشير إلى ما وقع لهم ليلة العقبة من المبايعة، فإنهم بايعوا على أن يؤووا النبي ﷺ وينصروه على أن لهم الجنة، فوفوا بذلك. (فتح الباري ٧ / ١٣١).

(٥) البخاري فضائل الأنصار ١١، مسلم فضائل الصحابة ١٧٦.

(٦) فضائل الصحابة، أحمد بن حنبل ٢ / ٧٩١، تحقيق وصي الله بن محمد عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م. رواه البخاري بمعناه من غير (عيبتي التي أويت إليها) البخاري فضائل الأنصار ١١.

كما قال ﷺ: (لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، ومن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله) متفق عليه[1].

فهذه الأحاديث الصحيحة الصريحة مؤكدة للآيات الدالة على مكانة الأنصار في الإسلام، بالإضافة إلى دخولهم فيما تقدم في المبحث الأول من فضل الصحابة من حيث العموم.

المطلب الرابع: انتقاص العشرة المبشرين بالجنة[2] - رضي الله عنهم -:

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: ما جاء في أبي بكر الصديق - رضي الله عنه -:

جاء في الدائرة عن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه -: (وتقول بعض الأخبار إنه أول مسلم ذكر بعد محمد، غير أن هذا مرده في يسر إلى أثر مكانته فيما بعد. إذ أن هذه الدعوى نفسها قيلت عن علي وزيد بن حارثة، وشبيه بهذا ما ذُكر: أن أبا بكر كان إليه إسلام عثمان ابن عفان والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله، وهذا مشكوك فيه لأن هؤلاء الخمسة هم وعلي كانت

---

(١) البخاري مناقب الأنصار ٤، مسلم الإيمان ١٢٩.

(٢) العشرة المبشرون بالجنة هم خيرة أصحاب رسول الله ﷺ بشرهم النبي ﷺ بالجنة في الأحاديث الثابتة الصحيحة (البخاري فضائل الصحابة ٥، مسلم فضائل الصحابة ٢٩).

إليهم الشورى: أي مجلس اختيار خلف لعمر)[1].

كما جاء أيضاً: (ولقد بقي بمكة حين هاجرت كثرة من المسلمين إلى الحبشة، وكانت هذه مسألة غامضة، فلقد كان يُظن أن المهاجرين كانوا يعارضون سياسة فريق من المؤمنين كان يتزعمهم أبو بكر، وعلى أية حال فالخبر المأثور هو أن المهاجرين رحلوا فراراً من الاضطهاد)[2].

قلت: الجواب على هذا الكلام من وجوه:

أولاً: فيما يتعلق بأول الناس إسلاماً، فهناك خلاف بين أهل العلم، وليس مرده إلى ما ذكره الكاتب، وإنما في الاجتهاد في الجمع بين الروايات الواردة، والمتأمل لتلك الروايات يتبين له: أن أول الناس إسلاماً خديجة - رضي الله عنها -، فهي أول من رأى النبي ﷺ بعد أن أُوحي إليه، فصدقته، فكانت أول من آمن بالله ورسوله، ثم أسلم علي بن أبي طالب - رضي الله عنه-، ثم أسلم زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ - رضي الله عنه -، ثم أسلم أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - وأظهر إسلامه[3].

فمن قال: إن أبا بكر أول الناس إسلاماً، فإنه صحيح بالنسبة إلى

---

(1) الدائرة ١/٤٢٩ - ٤٣٠، أبو بكر، منتقمري وات.
(2) الدائرة ١/٤٣٠، أبو بكر، منتقمري وات.
(3) سيرة ابن هشام ١/٢٢٤ - ٢٣١.

الرجال الأحرار، أو لأنه أول من أظهر إسلامه، وإلا فالجميع متفقون على أن خديجة[1] أول الناس إسلاماً على الإطلاق[2]، قال ابن حجر عن خديجة: «زوج النبي ﷺ وأول من صدقت ببعثته مطلقاً»[3].

أما من قال: إن علياً أول الناس إسلاماً فقد صدق، بالنسبة للصبيان.

وقد ورد عن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – في فضل أبي بكر قوله: «وسبقني إلى إفشاء الإسلام – حتى قال – وأقام الصلاة وأنا يومئذ بالشعب يظهر الإسلام وأنا أخفيه، وتستحقرني قريش وتستوفيه»[4].

---

(١) خديجة بنت خويلد الأسدية أول زوجات النبي ﷺ وأم جميع أولاده غير إبراهيم، وأول من آمن به كانت تكبر النبي ﷺ بخمسة عشر عاماً، عرفت صدق النبي وأمانته قبل البعثة وكانت لها تجارة فاختارته ليسافر بها إلى الشام، وزادها رغبة في النبي ﷺ ما حكاه لها غلامها ميسرة وكان مرافقاً للنبي ﷺ إلى الشام من أمانته وحسن أخلاقه وظهور علامات النبوة عليه ﷺ، وبعد البعثة كانت خير معين له، ثبت فضلها في أحاديث كثيرة توفيت سنة ست من البعثة وحزن النبي ﷺ على فراقها كثيراً. (الإصابة لابن حجر ٤ / ٢٨١).

(٢) الرياض النضرة في مناقب العشرة، أبو جعفر أحمد المحب الظهيري ١ / ٨٨، دار الكتب العلمية – بيروت – ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ – ١٩٨٤م.

(٣) الإصابة لابن حجر ٤ / ٢٨١.

(٤) المرجع السابق ١ / ٨٩.

ولما سُئل محمد بن كعب[١] عن أول الناس إسلاماً: علي، أو أبو بكر؟ فقال: «سبحان الله، علي أولهما إسلاماً، وإنما شُبه على الناس؛ لأن علياً أعطي السلامة من أبي طالب، وأسلم أبو بكر وأظهر إسلامه»[٢].

قال ابن كثير: «وأول من أسلم من الرجال الأحرار: أبو بكر الصديق، وإسلامه كان أنفع من إسلام من تقدم ذكرهم - يعني خديجة وعلياً وزيداً رضي الله عنهم - إذ كان صدراً معظماً، ورئيساً في قريش مكرماً، وصاحب مال، وداعية إلى الإسلام، وكان محبباً متألفاً يبذل المال في طاعة الله ورسوله»[٣].

ومما استُدل به على ذلك قول النبي ﷺ في صحيح البخاري: (إن الله بعثني إليكم، فقلتم: كذبت. وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله)[٤].

فأبو بكر هو أول من آمن من الرجال الأحرار، وثالث المسلمين الذكور، ورابع المسلمين على الإطلاق.

---

(١) محمد بن كعب القرظي كان أبوه من سبي بني قريظة تابعي سكن الكوفة ثم المدينة كان ثقة عالماً بالقرآن كثير الحديث فقيهاً ورعاً سقط عليه جدار المسجد فمات سنة ١١٨هـ (انظر تهذيب التهذيب ٩/ ٤٢٠ - ٤٢٢).

(٢) الإصابة ١/ ٩٩.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ٣/ ٢٦.

(٤) البخاري، فضائل الصحابة ٥.

ثانياً: إن تأثير أبي بكر في إسلام أولئك الصحابة الكرام هو المشهور في السيرة[1]، لا يُعرف غيره.

ثالثاً: أين المنهج العلمي في ادعاء: أن مكانة أبي بكر هي السبب في اختلاق: أنه أول الناس إسلاماً، وأنه السبب في إسلام الصحابة الخمسة المذكورين سالفاً - رضي الله عنهم -.

أين الدليل والبرهان على ذلك؟ إن كان الأمر كذلك فلِمَ لمْ يُقل ذلك عن عمر، أو على الأقل يُقدّم إسلامه قليلاً.

إن أي أحد قادر على الافتراء، ولكن لا قيمة له إن تجرد عن الأدلة فضلاً أن يكون مضاداً لها.

رابعاً: فيما يتعلق بما ذكره الكاتب من: أن المهاجرين إلى الحبشة كانوا يعارضون سياسة فريق من المؤمنين كان يتزعمهم أبو بكر، وربما يكون ذلك سبب هجرتهم، فهو ضرب من الخيال، وتخبط بغير هدى، ولم يرد في ذلك دليل صحيح أو حتى ضعيف يستدل به.

فمن المعروف أن سبب هجرتهم هو الفرار من الاضطهاد في مكة لحماية الدين والنفس، وهو ليس مجرد خبر مأثور كما ذكر الكاتب، وإنما روايات متواترة مقطوع بصحتها، وهذا هو الذي ذكره كل أهل السير، ولم يذكروا غيره على الإطلاق، فقد تعرض الصحابة للاضطهاد من المشركين، ومن ذلك قول خباب بن الأرت - رضي الله عنه -:

(١) سيرة ابن هشام ١ / ٢٣٢.

أتيت رسول الله ﷺ، وهو متوسد بردة، وهو في ظل الكعبة، وقد لقينا من المشركين شدة. فقلت: يا رسول الله ألا تدعو لنا؟ فقعد - وهو محمرٌّ وجهه - فقال: (لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب، ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنين، ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله)[1].

وقال ابن عمر: «كان الإسلام قليلاً، فكان الرجل يفتن في دينه إما قتلوه وإما يعذبوه حتى كثر الإسلام فلم تكن فتنة»[2].

وقالت عائشة - رضي الله عنها - وقد سُئلت عن الهجرة: «كان المؤمنون يفر أحدهم بدينه إلى الله تعالى، وإلى رسوله ﷺ مخافة أن يُفتن عليه، فأما اليوم فقد أظهر الله الإسلام، واليوم يعبد ربه حيث شاء»[3].

وقالت أم المؤمنين أم سلمة - وكانت ممن هاجر إلى الحبشة رضي الله عنها -: «لما ضاقت علينا مكة، وأُوذي أصحاب رسول الله ﷺ، وفُتنوا، ورأوا ما يصيبهم من البلاء، والفتنة في دينهم، وأن رسول الله ﷺ لا يستطيع دفع ذلك عنهم - وكان رسول الله ﷺ في منعة من

(١) البخاري المناقب ٢٥.
(٢) البخاري التفسير ٣٠.
(٣) البخاري مناقب الأنصار ٤٥.

قومه وعمه، لا يصل إليه شيءٌ مما يكره مما ينال أصحابه - فقال لهم رسول الله ﷺ: (إن بأرض الحبشة ملكاً لا يُظلم أحد عنده، فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه)(1).

فهذه أسانيد صحيحة في وقوع الاضطهاد وأنه سبب لهجرتهم، فالمسألة واضحة لا غموض فيها، فالأنبياء وأصحابهم كانوا يُضطهدون كما حصل ذلك لبني إسرائيل وأصحاب عيسى، وأصحاب الأخدود، فيهاجر من استطاع منهم فراراً بدينه من الفتنة والاضطهاد، كما هاجر إبراهيم - عليه السلام - وكما فعل أصحاب الكهف، وغيرهم، وذلك لا خلاف فيه عند سائر أهل الملل.

إن رأي المستشرق السابق وإن كان مخالفاً للتاريخ، ومجرد من الأدلة، فهو أيضاً مستبعداً أيضاً جداً، فالدعوة كانت في بدايتها، والمسلمون يتلقون صنوف الاضطهاد من المشركين - كما تواترت الأدلة في ذلك - فالمجال لا يحتمل أي خلاف.

ويزيد من نقض فرية المستشرق ما عُرف عن شخصية أبي بكر الصديق، فقد كان حسن المعشر محبوباً من سائر الصحابة، رحيماً ودوداً كما قال النبي ﷺ عنه: (أرحم أمتي بأمتي أبو بكر)(2).

---

(1) سيرة ابن هشام 1/280، السيرة النبوية الصحيحة لأكرم ضياء العمري 1/170، وقال المحقق: حسن الإسناد.

(2) رواه أحمد 3/280، والترمذي 110ح 3879، وقال حديث غريب، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه 125، والحاكم 3/422 وقال هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وصححه الألباني أيضاً في سلسلة الأحاديث الصحيحة 1224.

قال ابن اسحاق عن أبي بكر: «وكان أبو بكر رجلاً مألوفاً لقومه، محبباً سهلاً، وكان أنسب قريش لقريش، وأعلم قريش بها، وبما كان فيها من خير وشر، وكان رجلاً تاجراً، ذا خلق معروف، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر: لعلمه، وتجارته، وحسن مجالسته»[1].

وقد تقدم قول ابن كثير عنه – رضي الله عنه –: وكان محبباً متألفاً يبذل المال في طاعة الله ورسوله[2].

وليس أدل على فرية المستشرق من أن أبا بكر الصديق نفسه – رضي الله عنه – قد خرج مهاجراً إلى الحبشة حتى إذا بلغ برك الغماد[3] لقيه ابن الدغنة – وهو سيد القارة – فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجني قومي، فأنا أريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربي. قال ابن الدغنة: إن مثلك يا أبا بكر لا يَخرج ولا يُخرج، فإنك تكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكلَّ، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، وأنا لك جار فارجع فاعبد ربك ببلادك. فرجع أبو بكر[4].

فدلت هذه الرواية الصحيحة على بطلان كلام الكاتب من وجهين: الأول: أن هجرة أبا بكر تنقض مزاعم الكاتب من سبب هجرة المسلمين من أساسها.

---

(١) سيرة ابن هشام ١ / ٢٣٢. (٢) البداية والنهاية ٣ / ٢٦.
(٣) موضع على خمس ليال من مكة إلى جهة اليمن. (فتح الباري ٧ / ٢٣٢).
(٤) البخاري الكفالة ٤.

الثاني: أن الأخلاق العالية لأبي بكر والتي اعترف بها المشركون كفيلة بنفي مقالته.

إنه لا يخفى مراد الكاتب من دعواه: وهو الطعن في الإسلام بإنكار أن يكون أصحابه الأولون بهذه الصلابة في التمسك به، وإثارة المطاعن في الرعيل الأول كأبي بكر الصديق، والمهاجرين إلى الحبشة.

المسألة الثانية: ما جاء في عمر[1] - رضي الله عنه -:

جاء في الدائرة: (ولم يحل دون اختيار سعد بن عبادة رئيساً لهذه الدولة إلا تدخل عمر تدخلاً جاء في حينه، ونستدل على شعور سعد ابن عبادة بحرمانه هذا المنصب دون حق من ذلك الموقف العدائي الذي اتخذه بعد إقصائه من المدينة إلى حوران حيث توفي عام ١٥هـ)[2].

كما جاء في الدائرة عن حفصة[3] - رضي الله عنها -: (وقد وضعت كل مالها من سلطان في خدمة حكومة الثلاثة، وهو الحزب الذي كان يسعى إلى استخلاف أبي بكر وعمر بعد محمد)[4].

قلت: تدخل عمر لم يكن بغير حق، بل هو محق في ذلك؛ لأنه

---

(١) عمر بن الخطاب القرشي العدوي، كانت إليه سفارة قريش في الجاهلية. كان شجاعاً مهاباً، أسلم سنة ست من النبوة فأعز الله به الدين وهو أفضل أصحاب النبي ﷺ بعد أبي بكر، وورد في فضله الأحاديث الثابتة الكثيرة، تولى الخلافة فكان ثاني الخلفاء الراشدين ففتح الله به البلاد ونصر به الدين، وعدل بين الرعية حتى لقب بالفاروق، استشهد بالمدينة سنة ١٣ هـ (انظر الإصابة ٢/٥١٨ - ٥١٩).

(٢) الدائرة، الأولى ٨/٣١٣، الخزرج، كرنكوف.

(٣) حفصة بنت عمر بن الخطاب زوج النبي ﷺ تزوجها بعد وفاة زوجها كانت عابدة مكثرة من الصيام توفيت سنة ٤٥هـ (انظر الإصابة ٤/٢٧٣ - ٢٧٤).

(٤) الدائرة ١٥/١٦٣، حفصة، فنتشيا فاليري.

أراد أن يتولى الخلافة من كان أهلاً لها، فالخلافة ليست للأنصار حيث لا بد أن تكون في قريش كما سيأتي.

فأبو بكر الصديق - رضي الله عنه - هو أولى الناس بخلافة النبي ﷺ، حيث أمّره النبي ﷺ على الحج، وقدّمه للصلاة حين مرضه، وأجمع الصحابة على فضله وكمال عقله وسابقته للإسلام.

وسعد بن عبادة[1] - رضي الله عنه - صحابي جليل شهد بدراً، ولكن أبا بكر أولى بالخلافة منه؛ لتقديم النبي ﷺ له؛ ولأن النبي ﷺ جعل الخلافة في قريش كما ثبت عنه ﷺ بقوله: (لا يزال هذا الأمر في قريش) متفق عليه[2].

قال النووي عن هذا الحديث وغيره: «هذه الأحاديث وأشباهها دليل ظاهر أن الخلافة مختصة بقريش لا يجوز عقدها لأحد من غيرهم، وعلى هذا انعقد الإجماع في زمن الصحابة فكذلك بعدهم»[3].

وقد أخطأ سعد - رضي الله عنه - حين ترك مبايعة أبي بكر، إلا أن له من الحسنات أضعاف ذلك الخطأ.

قال ابن تيمية - رحمه الله -: «وتخلف سعد قد عُرف سببه، فإنه كان يطلب أن يصير أميراً، ويجعل من المهاجرين أميراً، ومن الأنصار

(١) سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي سيد الخزرج كان أحد النقباء في بيعة العقبة الثانية كان جواداً محسناً لكثير من العلوم يلقب بالكامل وكانت راية الأنصار معه في الغزوات. مات بحوران سنة خمس عشرة (انظر الإصابة ٢/ ٢٩ - ٣٠).

(٢) البخاري الأحكام ٢، مسلم الإمارة ٢.

(٣) شرح مسلم للنووي ١٢/ ٢٠٠.

أميراً. وما طلبه سعد لم يكن سائغاً بنص رسول الله ﷺ وإجماع المسلمين»[1].

وأما ذهابه إلى حوران فلم يكن إقصاءً من أحد، وإنما كان بمحض اختياره - رضي الله عنه -[2].

أما ما يتعلق بحكومة الثلاثة أي: أبي بكر وعمر وأبي عبيدة وتآمرهم وتخطيطهم لأن يتولوا الخلافة بهذا الترتيب، وتكوين حزبٍ كاملٍ لهذا الأمر شاركت فيه عائشة وحفصة وغيرهما، فإن هذا كله ليس له حقيقة إلا في عقول أولئك المستشرقين، وما حدث في السقيفة إنما هو فلتة كما قال عمر، ولم يكن تواطؤاً وتخطيطاً.

والمطالع لسيرهم في سياسة رعيتهم ونزاهتهم وعدلهم يجد أنها تكذّب ما ذهب إليه المستشرقون.

إن الناظر للتاريخ لا يجد تلك الفرصة للتآمر بعد وفاة النبي ﷺ مباشرة لاحتكار الأمر دون الآخرين. وما حدث من استنكار عمر لوفاة النبي ﷺ، وغياب أبي بكر حين الوفاة، ليدلان على كذب تلك المزاعم، وحسبنا في ذلك أنه لم يقم على ذلك دليلٌ أصلاً.

وهذه القضية يدندن حولها أولئك المستشرقون ومن تابعهم كفيليب حتى، من غير ذكر لما يدل عليها[3].

---

(١) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٨/٣٣١.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/٦١٦ - ٦١٧.

(٣) موضوعية فيليب حتى، شوقي أبو خليل ٤٠.

أما حفصة أم المؤمنين فيكفيها شرفاً قول جبريل للنبي ﷺ: (إنها صوَّامة، قوَّامة، وهي زوجتك في الجنة)[1].

وكانت كثيرة الصوم حتى وفاتها - رضي الله عنها -[2].

فلم يكن عمر ليتآمر مع ابنته لهذا الأمر، وما كانت - رضي الله عنها - كذلك.

المسألة الثالثة: ما جاء في عثمان[3] - رضي الله عنه -:

جاء في الدائرة عن سعيد بن العاص[4] والي الكوفة من قبل عثمان: (كان يحتكر الأملاك لعثمان مؤثراً بها قريشاً)[5].

قلت: هذه التهمة للخليفة الراشد هي ترداد لكلام الرافضة كقول

---

(١) سير أعلام النبلاء، للذهبي ٢/٢٢٨ وصححه المحقق.

(٢) أخرجه ابن سعد ٨/٨٥، والحاكم ٤/١٥، وذكر ابن حجر أنه مرسل، الإصابة ٤/٢٧٣.

(٣) عثمان بن عفان بن أبي العاص القرشي الأموي من السابقين الأولين إلى الإسلام ومن العشرة المبشرين بالجنة كان حيياً من أثرياء مكة فسخر ماله في سبيل الله. هاجر الهجرتين وغزا مع النبي ﷺ اختير للخلافة بعد مقتل عمر. دبت الفتن في آخر أيامه فقُتِل في بيته شهيداً كما أخبر النبي ﷺ وكان ذلك سنة ٣٥هـ (انظر الإصابة ٢/٤٦٢ - ٤٦٣).

(٤) سعيد بن العاص بن سعيد القرشي الأموي توفي النبي ﷺ وعمره تسع سنين وقُتل أبوه مشركاً في بدر، كان من فصحاء قريش ندبه عثمان مع من ندب لكتابة القرآن - ولي الكوفة وفتح طبرستان، وولي المدينة لمعاوية مات بقصره في العقيق سنة ٥٣هـ (الإصابة ٢/٤٧ - ٤٨).

(٥) الدائرة ٣/٤١١، الأشتر، أيوار.

ابن المطهر في اتهام عثمان: إنه استعمل سعيد بن العاص، وظهر منه ما أدى إلى أن أخرجه أهل الكوفة منها.

وقد كُفيت برد شيخ الإسلام ابن تيمية عليه بقوله: «مجرد إخراج أهل الكوفة لا يدل على ذنب يوجب ذلك، فإن القوم كانوا يقومون على كل والٍ. وقد قاموا على سعد بن أبي وقاص، وهوالذي فتح البلاد، وكسر جنود كسرى، وهو أحد أهل الشورى، ولم يتول عليهم نائب مثله. وقد شكوا غيره مثل عمار بن ياسر، والمغيرة بن شعبة، وغيرهم. ودعا عليهم عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – فقال: اللهم إنهم قد لبسوا عليَّ فلبِّس عليهم.

وإذا قُدر أنه[1] أذنب ذنباً، فبمجرد ذلك لا يوجب أن يكون عثمان راضياً بذنبه... وإنما يكون الإمام مذنباً إذا ترك ما يجب عليه من إقامة حد، أو استيفاء حق، أو اعتداء ونحو ذلك»[2].

أما ما يختص بالأموال، فإعطاء عثمان – رضي الله عنه – كخليفة للمسلمين له ما يبرره من وجوه عدة:

١ – لم يكن عثمان يستأثر لنفسه شيئاً من هذا المال دون الرعية، وإنما كان يوزعه على أقاربه وغيرهم[3].

---

(١) أي سعيد بن العاص.

(٢) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٦/٢٤٣.

(٣) منهاج السنة لابن تيمية ٦/٢٤٩.

٢ – وهو قول الإمام مالك، وأكثر السلف، وبه عمل الخلفاء الراشدون الأربعة –[1] إن حق النبي ﷺ في هذا المال حق الإمام من بعده استناداً إلى قول النبي ﷺ: (إ الله عز وجل إذا أطعم نبياً طعمة ثم قبضه جعله للذي يقوم بعده)[2].

كما قال بعض الفقهاء: إن ذوي القربى في حياة النبي ﷺ ذووا قرباه، وبعد موته هم ذووا قربى الإمام؛ لأن أقارب الإمام يستأمنهم وينصرونه ويذبون عنه مالا يفعل غيرهم، وفي هذا نفع عام للمسلمين[3].

٣ – أنه كان يعمل في المال والله تعالى قال: ﴿ ... **وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا** ... ﴾[4]، والعامل على الصدقة الغني له أن يأخذ بعمالته باتفاق

---

(١) انظر الكافي لأبي عمر بن يوسف بن عبد الله القرطبي ١ /٤٧٨، مكتبة الرياض الحديثة، دطت، وقال القرطبي: وبه قال الخلفاء الأربعة ، وبه عملوا. انظر الجامع لأحكام القرآن تفسير الأنفال ٤١ . ورجحه ابن تيمية انظر مجموعة الفتاوى ١١ /١٨١ . وقال ابن كثير: وقال شيخنا الإمام العلامة ابن تيمية رحمه الله: وهذا قول مالك وأكثر السلف وهو أصح الأقوال. انظر تفسير ابن كثير ٢ /٣١٢ في تفسيره للآية ٤١ من سورة الأنفال.

(٢) أحمد ١ /٤، وصححه أحمد البنا الساعاتي ١ /١٦٠، كما رواه أبو داود ٣ /١٩٨ بمعناه، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم ٢٥٧٥ .

(٣) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٦ /٢٥١، وعزى هذا القول لأبي ثور في مجموع الفتاوى ١٩ /٣١.

(٤) التوبة ٦٠.

المسلمين[1].

ثم إن الناظر لسيرة عثمان – رضي الله عنه – يتعجب من تلك الاتهامات إذ أنها على هشاشتها تناقض ما عرف عنه من الجود والفضل والحياء، فقد ثبت عنه تجهيزه لجيش العسرة في غزوة تبوك، وحفر بئر رومة وتسبيلها للمسلمين، وقد قال النبي ﷺ: (من جهز جيش العسرة فله الجنة)، فجهزه عثمان، وقال: (من حفر بئر رومة فله الجنة)، فحفرها عثمان[2].

وفي رواية أخرى صحيحة قال النبي ﷺ: (ما ضر عثمان ما عمل بعد هذا)[3].

وفي حديث صحيح قال النبي ﷺ عنه: (ألا أستحيي من رجل تستحيي منه الملائكة)[4]، يعني عثمان.

وفي هذا أبلغ الرد على تلك التهم عن ثالث الخلفاء الراشدين.

---

(١) منهاج السنة لابن تيمية ٦/٢٥١.

(٢) أخرجهما البخاري في موضعين: فضائل الصحابة ٧، الوصايا ٣٢.

(٣) فضائل الصحابة للإمام أحمد ١/٥١٦، وصححه المحقق.

(٤) مسلم فضائل الصحابة ٢٦.

المسألة الرابعة: ما جاء في أبي عبيدة[1] - رضي الله عنه -:

جاء في الدائرة: (ولا شك أن أبا عبيدة كان رجلاً أثرت شخصيته في معاصريه، على أن الروايات المتأخرة تظهره في صورة الرجل الذي لا لون له)[2].

كما جاء عنه: (ويقال: إنه كان يمتاز بالشجاعة وإنكار الذات)[3].

قلت: كلمة [يقال] تدل على التضعيف، وما ذكره من شجاعة وإنكار الذات لأبي عبيدة - رضي الله عنه - ثابتان له، بل كيف يشكك في هذا! وقد قال رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح: (إن لكل أمة أميناً، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح)[4].

كما جاء في الصحيحين: «أن رسول الله ﷺ قال لأهل نجران: (لأبعثن إليكم رجلاً أميناً حق أمين، حق أمين) فاستشرف لها الناس،

(١) عامر بن عبد الله بن الجراح القرشي الفهري من السابقين إلى الإسلام ومن العشرة المبشرين بالجنة، وأمين هذه الأمة كما صح عن النبي ﷺ شهد بدراً وما بعدها من الغزوات وله دور بارز في فتوح الشام في عهد الصديق والفاروق توفي بطاعون عمواس بالشام سنة ١٨هـ (الإصابة لابن حجر ٢/٢٥٣ - ٢٥٤).

(٢) الدائرة ١/٥٣٩، أبو عبيدة، جب.

(٣) الدائرة ١/٥٣٩، أبو عبيدة، جب.

(٤) البخاري فضائل الصحابة ٥٢.

فبعث أبا عبيدة بن الجراح »[1].

ثم أين هذه الروايات التي تُظهِر أنه لا لون له؟ إن تلك الروايات إن وجدت فهي باطلة قطعاً في حق أمين هذه الأمة، وأحد العشرة المبشرين بالجنة.

المسألة الخامسة: ما جاء في طلحة بن عبيد الله[2] والزبير بن العوام[3] - رضي الله عنهما -:

جاء في الدائرة في مادة طلحة ما يلي: (فلما توفي النبي بدا أن علاقته بالخليفتين الراشدَيْن الأولَيْن كانت أميل إلى الفتور، ويقال: إنه تردد مدة طويلة قبل أن يبايع أبا بكر وعمر من بعده. وقد حرص عمر بدوره على ألا يولى منصباً رفيعاً ذلك الصحابي القوي، فقد كان لدى هذين الخليفتين فيما يرجح أسباب تدعوهما إلى الخشية من

---

(١) البخاري أخبار الآحاد ١، مسلم فضائل الصحابة ٥٥.

(٢) طلحة بن عبيد الله بن عثمان القرشي التيمي من السابقين إلى الإسلام وأحد العشرة المبشرين بالجنة غزا مع النبي ﷺ وله الموقف المعروف في نصرة النبي والذود عنه في أحد حتى قال النبي ﷺ «اوجب طلحة» أي الجنة، كان ثرياً سخياً، أحد الستة الذين اختارهم عمر للشورى في الخلافة بعده. قتل مغدوراً يوم الجمل سنة ٣٦هـ. (الإصابة لابن حجر ٢/٢٢٩ - ٢٣٠).

(٣) الزبير بن العوام بن خويلد القرشي الأسدي حواري الرسول ﷺ وابن عمته واحد السابقين إلى الإسلام وأحد العشرة المبشرين بالجنة غزا مع النبي ﷺ بدراً وما بعدها، وكان أحد الستة أصحاب الشورى بعد وفاة عمر قُتِل مغدوراً يوم الجمل سنة ٣٦هـ. (الإصابة لابن حجر ١/٥٤٥ - ٥٤٦).

أطماحه... إن طلحة كان من المرشحين للخلافة، وقد أحس بمرارة الخيبة عندما وقعت من نصيب عثمان. واندمج طلحة في صفوف المعارضة، فاستغل السخط الذي سرعان ما دب في نفوس الناس على حكم عثمان، وسعى إلى تولي الخلافة مرة أخرى.. وقُتل الخليفة في بيته على يد الغوغاء، وظن طلحة أن حلمه أوشك أن يتحقق، بل لقد بدا أن مبايعته بالخلافة باتت قاب قوسين أو أدنى، وإذا بعلي يُبايع بالخلافة دونه... ولم تشق أسرة طلحة بهلاك شيخها؛ ذلك أن ورثته آلت إليهم ثروته وظلوا محتفظين بجاههم)[1].

كما جاء فيها عن فتنة الجمل: (أن طلحة والزبير اللذين ائتمرا بأمرها - يعني عائشة رضي الله عنها - كانا يتشاجران فيما بينهما متعللين بأسباب واهية.. فظهرا في ذلك بمظهر الرجال الذي تحركهم الأطماع ويفتقدون في الوقت نفسه العزيمة والثبات المؤديين إلى النجاح)[2].

وجاء أيضاً: (ويقال إن الزبير ظل وفياً للنبي في الشدائد، وأنه اشترك في هجرتي المسلمين إلى الحبشة)[3].

قلت: لم تتجاوز ترجمة طلحة ثلاث صفحات والزبير صفحتين في دائرة المعارف، ومع ذلك تضمنت جملة من الأباطيل السالفة، وتركيزاً

---

(١) الدائرة، الأولى ١٥/٢٥٤ - ٢٥٥، طلحة بن عبيد الله، رسكا.

(٢) الدائرة ١٢/٣١٨، الجمل، فتشيا فالبيري.

(٣) الدائرة، الأولى ١٠/٣٤٠، الزبير بن العوام، فنسنك.

على الفتنة[١] مع الإخلال بفضائلهما.

والرد على المزاعم السابقة من وجوه:

أولاً: علاقة طلحة بأبي بكر وعمر لم تشبها شائبة، وعدم توليته لأي منصب لا يعود إلى ما ذكره المستشرق، بل إن كثيراً من كبار الصحابة لم يُولَّوْا أعمالاً في عهد أبي بكر وعمر، وليس عدم التولي دليل العداء كما يتوهم المستشرق.

ثانياً: لم يعلن طلحة ولا الزبير - رضي الله عنهما - رغبتهما في الخلافة، أو دل دليل على حرصهما عليها، أو ثبت أنهما سعيا إليها قط، بل ثبت في الصحيح أنهما تنازلا عنها بمحض اختيارهما بعد مقتل عمر - رضي الله عنه - حيث قال طلحة: قد جعلت أمري إلى عثمان، وقال الزبير: قد جعلت أمري إلى علي[٢].

ثالثاً: ما يتخرصه الكاتب من تلقاء نفسه كقوله عن طلحة:

(فقد كان لدى هذين الخليفتين فيما يرجح أسباب تدعوهما إلى الخشية من أطماحه)، (وقد أحس بمرارة الخيبة عندما دُفعت إلى عثمان. فاستغل السخط الذي سرعان ما دب في نفوس الناس على حكم عثمان، وسعى إلى تولي الخلافة مرة أخرى)، (وقُتل الخليفة في بيته على يد الغوغاء، وظن طلحة أن حلمه أوشك أن يتحقق، بل لقد

---

(١) مع أن الفتنة تتكرر كثيراً في مواد كثيرة مثل: «الأشتر، الجمل، طلحة، عائشة».

(٢) البخاري، فضائل الصحابة ٨.

بدا أن مبايعته بالخلافة باتت قاب قوسين أو أدنى، وإذا بعلي يبايع بالخلافة دونه).

وقوله عنهما: (فظهرا في ذلك بمظهر الرجال الذين تحركهم الأطماع، ويفتقدون في الوقت نفسه العزيمة والثبات المؤديين إلى النجاح).

جميع هذه التخرصات لم يقم عليها دليل أو برهان، بل استغل الكاتب مطالبة طلحة والزبير علياً بالسعي إلى الثأر من قتلة عثمان، وسعيهما بعد ذلك مع عائشة وبعض الصحابة لذلك، مما نتج عنه القتال مع علي – رضي الله عنه – وهو قتال باجتهاد إن أخطأوا فيه فهم معذورون، ولم يؤثمهم أحد من أهل العلم، أو يطعن فيهم لأجل هذا القتال، بل قال من قاتلهم وهو علي – رضي الله عنه – : «إني لأرجو أن أكون أنا والزبير وطلحة ممن قال الله عز وجل فيهم: ﴿ **وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ** ﴾[1]»[2].

رابعاً: الناظر لأحوال طلحة والزبير وسيرتهما العطرة يتبين له بطلان ما جاء به المستشرق.

أما عن طلحة فكان من السابقين إلى الإسلام، وأحد العشرة المبشرين بالجنة لم يتأخر عن النبي ﷺ في معاركه، وقد أبلى طلحة

---

(١) الحجر ٤٧.

(٢) فضائل الصحابة للإمام حمد ١ /٧٤٧، وصححه المحقق، كما أخرجه ابن جرير في تفسيره للآية ٤٧ من سورة الحجر.

يوم أحد بلاءً حسناً ووقى النبي ﷺ بيده حتى شلت[1]، وقال النبي ﷺ عنه يوم أحد: (أوجب طلحة)[2] أي وجبت له الجنة.

وكان كريماً سخياً يُطعم الصحابة حتى سماه النبي ﷺ: (طلحة الفياض)[3].

وقال جابر – رضي الله عنه –: «صحبت طلحة، فما رأيت أعطى لجزيل مالٍ من غير مسألة منه»[4].

ولم يكن يدع المال في يده على كثرته لذا قال عنه معاوية يوم مات: «عاش حميداً سخياً شريفاً، وقتل فقيراً رحمه الله»[5]، فأين المال الوفير الذي ورَّثه كما أشار إليه المستشرق، وركَّب منه قصة؟

أما الزبير فهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأول من سل سيفه في سبيل الله[6]، هاجر إلى الحبشة، ولم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله ﷺ[7]، وكان أحد الفارسيْن يوم بدر، وقال النبي ﷺ يوم

---

(١) البخاري فضائل الصحابة ١٤.

(٢) رواه الترمذي مناقب ٩٤ ح ٣٨٢١، وحسنه، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي ٣/٣٤٧ دار الكتاب العربي – بيروت، دطت، وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء ١/٢٦، وحسنه المحقق.

(٣) الحاكم وصححه ووافقه الذهبي ٣/٣٤٧.

(٤) طبقات ابن سعد ٣/٢٢١.

(٥) طبقات ابن سعد ٣/٢٢٢.

(٦) سير أعلام النبلاء ١/٤١.

(٧) طبقات ابن سعد ٣/١٠٢.

الخندق: (من يأتي بني قريظة فيأتيني بخبرهم؟)، فانطلق الزبير، فلما رجع قال النبي ﷺ: (فداك أبي وأمي)[1]، وقال عنه ﷺ: (لكل نبي حواريّ، وحواريّ الزبير)[2].

فهل بعد ذلك يشكك في وفاء الزبير للنبي ﷺ في الشدائد!

خامساً: أما قوله: (ولم تشق أسرة طلحة بهلاك شيخها؛ ذلك أن ورثته آلت إليهم ثروته وظلوا محتفظين بجاههم)، فهو منبئ عن أسلوب القوم وتخرصهم، ولم أجد في الروايات ما يصدق كلام الكاتب إطلاقاً، بل الطبيعي أن تحزن أسرته على مقتله، لاسيما وهو بهذه الصفات الفاضلة، والمناقب العالية، ولكن الماديين يفسرون الأمور حسب نظرتهم المادية، فالمال في نظرهم فوق المشاعر والأحاسيس.

إن الاعتماد على كلمة «يقال» دون ذكر القائل ليس من منهج الباحثين، لا سيما إذا تعلق الأمر بتشويه سير أُناس عُلمت فضائلهم، واشتهر خيرهم.

---

(١) البخاري فضائل الصحابة ١٣.

(٢) البخاري فضائل الصحابة ١٣.

المطلب الخامس: انتقاص أهل بيت النبي ﷺ:

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: ما جاء في عائشة بنت الصديق[1] - رضي الله عنهما -:

جاء في الدائرة عنها العبارات الآتية: (وكانت عائشة فيما يظهر فائقة الجمال طفلة وشابة)[2].

وجاء في سرد حادث الإفك: (وجلست عائشة تنتظر حتى عثر عليها آخر الأمر شاب جميل هو صفوان بن المعطل السلمي، فعاد بها في حراسته إلى المدينة، وكان ذلك منها زلة كبيرة)[3].

كما جاء عنها: (وقد وصفت في الأزمنة المتأخرة بأنها كانت مثالاً للتقوى؛ ولكن ليس من اليسير أن نتبين السند في هذا القول)[4].

كما جاء أيضاً في الحديث عن حفصة رضي الله عنها: (وهي في ذلك على طرفي نقيض من عائشة التي كان لها شأن خطير في كثير من النواحي)[5].

---

(١) عائشة بنت أبي بكر الصديق أحب أزواج النبي ﷺ إليه بعد خديجة وهي البكر الوحيدة من زوجاته كانت عالمة فاضلة روت عن النبي ﷺ الكثير من الأحاديث توفيت بالمدينة سنة ٥٨هـ. (انظر الإصابة ٤ / ٣٦٠ - ٣٦١).

(٢) الدائرة، الأولى ١٥ / ٤٣٢، عائشة، منتقمري وات.

(٣) الدائرة، الأولى ١٥ / ٤٣٢، عائشة، منتقمري وات.

(٤) الدائرة، الأولى ١٥ / ٤٣٤، عائشة، منتقمري وات.

(٥) الدائرة ١٥ / ١٦٣، حفصة، لامنس.

كما جاء أيضاً: (ويقال إن حفصة اقترحت على النبي بناء على نصيحة عائشة، أو نصيحة أبي بكر عن طريق عائشة: أن يُكلف عمر بهذا الأمر – الخلافة – نظراً لضعف صحته الشديدة، وأن صوته قد تخنقه العبرات، ويبدو غريباً أن تصدر هذه النصيحة من عائشة)[1].

قلت: الجواب على هذا الكلام من وجوه عدة:

الأول: تضمن هذا الكلام جملة من الادعاءات والاتهامات في أم المؤمنين عائشة بنت الصديق: كدعوى أن ما فعلته عائشة – رضي الله عنها – كان زلة كبيرة منها، وكالتشكيك في وصفها بالتقوى، وادعاء أن لها دوراً خطيراً في كثير من النواحي، واستغراب مع تضعيف اقتراح عائشة لحفصة بالمشورة على رسول الله ﷺ بتكليف عمر بالخلافة.

إن هذه كلها دعاوى مجردة من أي برهان، بل بينها وبينه خرط القتاد، وأي دعوة بهذه المثابة فهي ساقطة.

الثاني: إن وصف عائشة بفائقة الجمال، وصفوان بشاب جميل لا يخلو من الغرض كما هو ظاهر، إذ ليس من عادة الدائرة في السير والتراجم التعريج على هذه الناحية، فضلاً أن ذلك لم يشتهر عنهما.

كما أن ما فعلته عائشة ليس بزلة منها إذ أنها لم تُلَمْ على مجرد العودة معه بعد أن تركها القوم، إذ أن في جلوسها خطورة أعظم، وقد برأها الله تعالى من إرجاف المنافقين، ولم يأت لوم عليها في ذلك منه

---

(١) الدائرة ١٥/١٦٦، حفصة، فتشيا فاليبري.

سبحانه أو من نبيه ﷺ أو من أبيها – رضي الله عنه –، ودعوى الكاتب مفتقرة إلى البرهان إذ الأصل البراءة وليس التهمة.

الثالث: إن وصف عائشة رضي الله عنها بالتقوى أمر ثابت، في المصادر المعتبرة، ولم يكن أمراً حادثاً فيما بعد، كما يحاول المستشرق أن يفهمنا ذلك على طريقته البعيدة عن المنهج العلمي الصحيح.

إن فضل أم المؤمنين ثابت لا شك فيه، وهذا بعض ما ورد في فضلها رضي الله عنها:

قال رسول الله ﷺ: (كمُل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وفَضْلُ عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام) متفق عليه[1].

ومن فضائلها قولها رضي الله عنها: «فُضِّلْتُ على نساء النبي ﷺ بعشر، قيل: ما هن يا أم المؤمنين؟ قالت: لم ينكح بكراً قط غيري، ولم ينكح امرأة أبواها مهاجران غيري، وأنزل الله عز وجل براءتي من السماء، وجاء جبريل بصورتي من السماء في حريرة، وقال تزوجها فإنها امرأتك، فكنت اغتسل أنا وهو من إناء واحد، ولم يكن يصنع ذلك بأحد من نسائه، وكان يصلي وأنا معترضة بين يديه، ولم يكن يفعل ذلك بأحد من نسائه غيري، وكان ينزل عليه الوحي وهو معي، ولم يكن يتنزل عليه وهو مع أحد من نسائه غيري، وقبض الله نفسه

---

(١) البخاري الأطعمة ٢٥، مسلم فضائل الصحابة ٧٠.

وهو بين سحري ونحري، ومات في الليلة التي كان يدور عليَّ فيها، ودُفن في بيتي»[١].

وهذا أمور ثابته فضّل الله بها عائشة رضي الله عنها.

ومن فضائلها رضي الله عنها ما رواه البخاري: أن النبي ﷺ قال لها: (إن جبريل يقرأ عليكِ السلام. فقالت وعليه السلام)[٢].

كما أنها أحب نساء النبي ﷺ إليه، ذلك أنه لما سئل رسول الله ﷺ: (من أحب الناس إليك؟ قال: عائشة. قال: إنما أقول من الرجال، قال: أبوها)[٣].

لذا لما فرض عمر رضي الله عنه لأمهات المؤمنين عشرة آلاف؛ زاد عائشة ألفين، وقال: «إنها حبيبة رسول الله ﷺ»[٤].

أما عن ورعها ومسابقتها إلى الخير؛ فقد قال عروة: «رأيتها تصدق بسبعين ألف»[٥].

ومما يدل على ورعها وفضلها: أن ابن عباس استأذن على عائشة قبل موتها وهي تعاين من المرض. فقالت: أخشى أن يُثني عليَّ.

---

(١) طبقات ابن سعد ٨/٦٣ – ٦٤.

(٢) البخاري فضائل الصحابة ٣٠.

(٣) الترمذي مناقب ١١٠ ح ٣٩٧٣ وصححه، وفضائل الصحابة للإمام أحمد بن حنبل ٢/٨٧٢، وصححه المحقق.

(٤) طبقات ابن سعد ٨/٧٦.

(٥) طبقات ابن سعد ٨/٦٦.

فقيل: ابن عم رسول الله ﷺ، ومن وجوه المسلمين. فقالت: ائذنوا له. فقال: كيف تجدينك؟ فقالت: بخير إن اتقيت الله. قال: فأنت بخير إن شاء الله: زوجة رسول الله ﷺ، ولم ينكح بكراً غيرك، ونزل عذرك من السماء. ودخل ابن الزبير خلافه، فقالت: دخل ابن عباس فأثنى علي، ووددت أني كنت نسياً منسياً[1].

أما عن علمها، فقد كان كبار اصحاب النبي ﷺ يسألونها عن الفرائض[2].

وقال أبو موسى الأشعري[3] ــ رضي الله عنه ــ: «ما أشكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديث قط، فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً»[4].

وقد روت آلاف الأحاديث عن رسول الله ﷺ محفوظة بأسانيدها.

أبعدَ هذا يقال: إنها وصفت في الأزمنة المتأخرة ــ فحسب ــ أنها كانت مثالاً للتقوى، وأنه ليس من اليسير أن نتبين السند في هذا القول!!.

---

(١) البخاري، تفسير ٢٤.

(٢) طبقات ابن سعد ٨/٦٦.

(٣) عبد الله بن قيس الأشعري من السابقين إلى الإسلام كان فقيهاً قارئاً عالماً ولاه النبي ﷺ على بعض اليمن، وولاه عمر على البصرة ففتح الأهواز وأصبهان، ثم ولاه عثمان على الكوفة وكان أحد الحكمين بصفين ثم اعتزل الفريقين توفي سنة ٤٢ هـ أو بعدها. (انظر الإصابة لابن حجر ٢/٣٥٩ ــ ٣٦٠).

(٤) الترمذي، مناقب ١١٠ ح ٣٩٧٠، وصححه.

المسألة الثانية: انتقاص الحسن بن علي [1] - رضي الله عنهما -:

جاء في الدائرة في ترجمة الحسن بن علي - رضي الله عنهما - النصوص الآتية:

(إن الصفات الجوهرية التي كان يتصف بها الحسن هي: الميل إلى الشهوات، والافتقار إلى النشاط والذكاء... وبويع الحسن بالخلافة في العراق بعد مقتل علي، فحاول أنصاره أن يقنعوه بالعودة إلى قتال أهل الشام، وقلب هذا الإلحاح من جانبهم خطط الحسن القعيد الهمة، فلم يعد يفكر إلا في التفاهم مع معاوية... وهناك عاد إلى حياة اللهو واستسلم للذات... إن الحسن المستهتر كان قد أصبح مسالماً منذ أمد طويل... وتوفي الحسن في المدينة بذات الرئة، ولعل إفراطه في الملذات هو الذي عجل بمنيته) [2].

---

(١) الحسن بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي سبط رسول الله ﷺ ولد سنة ثلاث من الهجرة وحفظ عن النبي ﷺ بعض الأحاديث وكان النبي ﷺ يحبه حباً شديداً هو وأخيه الحسين، تولى الخلافة بعد مقتل أبيه - رضي الله عنهما - وبايع معاوية سنة ٤٠ هـ رغبة في الإصلاح وتوفي بالمدينة سنة ٥٠هـ (الإصابة لابن حجر ١/٣٢٨ - ٣٣١).

(٢) الدائرة ١٤/٣٥٤ - ٣٥٦، الحسن بن علي، لامنس.

قلت: ما ذكره المستشرق في ابن بنت نبينا ﷺ اتهام بغير دليل، بل إن الأدلة تكذّب اتهاماته، فهو محبوب المعصوم ﷺ، فقد رفعه ﷺ على عاتقه، وقال: (اللهم إني أحبه فأحبه، وأحبب من يحبه)(1).

بل وتواتر عنه ﷺ أنه وأخيه الحسين سيدا شباب الجنة(2).

وقد بنى المستشرق كلامه على ما وقع من الصلح الذي تنازل فيه الحسن لمعاوية، وتعهد معاوية بموجبه للحسن ومن معه بالعفو والأموال، وقد أراد الحسن بهذا الصلح حقن دماء المسلمين، فعصم الله بهذا الصلح الدماء والأموال، وقد أخبر نبينا ﷺ عن هذا النبأ قبل وقوعه بثلاثين عاماً حين قال عن الحسن في الحديث الصحيح: (إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين)(3)، فهذا الحديث من علامات نبوته ﷺ، وفيه مدح للحسن يكذّب ما ذكره الكاتب، إذ أن صفات السيادة تتناقض مع تلك الصفات السوقية التي وصم بها الحسن، كما أن هذا الصلح من مناقبه - رضي الله عنه -.

---

(1) البخاري اللباس ٦٠، مسلم فضائل الصحابة ٥٧.

(2) حيث رواه خمسة عشر صحابياً انظر لقط اللآلئ المتناثرة في الأحاديث المتواترة للزبيدي ١٤٩، وممن اخرجه الترمذي المناقب ١٠٦ ح ٣٨٥٦، وصححه، وابن ماجه المقدمة ١١، وأحمد ٣/٣، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه رقم ٩٦، وفي السلسلة ٧٩٧.

(3) البخاري الصلح ٩.

وأخيراً أخبرنا المستشرق عن سبب وفاته، وكأنه طبيب لازمه وفحصه وعرف داءه! إنه الحقد المعمي عن الحق.

المطلب السادس: ادعاء التهويل والمبالغة في سير الصحابة:

جاء في الدائرة إنكار كرامات الصحابة – رضي الله عنهم – وادعاء أنها هُولت وبُولغ فيها، وهذا التكذيب ما هو إلا سلسلة من سلاسل التكذيب بنبوة النبي ﷺ، ولأن التسليم بتلك الكرامات يلزمهم بما بعده من التسليم بصدق إيمانهم وحسن سرائرهم وصدق النبي الذي آمنوا به.

ففي سيرة حمزة رضي الله عنه جاء في الدائرة: (عم النبي وتزيد الروايات أنه أخوه من الرضاعة سعياً منها لتمجيد هذا البطل من أبطال الإسلام في عهده الأول، ولا نعرف عن حمزة فيما عدا ذلك إلا القليل. ويزعم الجهال من مادحيه أيضاً أنه اشترك في حرب الفجار؛ ولكن هذا القول يناقض ما رواه صاحب الأغاني)[1].

كما قال فنسنك بعد أن ذكر يوم الرجيع: (إن هذه الروايات فيها مسحة من التمجيد فقد دعا عاصم ربه عند مقتله أن يخبر نبيه في مكة[2] نبأ هذا الحادث؛ فاستجاب الله واحاطت الدبر بجسده، ومنعته من عدوه، ثم جاء الوادي فذهب به)[3].

---

(١) الدائرة ١٦ /٣، حمزة بن عبد المطلب، لامنس.

(٢) كان ﷺ في المدينة وليس في مكة.

(٣) الدائرة ١٦ / ٤٨١، خبيب بن عدي، فنسنك.

قلت: الرد على هذا الكلام من وجوه عدة:

أولاً: التمجيد المزعوم ما هو إلا دعوى مجردة من أي برهان، والطريق الصحيح في رد الروايات دراسة الأسانيد والحكم من خلالها على تلك الروايات، وليس التشهي والهوى.

ثانياً: إن علماء الحديث بينوا الروايات الضعيفة والموضوعة ونبهوا عليها، ومنها التي سيقت في فضائل الصحابة، بل وفي فضائل النبي ﷺ نفسه، فليس غرضهم تمجيد مكذوب، وإنما نقل الروايات والحكم عليها بموضوعية بعيداً عن التحيز.

ومن تلك الروايات:

ما رُوي في فضائل النبي ﷺ: (أدبني ربي فأحسن تأديبي) وهذا الحديث ضعفه العلماء رغم صحة معناه [1].

وما روي في فضائل عمه العباس [2]: (العباس وصيي ووارثي) ذكر

---

(١) قال ابن تيمية: «المعنى صحيح لكن لا يعرف له اسناد ثابت» (انظر: مجموعة الرسائل الكبرى، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ٢/٣٥٣، أول رسالة القُصاص، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح، القاهرة، دطت)، وذكر ذلك أيضاً العلجوني ١/٧٢، تعليق أحمد القلاش، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م)، كما ذكره الألباني وضعفه ونقل ذلك عن السخاوي والسيوطي (سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني انظر الحديث رقم ٧٢، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ).

(٢) العباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي عم رسول الله ﷺ ولد قبل رسول الله ﷺ =

العلماء أنه موضوع [1].

كما ضعف العلماء حديث في فضائل الصحابة كلهم: «أصحابي كالنجوم، بأيهم اقتديتهم اهتديتم» [2].

فلم يصحح أهل العلم ذلك لتمجيد النبي ﷺ وأهل بيته وصحابته، بل كانت همتهم التثبت مما يُروى لنقل الروايات كما هي، فردوا الحديث الأول لأن ليس له سند ثابت، والثاني لأن به وضاعاً، والثالث لأن به مجهولاً.

ثالثاً: إن سيرة حمزة – رضي الله عنه – لا يحتاج معها إلى اختلاق، فأخوته للنبي ﷺ من الرضاعة ثابتة في البخاري ومسلم [3]. قال ابن حجر في سيرته: «أخو النبي ﷺ من الرضاعة كما في

= بسنتين، وحضر العقبة مع الأنصار قبل أن يسلم وحضر بدراً مكرهاً مع المشركين، وكان يكتب إلى النبي ﷺ بأخبار المشركين أسلم قبل فتح مكة وكان جواداً كريماً سيداً في الجاهلية والإسلام وكان الصحابة يعترفون بفضله ويأخذون برأيه وكان عمر يستسقي به توفي بالمدينة سنة ٣٢هـ (انظر الإصابة لابن حجر ٢ / ٢٧٠ – ٢٧١).

(١) ذكر ابن الجوزي أنه موضوع لأن باسناده جعفر بن عبد الواحد وكان يضع الحديث، وفي طريق آخر محمد بن الضوء وهو يروي المناكير (انظر: الموضوعات، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ٢ / ٣١، تحقيق عبد الرحمن بن محمد عثمان، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، الطبعة الألى ١٣٨٦هـ – ١٩٦٦م.).

(٢) قال ابن عبد البر عن إسناده: «هذا إسناد لا تقوم به حجة لأن الحارث بن غصين مجهول». (انظر: جامع بيان العلم وفضله، أبي عمر يوسف بن عبد البر ٢ / ١١١، دار الفكر بيروت دطت).

(٣) البخاري النكاح ٢٠، مسلم الرضاع ١١.

الصحيحين، أرضعتهما ثويبة مولاة أبي لهب»[1].

وقد أسلم حمزة - رضي الله عنه - في السنة الثانية من البعثة، وآخى النبي ﷺ بينه وبين زيد بن حارثة، وقد شهد بدراً، وأبلى في ذلك، وقتل شيبة بن ربيعة، وعقد له رسول الله لواء، وأرسله في سرية، فكان أول لواء عقد في الإسلام[2]، وقصة استشهاده في أحد معروفة.

فهذه سيرته - رضي الله عنه - سيرة عطرة لا مجال للتشكيك فيها فقد نصر الإسلام بإسلامه، ومات شهيداً، بل هو سيد الشهداء كما سماه النبي ﷺ بذلك[3].

رابعاً: أين المنهج في تفضيل كتاب مجون غير متخصص - وهو الأغاني - على كتب السنة الصحيحة؟ إن المقارنة غير سائغة فضلاً عن التفضيل!

خامساً: فيما يتعلق بيوم الرجيع ودعوة عاصم[4]، واستجابة الله له، ومنع الدبر عنه، فإن تضعيف الكاتب لهذه القصة لم يستند على برهان، أو بحث يعتمد عليه، فتلك القصة ثابتة في الصحيح[5]،

---

(١) الإصابة ١/٣٥٣.

(٢) الإصابة ١/٣٥٤.

(٣) الإصابة ١/٣٥٤.

(٤) عاصم بن ثابت الأنصاري من السابقين الأولين إلى الإسلام وممن حضر العقبة وكان متحمساً لنصرة دين الله قُتل يوم الرجيع وكان قد عاهد الله ألا يمسه مشرك فأكرمه الله بتغييب جثته عنهم - رضي الله عنه - (انظر الإصابة ٢/٢٤٤ - ٢٤٥).

(٥) البخاري الجهاد ١٧٠.

كما رواها عامة أصحاب السير.

سادساً: إن من العجب أن يكتب ذلك الكلام نصارى[1] يؤمنون بفضائل عديدة لأقوام ويمجدونهم أعظم من هذا التمجيد مثل الحواريين ويمنحون البعض لفظ الرسل وعلى رأسهم بطرس، بل يجعلون الكنيسة والباباوات معصومين، ثم يعمدون إلى ما ثبت في فضائل أصحاب النبي ﷺ الذي لا يقول المسلمون بعصمتهم فينكرونها مع الفارق الكبير بين ثبوت كل منها.

المطلب السابع: مطاعن متفرقة: وفيه مسائل:

المسألة الأولى: الانتقاص من أسامة بن زيد[2] - رضي الله عنهما-:

جاء في الدائرة: (وتوكيد الروايات لحب النبي له يرجع من ناحية إلى الرغبة في التقليل من شأن بيت علي، ومن ناحية أخرى إلى إظهار أن النبي كان ديمقراطياً بعيداً عن التعصب)[3].

قلت: محبة النبي ﷺ لأسامة بن زيد، وبعده ﷺ عن التعصب ثابتان لا يحتاجان إلى اختلاق روايات، والمنهج السليم في ذلك هو

---

(١) بل إن أحدهما الأب لامنس اليسوعي.

(٢) أسامة بن زيد بن حارثة حب النبي ﷺ وابن حبه، ولد في الإسلام وأمّره النبي ﷺ على جيش عظيم إلى الشام وتوفي النبي ﷺ قبل أن ينفذه فأنفذه أبو بكر الصديق، وكان عمر يجله ويكرمه اعتزل أسامة الفتن ومات سنة ٥٤ هـ بالمدينة (الإصابة ١/ ٣١).

(٣) الدائرة ٣/ ٢٣٠، أسامة بن زيد، فكا.

الرجوع إلى الروايات التاريخية، والنظر فيها لاستنباط المعاني، والترجيح إذا وقع تعارض، فيقدم أثبت الروايات على ما هو دونها، وينظر في المسائل بتجرد وإنصاف، لا إلى وضع الأحكام المسبقة دون ذلك كله.

وهذه المسألة ثابتة بروايات مشهورة صحيحة من غير معارض لها.

وبُعده ﷺ عن التعصب شهد به القاصي والداني، وليس هذا موضع إثباته.

وحسبي في ذلك بيان الأحاديث الصحيحة الثابتة في فضل زيد ومحبة النبي ﷺ له، إذ بذلك كفاية لهدم تلك المزاعم.

فعن عائشة أم المؤمنين – رضي الله عنها –: «أن قريشاً أهمهم شأن المخزومية فقالوا: من يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حِبّ رسول الله ﷺ» متفق عليه [1].

وعن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنه – قال: بعث النبي ﷺ بعثاً وأمَّر عليهم أسامة بن زيد، فطعن بعض الناس في إمارته، فقال النبي ﷺ: (إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل. وأيم الله إن كان لخليقاً للإمارة، وإن كان من أحب الناس إليَّ، وإن هذا لمن أحب الناس إليَّ من بعده) متفق عليه [2].

كما كان النبي ﷺ يأخذه والحسن، فيقول: (اللهم أحبهما فإني

---

(١) البخاري فضائل الصحابة ١٨، مسلم حدود ٨.

(٢) البخاري فضائل اصحابة ١٧، مسلم فضائل الصحابة ٦٣.

أحبهما) رواه البخاري[1].

قال ابن حجر: «كانوا يسمون أسامة حِبَّ رسول الله ﷺ: أي محبوبه، لما يعرفون من منزلته عنده»[2].

فلم يكن حب النبي ﷺ لأسامة - رضي الله عنه - مُختَلَقاً، أو مُبالغاً فيه، أو مصطنعاً، فضلاً أن يكون ذلك للتقليل من شأن بيت علي كما زعم الكاتب.

وهو مطالب بإثبات دعواه، وأنى له ذلك!

وأما الديمقراطية بمفهومها السياسي فليست هي ما يتحدث عنه، وإنما هو ضمنها معنى العدالة والمساواة، وليس هذا الأمر مسلم به.

المسألة الثانية: الطعن في عبد الله بن عمر[3] - رضي الله عنه -

جاء في الدائرة: (وقد حرضت حفصة أخاها عبد الله، وكان رجلاً ضئيل الشأن على المطالبة بالخلافة عندما جرى التحكيم في اذرح)[4].

(١) البخاري فضائل الصحابة ١٨.

(٢) فتح الباري ٧/ ٨٨.

(٣) عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي ولد بعد البعثة بثلاث سنوات وهاجر مع أبيه لم يحضر بدراً لصغر سنه وحضر ما بعدها روى عن النبي ﷺ الكثير من الأحاديث وأخذ العلم عن كبار الصحابة حتى غدا من كبار علماء الصحابة وفضلائهم كان عابداً زاهداً معتزلاً للفتن نفع الله بعلمه توفي سنة ٧٣هـ (انظر الإصابة ٢/ ٣٤٧ - ٣٥٠).

(٤) الدائرة ١٥/ ١٦٣، حفصة، فتشيا فاليري.

قلت: لم يكن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – ضئيل الشأن كما زعم الكاتب، بل كان له شأن كبير في العلم والعمل والتأثير على الناس بقوله وعمله وزهده، وقد مدحه النبي ﷺ بقوله: (أرى عبد الله رجلاً صالحاً)[1].

ولعل حكم الكاتب عليه من خلال زهده رضي الله عنه في الإمارة، وبُعده عنها، وهذا ليس عيباً بل ميزة دلت على رجحان عقله ودينه، وقد شهد بذلك له الصحابة والتابعون – رضي الله عنهم – ومن ذلك:

قول جابر بن عبد الله – رضي الله عنه –: «ما أدركت أحداً إلا قد مالت به الدنيا إلا عبد الله بن عمر»[2].

وقول عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه –: «إن من أملك شباب قريش لنفسه عن الدنيا عبد الله بن عمر»[3].

قال ابن حجر في سيرة ابن عمر: «وفي معجم البغوي بسند حسن عن سعيد بن المسيب: لو شهدت لأحد من أهل الجنة لشهدت لعبد الله بن عمر»[4].

ولو كان عبد الله ضئيل الشأن لما جعله عمر يشهد أهل الشورى

---

(١) البخاري، التعبير ٣٥، مسلم، فضائل الصحابة ١٣٩.

(٢) فضائل الصحابة للإمام أحمد ٢ / ٨٩٤، وصححه ابن حجر في الإصابة ٢ / ٣٤٧.

(٣) فضائل الصحابة ٢ / ٨٩٤ – ٨٩٥، وصححه المحقق.

(٤) الإصابة لابن حجر ٢ / ٣٤٨.

بعد وفاته كما ثبت ذلك في الصحيح [١].

بل أُشير على عمر عندما حضرته الوفاة أن يستخلفه، فامتنع عن ذلك لقرابته منه، ولوجود من هو أولى منه [٢].

بل ثبت أن الناس أتوه بعد مقتل عثمان فقالوا: أنت سيدنا وابن سيدنا اخرج يبايعك الناس، وكلهم بك راض، فقال: «لا والله لا يهراق في سببي محجمة من دم» [٣].

فلم يسلم أحد من الصحابة من هذا المستشرق وأشباهه؛ ذلك أن الصحابة الذين قاتلوا في الفتنة مجتهدين كطلحة والزبير وغيرهم وصموا بأنهم ذوو أطماع، ومن اعتزل منهم وصف بضآلة شأنه، وضعف شخصيته، فلا نعرف على أي اعتبار يطعن هو وأمثاله في صحابة النبي ﷺ؟

كما لا ندرك القدرة العجيبة التي يعرفون بها النوايا، وما وراء الحجب؟

إلا أن يكون وراء ذلك العداوة المستقرة في نفوسهم للإسلام وأهله، والتي من أجلها يتركون الإنصاف والعدالة، فيظهرون بهذا المظهر، وصدق الشاعر حيث يقول:

كل العداوات قد ترجى إزالتها إلا عداوة من عاداك في الدين

---

(١) البخاري فضائل الصحابة ٨.

(٢) تاريخ الطبري ٤ /٢٢٨، وسكت عنها الحافظ في الفتح ٧ /٦٧.

(٣) فضائل الصحابة للإمام أحمد ٢ /٨٩٥، وصححه المحقق.

المسألة الثالثة: الطعن في أنس بن مالك [1] - رضي الله عنه -:

جاء في الدائرة: (قدمته أمه لخدمة النبي بعد الهجرة، ويذكر عن نفسه أنه كان في العاشرة من عمره وقتذاك. وقد حضر غزوة بدر، ولكنه لم يشترك فيها، ولذلك فهو لا يعد من المجاهدين، وظل يخدم النبي إلى أن قبض، واشترك بعد ذلك في الفتوح كما كان له ضلع في الفتن... وهو لا يعد أعظم المحدثين، ويقال إن أبا حنيفة رفض اتخاذه حجة في الحديث، والأحاديث التي رواها عن المعراج وغيره لم تبرأ من القصص الخيالي، وتوجد مجموعة كبيرة من أحاديثه في مسند أحمد ابن حنبل) [2].

قلت: الرد على هذا الكلام من وجوه:

الأول: أن أنس بن مالك حضر بدراً، ولكنه لم يُشرَّك فيها لصغر سنه فقد كان عمره آنذاك لا يتجاوز اثني عشر عاماً. وهذا مفهوم حتى من كلام الكاتب عندما قال: (قدمته أمه لخدمة النبي بعد الهجرة، ويذكر عن نفسه أنه كان في العاشرة من عمره وقتذاك) ومن المتفق عليه أن غزوة بدر كانت في السنة الثانية للهجرة.

---

(١) انس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي خادم رسول الله ﷺ وأحد المكثرين من الحديث عنه لم يقاتل في بدر لصغر سنه وحضر ما بعدها، دعا له النبي بكثرة المال والولد شهد الفتوح وأقام بالبصرة وتحققت دعوة النبي ﷺ له بكثرة المال والولد، توفي بالبصرة سنة ٩٠هـ (انظر الإصابة ١ / ٧٢ - ٧٣).

(٢) الدائرة ٥ / ٧٠، انس بن مالك، فنسنك.

روى محمد بن سعد: حدثنا الأنصاري، عن أبيه، عن مولى لأنس؛ أنه قال لأنس: أشهدتَ بدراً؟ فقال: لا أم لك، وأين أغيب عن بدر. ثم قال الأنصاري: خرج مع رسول الله ﷺ إلى بدر، وهو غلام يخدمه[1].

قال الذهبي: «لم يعده أصحاب المغازي في البدريين لكونه حضرها صبياً ما قاتل، بل بقي في رحال الجيش. فهذا وجه الجمع»[2].

قال ابن حجر: «لم يذكر في البدريين؛ لأنه لم يكن في سن من يقاتل. شهد الفتوح»[3].

الثاني: أن انس بن مالك – رضي الله عنه – كان من المجاهدين فقد غزا غير مرة مع النبي ﷺ، وشهد الحديبية، وبايع تحت الشجرة[4]، كما شارك في حنين وخيبر[5] ومؤتة[6]، وشارك في فتوح العراق، وساهم في فتح حصن تستر[7].

---

(١) الطبقات الكبرى، محمد بن سعد ٧/٢١.

(٢) سير أعلام النبلاء ٣/٣٩٨.

(٣) الإصابة ١/٧١.

(٤) سير أعلام النبلاء ٣/٣٩٧.

(٥) تاريخ ابن عساكر المسمى: التاريخ الكبير، علي بن الحسن بن عساكر ٣/١٤٥، تصحيح عبد القادر أفندي، مطبعة روضة الشام ١٣٣١هـ.

(٦) صحيح سنن ابن ماجة للألباني ح ٢٢٥٢.

(٧) البخاري الخوف ٤ تعليقاً.

أبعد هذا كله لا يعد من المجاهدين؟ وصدق الشاعر حيث يقول:

وإذا أراد الله نشر فضيلة طُويت أتاح لها لسان حسود

الرابع: قوله له ضلع في الفتن؛ فالجواب عليه أن الصحابة – رضي الله عنهم – قد اجتهدوا في زمن الفتنة فمنهم من رأى أن الحق مع هذا الجانب، ومنهم من رأى أنه في الجانب الآخر، ومنهم لم يتبين له الأمر ورأى الاعتزال أفضل كعبد الله بن عمر، وأسامة بن زيد وغيرهما، فعمل كل منهم بحسب اجتهاده، ولا لوم على مجتهد إن أخطأ، لا سيما وأن الصحابة الكرام قد تقدم منهم السابقة في الإسلام، والحرص على الخير، والصدق في الأقوال والأفعال.

الخامس: ما يتعلق برواية أنس بن مالك – رضي الله عنه – للحديث فقد كفاني العلامة أحمد شاكر مؤنة الرد بقوله: «لم أجد ما يؤيد النقل الذي نقله المستشرق فنسنك عن أبي حنيفة، والمعروف عند علماء المصطلح، بل عند عامة العلماء، من أتباع أبي حنيفة وغيره من الأئمة: أن الصحابة كلهم عدول، وقد خالف بعض العلماء في الأخذ برواية الصحابة خلافاً لا يقام له وزن، ولكن أنس بن مالك ليس ممن اختُلف في الأخذ بروايته. أما زعم الكاتب أن روايته لحديث المعراج فيها قصص خيالي: فإنه زعم باطل لا دليل عليه؛ لأن الروايات الواردة فيه بأسانيدها [٥/ ١٠٧ – ١٤٣]. غاية الأمر أن الحديث دل على معجزات للنبي ﷺ لا يريد الكاتب أن يصدق بصحتها، فهذا

مرجعه لعقيدته، لا نتحكم فيها، ولكن لا علاقة له بالقواعد الصحيحة الدقيقة التي يُرجع إليها في صحة الأحاديث وضعفها»[1].

السادس: هناك مناقب لأنس – رضي الله عنه – لم يذكرها الكاتب، منها ما رواه أنس حيث قال: جاءت بي أم سليم إلى رسول الله ﷺ، فقالت يا رسول الله! هذا أنس ابني أتيتك به يخدمك، فادع الله له. فقال: (اللهم أكثر ماله وولده). فوالله إن مالي لكثير، وإن ولدي وولد ولدي يتعادُّون على نحو من مئة اليوم[2]. وفي رواية: فالله أكْثَر مالي حتى إن كرماً لتحمل في السنة مرتين، وولد لصلبي مئة وستة[3].

وقول أنس – رضي الله عنه –: «خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين في السفر والحضر، فوالله ما قال لشيء صنعته: (لِمَ صنعت هذا)، ولا لشيء لم أصنعه: (لِمَ لم تصنع هذا هكذا)»[4].

---

(١) الدائرة ٥/٧١، أنس بن مالك، تعليق أحمد شاكر.

(٢) مسلم ، فضائل الصحابة ١٤٣ .

(٣) طبقات ابن سعد ٧/١٩، تاريخ ابن عساكر ٣/١٤٣ – ١٤٤، سير أعلام النبلاء ٣/٣٩٩. قال محقق سير أعلام النبلاء: وسنده حسن.

(٤) الطبقات الكبرى، محمد بن سعد ٧/١٩ .

المسألة الرابعة: الطعن في خالد بن الوليد[1] - رضي الله عنه -:

جاء في الدائرة: (وعلى الرغم من أن خالداً كان قد أرسل لغرض سلمي - إلى جذيمة في وقت النبي - فإنه انتهز الفرصة للانتقام لنفسه، ونفذ ذلك بطريقة أثارت السخط عليه في مكة)[2].

قلت: الجواب على ذلك كما يلي:

أصل القصة كما وردت في صحيح البخاري عن عبد الله بن عمر قال:

بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى جذيمة فدعاهم إلى الإسلام، فلم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا، فجعلوا يقولون: صبأنا صبأنا، فجعل خالد يقتل منهم ويأسر، ودفع إلى كل رجل منا أسيره، فقلت: والله لا أقتل أسيري، ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره، حتى قدمنا على النبي ﷺ، فذكرنا له، فرفع النبي ﷺ يده فقال: (اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد) مرتين[3].

---

(١) خالد بن الوليد بن المغيرة القرشي المخزومي أحد القادة المقاتلين الشجعان في الجاهلية والإسلام حضر أحداً مع المشركين وأنقذهم من هزيمة محققة أسلم بعد عمرة الحديبية وشارك في فتح مكة وأرسله النبي ﷺ لهدم أصنام الجاهلية، وكر سالماً بجيش المسلمين في مؤتة. وصفه رسول الله ﷺ بسيف الله المسلول، أبلى بلاءً عظيماً في حروب الردة، وفي فارس، وفي اليرموك، عزله عمر عن القيادة مخافة أن يفتن الناس به لدوره الكبير في تحقيق النصر في المعارك. توفي بحمص سنة ٢١ هـ. (انظر الإصابة ٣١٣ - ٣١٥).

(٢) الدائرة ١١ /١٤٨، جذيمة بن عمار، فتشيا فاليبري.

(٣) البخاري مغازي ٥٨.

فلا شك أن خالداً أخطأ، والدليل على خطئه تبري النبي ﷺ من فعله امتثالاً لأمر الله تعالى: ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[1].

وما وقع فيه خالد لم يكن كما صوره الكاتب: بأن خالداً قصد قتلهم وهم مسلمون لثأر في الجاهلية، بل ظن أنه يسوغ قتلهم لاعتقاده بأنهم أصروا على الكفر.

قال ابن تيمية: «إن خالداً لم يتعمد خيانة النبي ﷺ، ولا قتل من هو مسلم معصوم عنده، ولكنه أخطأ»[2].

وقال ابن حجر: «وحاصله أن خالد بن الوليد غزا بأمر النبي ﷺ قوماً، فقالوا: صبأنا، وأرادوا: أسلمنا، فلم يقبل خالد ذلك منهم، وقتلهم بناء على ظاهر اللفظ، فبلغ ذلك النبي ﷺ ذلك فأنكره، فدل على أنه يكتفى من كل قوم بما يعرف من لغتهم. وقد عذر النبي ﷺ خالد بن الوليد في اجتهاده، ولذلك لم يقد منه»[3].

وخالد بن الوليد له من الفضل والحسنات، وما أنعم الله عليه بحسن التصرف في مؤتة، وبحرب المرتدين، وأثره العظيم بكثرة الفتوح بعد ذلك في العراق والشام ما لا يقاس بهذا الخطأ.

---

(١) الشعراء ٢١٦.

(٢) منهاج السنة ٤ /٤٨٨.

(٣) فتح الباري ٦ /٢٧٤، الجزية ١١.

وقد دلت السنة الشريفة على فضائل خالد، ومن ذلك قول النبي ﷺ: (خالد سيف من سيوف الله عز وجل، نعم فتى العشيرة)[1].

وقوله عليه السلام: (لا تؤذوا خالداً؛ فإنه سيف من سيوف الله صبه الله على الكفار)[2].

* * *

(1) رواه أحمد ٤ / ٩٠، وأورده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ١٨٢٦.

(٢) فضائل الصحابة للإمام أحمد ١ /٥٧، وصححه المحقق، كما أخرجه الحاكم، وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ٣ /٢٩٨.

الباب الرابع

مطاعن الدائرة الأخرى

في العقـــــيدة الإســـــلامية

الفصل الأول: الملائكة الكرام في دائرة المعارف الإسلامية.

الفصل الثاني: اليوم الآخر في دائرة المعارف الإسلامية.

الفصل الثالث: طعن الدائرة في الشريعة الإسلامية.

الفصل الرابع: طعن الدائرة في أئمة أهل السنة.

الفصل الخامس: تمجيد الدائرة لأئمة الضلال والبدع.

الفصل الأول

الملائكة الكرام
في دائرة المعارف الإسلامية

المبحث الأول: الملائكة في القرآن والسنة.

المبحث الثاني: الملائكة في دائرة المعارف الإسلامية.

المبحث الأول

الملائكة في القرآن والسنة

أهمية الإيمان بهم:

الإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان الستة، لذا جاء في الكتاب والسنة النصوص الكثيرة في أهمية الإيمان بالملائكة، وكفر جاحدهم، كما نجد في النصوص قرن الإيمان بهم بالإيمان بالله عز وجل.

ومن تلك النصوص:

قول الله عز وجل: ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ...** ﴾[1].

وقوله سبحانه: ﴿ **وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً** ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿ **وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ** ﴾[3].

---

(١) البقرة ٢٨٥.

(٢) النساء ١٣٦.

(٣) البقرة ١٧٧.

كما جاء في السنة الصحيحة عن النبي ﷺ لما سُئل عن الإيمان قال: (الإيمان: أن تؤمن بالله و ملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر)[1].

والإيمان بالملائكة يتضمن إيماناً إجمالياً بوجودهم وخضوعهم لله، وإيماناً تفصيلياً بحسب ما يعلمه المؤمن من الكتاب والسنة فيما يتعلق بهم.

أسماء الملائكة وعددهم:

ورد ذكر أسماء بعض الملائكة في القرآن والسنة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿**مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ**﴾[2].

وجبريل مكلف بالوحي: ﴿**قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ...**﴾[3].

وميكال مكلف بالأرزاق كما جاء في بعض الأحاديث.

كما جاء ذكر خازن النار: ﴿**وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ...**﴾[4].

---

(١) البخاري الإيمان ٣٧، مسلم الإيمان ١.

(٢) البقرة ٩٨.

(٣) البقرة ٩٧.

(٤) الزخرف ٧٧.

وهاروت وماروت، وهما ملكان ابتلاهما الله عز وجل، فأنزلهما الأرض: ﴿ ..وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ.. ﴾[1].

وجاء ذكر إسرافيل في السنة الصحيحة – وهو نافخ الصور كما جاء في بعض الأحاديث – في دعاء النبي ﷺ: (اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل...)[2].

وهم من الكثرة بحيث لا يحصيهم إلا الله، فقد جاء في الحديث في البيت المعمور في السماء أنه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه مرة أخرى[3].

كما جاء: (أطّت السماء ويحق لها أن تئط، والذي نفس محمد بيده، ما فيها موضع شبر إلا وفيه جبهة ملك ساجد يسبح الله بحمده)[4].

---

(١) البقرة ١٠٢.

(٢) مسلم، صلاة المسافرين ٢٠٠.

(٣) البخاري بدء الخلق ٧، التوحيد ٣٧، مسلم الإيمان ١٦٢.

(٤) ابن مردويه وصححه الألباني في صحيح الجامع ١٠٣١، وأخرجه الطحاوي بمعناه في مشكل الآثار ٢/٤٣، دار صادر، بيروت، موافق لطبعة حيدر آباد ١٣٣٣هـ وصححه الألباني في السلسلة ٨٥٢.

خلق الملائكة وصفاتهم:

خلق الله الملائكة من نور كما جاء في الحديث: (خُلقت الملائكة من نور)[1].

وأن بعضهم عظيم الخلق كما ورد أن أحد حملة العرش بين شحمة أذنه وعاتقه مسيرة سبعمائة عام[2].

وأن لهم أجنحة: ﴿ ... جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ... ﴾[3].

ومنهم الغلاظ الشداد: ﴿ .. عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ .. ﴾[4]، وهم مع ذلك خاضعون لله منفذون لأمره؛ إذ هُم مجبولون على طاعة الله: ﴿ ... لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[5].

---

(١) مسلم الزهد ٦٠.

(٢) أبو داود السنة ١٩ ح ٤٧٢٧، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٨٦٦، وأخرجه الطبراني بمعنى مقارب في المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد الطبراني ٢/ ٤٣٥ ح ١٧٣٠، تحقيق محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

(٣) فاطر ١.

(٤) التحريم ٦.

(٥) التحريم ٦.

أعمال الملائكة:

هذه بعض أعمال الملائكة التي ينفذونها بأمر الله:

- نزولهم بالوحي علي رسل الله - عليهم السلام - ﴿ **يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ...** ﴾[1]، وقد اختص بذلك جبريل عليه السلام، وهو من أشرف الملائكة قال سبحانه عن القرآن: ﴿ **نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ (193) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ** ﴾[2].

- إرسالهم إلى الأنبياء لمواساتهم ولتعذيب المكذبين بهم، كما جاءوا إلى إبراهيم ليعذبوا قوم لوط: ﴿ **قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (31) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ (32) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ (33) مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ** ﴾[3].

- قبض الأرواح، وموكل به ملك الموت - جاء في بعض الآثار أنه عزرائيل -: ﴿ **قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ...** ﴾[4].

- المقاتلة مع المؤمنين كما في بدر: ﴿ **...أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاثَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُنزَلِينَ** ﴾[5].

---

(1) النحل 2.

(2) الشعراء 193 - 195.

(3) الذاريات 31 - 34.

(4) السجدة 11.

(5) آل عمران 124.

- حمل عرش الرحمن: ﴿ ...وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾(1).

- كتابة أعمال العباد: ﴿ كِرَامًا كَاتِبِينَ (11) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾(2).

- ومنهم خزنة الجنة والنار: ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (23) سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ﴾(3)، ﴿ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ (29) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (30) وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلائِكَةً ﴾(4).

- تثبيت المؤمنين والدعاء لهم، وتبشيرهم بالجنة عند قبض الروح: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾(5)، ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ... ﴾(6).

---

(1) الحاقة 17.

(2) الانفطار 11 - 12.

(3) الرعد 23 - 24.

(4) المدثر 29 - 31.

(5) فصلت 30.

(6) آل عمران 45.

تصحيح القرآن لاعتقاد المشركين في الملائكة:

إن الملائكة على عبادتهم لله وخضوعهم له وقربهم منه، وتنفيذهم لأمره سبحانه، فإنهم لا يعدون أن يكونوا عباداً لله فلا يُدعون ولا يُصرف لهم شيء من العبادة؛ إذ أن العبادة حق الله وحده، وقد جاء القرآن بتصحيح ما فسد من اعتقاد في الملائكة، ومن ذلك صرف شيء من العبودية لهم: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[1].

ومن ذلك وصفهم بالإناث: ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾[2].

كما حكى القرآن في آيات عديدة[3] تكبر المكذّبين واحتجاجهم بأنه لا بد من نزول الملائكة لإقامة الحجة عليهم؛ لأن الرسل بشر مثلهم، كما قال سبحانه: ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴾[4].

فرد الله عليهم مبيناً أن الرسول يجب أن يكون من جنس المرسَل لهم: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴾[5].

---

(١) آل عمران ٨٠. (٢) الزخرف ١٩.

(٣) من ذلك الأنعام ٨، هود ١٢، الحجر ٧، الإسراء ٩٢، الفرقان ٧، ٢١، المؤمنون ٢٤، فصلت ١٤، الزخرف ٥٣.

(٤) الإسراء ٩٤. (٥) الإسراء ٩٥.

المبحث الثاني

الملائكة في دائرة المعارف الإسلامية

المطلب الأول: التشويش في العرض وذكر الخرافات:

جاء في الدائرة في المواد المتعلقة بالملائكة عرض مشوش يشتت القارئ، وممتلئ بالخرافات التي لا صلة لها بالإسلام، مع تركه أكثر ما في الكتاب والسنة من حقائق متعلقة بالملائكة.

ومما جاء في ذلك:

في مادة «إسرافيل» عرض مشوش حيث تبدأ المادة بمحاولة رد الاسم إلى الاسم العبراني «سرافين»، ثم وصف عجيب لهذا الملك لا يتفق مع القرآن والسنة، ومن ذلك قوله: (وله أربعة أجنحة أحدها في المغرب، والثاني في المشرق، وواحد يغطي جسده، وواحد يتقي به جلال الله، وجسمه مغطى بالشعر والأفواه والألسنة)، ثم ينتقل إلى أفعاله ووظائفه فيقول: (وهو يعتبر الملك الذي يقر قضاء الله من اللوح المحفوظ ويبلغه الملك الموكل به من رؤساء الملائكة، وهو ينظر إلى جهنم ثلاث مرات في النهار ومثلها في الليل، ويزعج من الأسى، ويبكي بكاءً مراً حتى لتغمر دموعه الأرض، وقد صحب النبي ﷺ ثلاثة أعوام وبلّغه الرسالة، ثم قام جبريل مقامه بهذا الأمر، وأخذ ينزل إليه بالقرآن)، ثم ذكر خرافة لقياه بالإسكندر، ونفخه بالصور ثم ختم

المقال بقوله: (ويُروى في مصر الحديثة أن موسيقاه ستطرب سكان الجنة)، ولم يرجع فيما ذكره إلى القرآن الكريم أو شيء من كتب السنة أو التفسير، وإنما رجع في ذلك كله إلى سبعة مراجع هي: تاريخ الطبري، والدرة الفاخرة للغزالي، وعجائب الموت للكسائي، وأربعة مراجع أجنبية للمستشرقين[1].

وفي مادة جبريل يتكرر نفس الأمر إذ يستقي من كتب العجائب كثيراً من القصص التي لم تثبت، فجبريل واسى آدم عند خروجه من الجنة، وعلمه الزراعة، وهو الذي علم نوحاً بناء الفلك، وهو الذي أعان موسى على السحرة... إلى آخر ذلك، بل وصل الأمر إلى أن ينسب للقرآن ما ليس فيه كقوله عن جبريل: (إنه حفظ إبراهيم من النار [الأنبياء ٦٩])[2].

كما جاء في الدائرة: (أما محمد فإن رأيه واضح في هذه الأمور: فإنه إلى جانب قوله بوجود الله يقول بوجود الملائكة ووجود الجن مع الشيطان، وأن الشياطين كانت على صلة بالجن والملائكة)[3].

قلت: الملائكة وأحوالهم عالم غيبي لا نعرف عنهم إلا ما جاء في الوحي، وأكثر ما ذكره هؤلاء من أخبار لا صلة للكتاب والسنة بها، وكان من المفترض على دائرة المعارف الإسلامية أن تكون مصادرها في

---

(١) الدائرة ٣/ ٢٩٥، إسرافيل، فنسنك.

(٢) الدائرة ١١/ ٦٢، جبرائيل، كارده فو.

(٣) الدائرة ٤/ ٢٤٥، مادة (الله)، ماكدونالد.

مثل هذه الأمور الغيبية كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، أما أن تذكر تلك القصص على أنها اعتقاد المسلمين في الملائكة فهذا غير مقبول إطلاقاً، حتى لو ذكرت في بعض الكتب التاريخية التي تذكر كل غث وسمين.

أما الصلة التي أثبتها في اعتقاد النبي ﷺ بين الشيطان والملائكة، فالكلام ليس صحيحاً بهذه الصورة، فالملائكة مطيعة لله عز وجل، بينما الشيطان ضال مضل، عليه غضب الله ولعنته.

وربما أراد أن الصلة هي كون إبليس مع الملائكة قبل معصيته، فهذا صحيح ولكن التعبير الذي ذكره لا يؤدي هذا المعني، إذ أن التعبير موهم أن الصلة باقية، كماأن إبليس قبل معصيته لم يكن شيطاناً، بل كان مطيعاً لله، فلما عصى أُبعد وأُنزل الأرض.

وكما أنه نسب لاعتقاد النبي ﷺ ما ليس منه؛ فإنه أيضاً ينسب للقرآن ما ليس فيه، فالآية التي أشار إليها في سورة الأنبياء: ﴿ **قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ** ﴾[1] ليس فيها مايدل على أن جبريل حفظ إبراهيم من النار، حتى إنني لم أجد ذلك فيما بحثت فيه من كتب السنة أو التفاسير المعتمدة، بل غاية ما وجدت عن بعض السلف: «أن جبريل عرض لإبراهيم، فقال: ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا، وأما من الله فبلى»[2]، وعند القرطبي «أن جبريل قال حينئذ: فاسأل ربك. فقال: حسبي من سؤالي علمه بحالي، فقال الله

---

(١) الأنبياء ٦٩.

(٢) تفسير ابن كثير ٣ / ١٨٤، تفسير الأنبياء ٦٩.

تعالى: ﴿ يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [1]»[2].

وهذا الحوار بين جبريل وإبراهيم ليس مختصاً بجبريل فقد روي مثله مع الملائكة آخرين كخُزَّان الماء وملك الريح[3].

كما جاء في الدائرة ذكر ما يفعله بعض المسلمين الجهلة من الخرافات والشرك دون بيان مخالفة ذلك للإسلام؛ بل يُوهم القارئ أن جميع المسلمين يفعلونه، وأنه جزء من عقيدتهم حيث جاء فيها: (ولجبريل شأن هام في إعداد التعاويذ والتمائم، فاسمه يكتب كثيراً على هوامش المربعات السحرية مع أسماء الملائكة الكبار الآخرين: ميكائيل وعزرائيل وإسرافيل)[4].

وقد سبق الرد على هذا[5]، وملخصه أن تلك الخرافات وإن فعلها من يُتسمون بالإسلام؛ إلا أنها ليست من الإسلام في شيء، ولم يأت ما يشهد لها في الكتاب والسنة؛ بل هي مناقضة لهما.

ومن المفارقات أن الدائرة تختصر الكلام في مواضع كثيرة، فلم يأت فيها الكثير من الحقائق الواردة في الكتاب والسنة المتعلقة بالملائكة كبعض صفاتهم وأعمالهم وخضوعهم لله، مع إتيانها

---

(١) الأنبياء ٦٩.

(٢) الجامع للقرطبي ١١/٣٠٣ - ٣٠٤، تفسير الأنبياء ٦٩.

(٣) الجامع للقرطبي ١١/٣٠٣.

(٤) الدائرة ١١/٦٢، جبريل، كارده فو.

(٥) انظر ص ١٩٨ - ٢٠٠.

بخرافات كثيرة تغطي في مساحتها في الدائرة على ما ثبت من حقائق.

إن المنهج السليم في عرض المادة: أن يُذكر ما في الكتاب والسنة من حقائق عن الملائكة لأنهما المصدران الوحيدان لعقائد المسلمين، ويترك ما سوى ذلك من القصص والخرافات التي ليس لها مستند؛ أما أن يُفعل العكس فتذكر تلك الخرافات التي لم يسمع بها أكثر المسلمين، وليست في الكتاب والسنة، وتترك الأخبار الصحيحة عن الملائكة، فإن ذلك ليس من المنهج العلمي في شيء.

المطلب الثاني: ادعاء بأن ما يتعلق بالملائكة في العقيدة الإسلامية مُستقى من أهل الكتاب وغيرهم:

ورد في الدائرة محاولة رد ما جاء في الكتاب والسنة عن الملائكة إلى الأمم السابقة وذلك للطعن في نبوته ﷺ، ومن ذلك:

- الاستدلال بالتشابه في أعداد الملائكة على استقاء النبي ﷺ من السامرة: (ويصح لنا أن نذكر أيضاً ذلك التناظر العجيب ألا وهو: أن محمداً والسامرة إنما يقولون في الواقع بملائكة أربعة تتكون منهم طبقة الأرواح العلوية والفريقان يختلفان بعض الاختلاف في أسماء هؤلاء الملائكة «يتفقان في جبريل» ولكنهما يلتقيان في أن عددهم أربعة)[1].

---

(١) الدائرة الأولى ١١/٩٣، السامرة، كاستر.

- وفي مادة جبريل: (ولجبريل شأن هام في القرآن. وقد اصطنع النبي القصة التي تقول بأن هذا الرسول السماوي يتحدث إلى الأنبياء، وأعتقد أنه تلقى رسالته ووحيه منه)[١].

وقد توصل الكاتب إلى أن النبي ﷺ لم يسم جبريل باسمه إلا في آيات متأخرة، بينما كان يصفه قبل ذلك بصفات مثل: الروح القدس والرسول الكريم، ويزعم أن النبي ﷺ لم يكن صادقاً في لقياه لجبريل، وأن النبي ﷺ عرف جبريل من الإنجيل (ومن أفواه بعض الفلاسفة أو الباحثين في الأديان أو من أحد الحنفية، وقد وصلهم هذا الخبر مشوهاً)[٢].

قلت: سبق الرد الإجمالي في مبحث خاص، ومما يفيد إعادته: أن مجرد التشابه لا يدل على الاستقاء مطلقاً حيث إن تلك الحقائق عن الملائكة واحدة، وأن الرسل لا بد أن يتفقوا فيها[٣].

ثم إن النبي ﷺ لم يجعل الملائكة أربعة حيث جاء ذكر خمسة منهم بأسمائهم في القرآن، وهم: جبريل وميكائيل ومالك وهاروت وماروت، كما جاء ملك الموت، والكرام الكاتبون، والحفظة، وحملة العرش، وخزنة الجنة والنار بصفاتهم، وجاء في السنة بالإضافة لجبريل

---

(١) الدائرة ١١/ ٦٠، جبرائيل، كارده فو.
(٢) الدائرة ١١/ ٦١ - ٦٢، جبرائيل، كارده فو.
(٣) انظر ص ٤١٥ - ٤٢٣.

وميكائيل ذكر إسرافيل[1]، وملك الجبال[2]. وغيرهم.

وإذا كان هذا التشابه دالاً على الاستقاء فالكاتب مُلزم بأن يُقر بأن المسيح عليه السلام استقى اسم جبريل من السامرة حيث ورد جبريل باسمه في الإنجيل[3]، وهذه الدعوى من باب أولى صحتها في عيسى لقرب الزمان والمكان.

ولكننا كمسلمين نقر برسالة عيسى وصدقه كما نقول ذلك في محمد ﷺ.

وزعمه باصطناع النبي ﷺ قصة جبريل، دعوى مجردة سبق الرد عليها[4].

وقوله: إن النبي ﷺ لم يسم جبريل باسمه إلا في آيات متأخرة، يريد به أن النبي ﷺ لم يعرف اسمه إلا متاخراً من أولئك الذين استقى منهم كما زعم، بينما لم يرد اسم جبريل أصلاً إلا في موضعين في القرآن[5]، وجاء ذكْره في أحاديث صحيحة قبل الهجرة حيث ورد في حديث الإسراء المشهور في الصحيحين[6].

---

(١) مسلم صلاة المسافرين ٢٠٠.

(٢) البخاري بدء الخلق ٧.

(٣) لوقا ١/١٩.

(٤) انظر ص ٤٩٦.

(٥) البقرة ٩٧ – ٩٨، التحريم ٤.

(٦) البخاري التوحيد ٣٧، مسلم الإيمان ١٦٢.

أما التكذيب بقصة الغار فهو تكذيب لما ثبت بالأسانيد الصحيحة، والقصة ثابتة في الصحيحين(1).

وأما ما زعمه من معرفة النبي ﷺ لجبريل من بعض الفلاسفة أو الباحثين في الأديان، فهو اتهام بغير دليل، وقد تقدم الجواب عنه(2).

المطلب الثالث: التشكيك في شرك الجاهليين بالملائكة:

جاء في الدائرة في ذكر عقيدة الجاهليين في الملائكة: (ولسنا نعلم علم اليقين هل كانت قد وجدت لديهم فكرة عن الملائكة، أو أنهم جعلوهم شركاء لله، وربما كان هذا تفسيراً من عند محمد [الأنعام ١٠٠، الطور ٢٨])(3).

قلت: الآية التي أشار إليها في سورة الأنعام هي قوله تعالى: ﴿ **وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ** ﴾(4) تشير إلى أنهم عبدوا الجن وليس الملائكة.

أما آية الطور فلا تتعلق بهذا الموضع البتة وهي قوله سبحانه في ذكر قول أهل الجنة: ﴿ **إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ** ﴾(5)، والآية المذكورة في الطور التي ربما عناها هي قوله سبحانه مخاطباً

(١) البخاري بدء الوحي ١، مسلم الإيمان ١٦٠.

(٢) انظر ص٤٢٣ – ٤٣٤.

(٣) الدائرة ٤/٢٤٥، مادة (الله)، ماكدونالد.

(٤) الأنعام ١٠٠.

(٥) الطور ٢٨.

المشركين: ﴿ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴾[1]، وليس فيها ما يدل على مراده صراحة، ولو أنه ذكر الآية الأخرى في سورة الزخرف، وهي قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ (١٩) وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُم مَّا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ ﴾[2] لكان أصح.

وما ذكر في القرآن هو واقع الجاهليين، وليس تفسيراً من النبي ﷺ. وما يذكره القرآن عن الجاهلية حجة يجب الأخذ به للمسلم والكافر؛ إذ لو ذُكِرَ شيء مخالف للواقع لاحتج به المشركون على بطلان القرآن، ولاشتهر واستفاض؛ والنبي ﷺ من أعقل الناس، ولو كان الأمر من عند نفسه لما جاء بما يخالف الواقع المعلوم؛ إذ هو في غنى عن ذلك، ولظهر كذبه عن موافقة ومخالفة.

* * *

(١) الطور ٣٩.

(٢) الزخرف ١٩ - ٢٠.

الفصل الثاني

اليوم الآخر
في دائرة المعارف الإسلامية

المبحث الأول: نظرة عامة لما في الدائرة.

المبحث الثاني: اليوم الآخر في القرآن والسنة.

المبحث الثالث: الزعم بنقل النبي ﷺ لحقائق اليوم الآخر من الكتب السابقة.

المبحث الرابع: الزعم بتأليف النبي ﷺ لحقائق اليوم الآخر.

المبحث الخامس: التكذيب بحقائق اليوم الآخر.

المبحث السادس: ترويج الخيالات المخالفة لعقيدة اليوم الآخر.

المبحث السابع: مطاعن متفرقة.

المبحث الأول

نظرة عامة لما في الدائرة

عند استقراء الدائرة لمعرفة ما يتعلق باليوم الآخر ومقدماته، فإننا سنجد ذلك في عدة مواد، وهي: «بعث، جهنم، جزاء، الجنة، حساب، الحوض، الدجال»، وجميع تلك الكتابات مشوشة وغير منصفة، وهذا عرض ملخص لها:

- في مادة **البعث** بدأ المستشرق بذكر آراء المعتزلة ثم الفلاسفة ثم مخالفة أهل السنة لهم، ثم ذكر بعد ذلك الايات القرآنية المتعلقة بالبعث، ثم أتى بعد ذلك باختلاط الأفكار كما سماها في النهاية[1].

- في مادة **جهنم** بدأ المستشرق بذكر أصل الكلمة وزعم أنها مشتقة من اللفظ العبري، وأن النبي ﷺ أخذ ذلك من اليهود حيث لم تكن لديه صورة محددة عن جهنم، ثم قام بسرد الأساطير والخرافات التي يعتقدها بعض الناس في صفة جهنم، ويدعي أن صفتها في القرآن على هيئة حيوان، ثم يذكر بعض ما ورد في صفاتها، ويعلل قلة ذلك بأن النبي ﷺ لم تكن لديه إلا فكرة أولية عنها، ثم يلمز بأن تصويره لها مادي مسرف، وهذا ما لم يرض به بعض المفكرين المسلمين

---

(١) الدائرة ٧/٣٤٣ - ٣٤٥، البعث، تريتون.

كالغزالي، ثم يسوق بعض الشبهات في تردد القرآن في مسألة الخلود في جهنم، ويعلل ذلك بأن النبي ﷺ لم يكن من المفكرين الفلاسفة؛ لذا لم يستطع شرح المسألة بوضوح، ثم في النهاية يسوق رأي المعتزلة وردود الأشعري عليهم؛ وكل هذه الأباطيل جمعها في أقل من ثلاث صفحات(٢).

إن مصنفات أهل السنة في ذكر جهنم وصفتها وعذاب أهلها وأوصافهم من الكتاب والسنة واضحة جليلة، وكان بإمكان كاتب المادة الأخذ منها دون حاجة لسرد تلك الأساطير والخرافات.

– في مادة **الجزاء** عرض لم يأت الكاتب فيه على ما في القرآن والسنة بتاتاً، وإنما ذكر مذاهب المنحرفين من المعتزلة والخوارج وغيرهم، فنجده يشرح الصلاح والأصلح، واختلافهم فيها، ويأتي بأقوال ابن كرَّام والجاحظ وبشر بن المعتمر والنَّظام والكعبي، ولا نجد أي إشارة لمذهب أهل السنة أو ذكراً لكلام أحد علمائهم مطلقاً(١).

والصحيح أن يأتي بما دل عليه القرآن والسنة أولاً، ثم يأتي برأي السلف وخلافات المتكلمين إن كان لابد منها.

– جاء في مادة **الجنة** وصف لبعض ما فيها للدلالة على أنها مادية حسية، ثم الادعاء أن النبي ﷺ استقى من أهل الكتاب مع الخطأ في النقل ثم عرج على سورة الرحمن التي قال: إنها صيغت على شكل

(٢) الدائرة ١٣ / ٤ – ٧، جهنم، كارده فو.

(١) الدائرة ١١ / ٣٠٥ – ٣٠٦، الجزاء، تريتون.

أنشودة، وحاول التشكيك بنبوة النبي ﷺ ببعض آياتها التي لا علاقة للجنة بها، ثم يسرد الأساطير في وصف الجنة، ثم يعرض الخلاف في رؤية الرب سبحانه وتعالى(١).

- تضمنت مادة **الحساب** سرداً سامجاً لألفاظ الحساب التي وردت في القرآن دون ذكر لما تحمله تلك الألفاظ من معان، وأشار إلى مشابهة ذلك لما في الإيرانية واليهودية والنصرانية، ثم ذكر الخلافات الكلامية بين السلف والأشاعرة والمعتزلة في هذه المادة، وتفصيل أوسع لمذهب المعتزلة(٢).

- جاء في مادة **الحوض**: سرد لصفات حوض النبي ﷺ كما وردت في السنة، مع إثارة التشابه بين ما في السنة والكتاب المقدس عند النصارى مما يجعله يجزم بالنقل منه، كما يثير بعض الشكوك، كدعواه أن الكوثر لم يصبح نهراً من أنهار الجنة إلا في عهد متأخر، وكثرة الخلاف في صفات الحوض مما جعلها تظهر كفكرة حوضين(٣).

- في مادة **الدجال** يكتفي بتعريفه بأنه المسيح الدجال عند المسلمين، وأن الكلمة لم ترد في القرآن، ويشكك باستعارتها من الآرامية، ثم يعرض التشابه بين ما ورد في السنة، وما ورد في النصرانية

---

(١) الدائرة ١٢/٤١٦، الجنة، كارده فو.
(٢) الدائرة ١٤/٢٦١ - ٢٦٤، حساب، كارديه.
(٣) الدائرة ١٦/١٧٩ - ١٨٠، الحوض، فنسنك.

من صفاته[٢].

وما جاء في الدائرة عن اليوم الآخر ينقسم إلى ستة أقسام:

الأول: ما جاء موافقاً للقرآن الكريم والسنة النبوية.

الثاني: ما جاء كذلك، ولكن مع الزعم أنه أُخذ من أهل الكتاب.

الثالث: التكذيب ببعض ما صح في الكتاب والسنة.

الرابع: إضافة أساطير وخيالات مكذوبة.

الخامس: الطعن في عقيدة اليوم الآخر.

السادس: ذكر الخلافات الكلامية.

أما ما جاء موافقاً للقرآن والسنة في الدائرة فلا يستفاد منه لسوء عرضه، والتخليط والطعن فيه، وسأتناول تلك الافتراءات بالتفصيل، ولكن أرى قبل ذلك أنه من الواجب ذكر ملخص لما دل عليه الكتاب والسنة عن اليوم الآخر، وهو حل عملي لما يجب أن يكون في الدائرة، بدلاً مما هو فيها.

---

(٢) الدائرة الأولى ٩ / ١٤٦ - ١٤٨، الدجال، فنسنك.

المبحث الثاني

اليوم الآخر في القرآن والسنة

الإيمان باليوم الآخر يتضمن الإيمان بالساعة وأشراطها وما بعد الموت مما جاء في الكتاب والسنة، وهو أحد أركان الإيمان الستة التي سبقت الأدلة العامة على أهميتها[1].

وقد جاء التأكيد عليه في القرآن والسنة لأهميته، ولما في الإيمان به من الباعث على الإيمان والأعمال الصالحة، ولوجود من ينكره قديماً وحديثاً، فجاء تأكيده في النصوص الشرعية وإقامة الأدلة العقلية عليه.

وقد تكرر ذكر يوم القيامة كثيراً جداً في القرآن؛ وذلك لأهميته الشديدة فقد جاء بأسمائه المختلفة المتضمنة لصفاته المتعددة كاليوم الآخر ويوم الحساب ويوم البعث ويوم الدين ويوم التغابن ويوم الفصل ويوم الجمع ويوم الخروج ويوم التلاق ويوم الآزفة والساعة والقارعة والطامة الكبرى والصاخة والواقعة، مئات المرات في عشرات السور.

---

(١) انظر ص ٦٩٦.

الإيمان بأشراط الساعة:

أخفى الله تعالى علم الساعة عمن سواه، واختص بعلمها وحده، قال سبحانه: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ...** ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ...** ﴾[2].

وأما أشراط الساعة وهي علاماتها ومقدماتها فقد جاءت في القرآن والسنة، وهي كثيرة، وساقتصر على ذكر بعضها، ومن ذلك: طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدجال، ودابة الأرض، وهذه الثلاث من الآيات الكبرى التي لا ينفع العمل بعد ظهورها، لقوله ﷺ: (ثلاث إذا خرجن، لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيراً: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض)[3].

وهذا الحديث مبيِّن لقوله تعالى: ﴿ **هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا...** ﴾[4].

---

(١) الأعراف ١٨٧.

(٢) لقمان ٣٤.

(٣) مسلم الإيمان ١٥٨.

(٤) الأنعام ١٥٨.

ومنها: نزول المسيح عيسى ابن مريم، كما قال ﷺ: (والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً. فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويغيض المال حتى لا يقبله أحد)[1].

وقال سبحانه في المسيح - عليه السلام -: ﴿ **وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا...** ﴾[2].

قال ابن عباس - رضي الله عنه -: «هو خروج عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام قبل يوم القيامة»[3].

قال ابن كثير: «تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه أخبر بنزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة إماماً عادلاً، وحكماً قسطاً»[4].

ومنها ظهور المهدي في آخر الزمان، وهو من بيت النبي ﷺ فيملأ الأرض عدلاً بعد أن مُلئت جوراً[5]، وقد استفاضت الأحاديث في ذلك إلى حد التواتر[6].

---

(١) البخاري البيوع ١٠٢، مسلم الإيمان ٢٤٢.

(٢) الزخرف ٦١.

(٣) تفسير ابن كثير ٤/١٣٢، تفسير الزخرف ٦١.

(٤) تفسير ابن كثير ٤/١٣٢، تفسير الزخرف ٦١.

(٥) رواه أحمد ٣/١٧، ٣٦، وأبو داود مهدي ١، والترمذي فتن ٥٢، وابن ماجه جهاد ١١، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٣/٨٠٨ برقم ٣٦٠٢ - ٣٦٠٤.

(٦) الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة، السيد محمد صديق حسن القنوجي البخاري ١١٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٨٢م.

ومن أشراط الساعة الأخرى ما ثبت في صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: (إن الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف في جزيرة العرب، والدخان، والدجال، ودابة الأرض، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، ونار تخرج من قعرة عدن تُرحّل الناس، وفي العاشرة ذكر نزول عيسى ابن مريم ﷺ)[1].

الإيمان بعذاب القبر ونعيمه:

ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالموت وما بعده من عذاب القبر ونعيمه،وهو برزخ وفاصل بين الدنيا والآخرة، يقول سبحانه: **﴿...وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾**[2].

وقال سبحانه عن آل فرعون: **﴿...وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (٤٥) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (٤٦)﴾**[3].

فأثبت عذاباً بعد قيام الساعة وعذاباً آخر بين الموت وقيام الساعة.

---

(١) مسلم الفتن ٤٠.

(٢) الأنعام ٩٣.

(٣) غافر ٤٥ - ٤٦.

وقال سبحانه عن المنافقين: ﴿ ...سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾[1].

قال ابن عباس وغيره من السلف عن قوله سبحانه: ﴿سنعذبهم مرتين﴾: إن المراد بذلك عذاب الدنيا وعذاب القبر[2].

وقد بلغت نصوص السنة في إثبات عذاب القبر حد التواتر[3].

ومن ذلك ما ثبت في الصحيحين عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: (العبد إذا وضع في قبره وتولى وذهب أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فأقعداه فيقولان له: ما تقول في هذا الرجل محمد ﷺ؟ فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله. فيقال: انظر إلى مقعدك من النار، أبدلك الله به مقعداً من الجنة. قال النبي ﷺ: فيراهما جميعاً. وأما الكافر أو المنافق فيقول: لا أدري، كنت، أقول ما يقول الناس. فيقال: لا دريت، ولا تليت. ثم يُضرب بمطرقة من حديد ضربةً بين أذنيه، فيصيح صيحةً يسمعها من يليه إلا الثقلين)[4].

---

(١) التوبة ١٠١.

(٢) تفسير ابن كثير ٢/٣٨٥، الجامع ٨/ ٢٤١. المطبعة السلفية ومكتبتها، دطت.

(٣) معارج القبول في شرح سلم الوصول، حافظ الحكمي ٢/١٤٢، المطبعة السلفية ومكتبتها، دطت. وساق روايات أكثر من ثلاثين صحابياً، منها عشرون رواية في الصحيحين أو في أحدهما ٢/١٤٢ – ١٧٠.

(٤) البخاري الجنائز ٦٧واللفظ له، مسلم الجنة ٧٠.

الإيمان بيوم القيامة وما فيه من أهوال:

تبدأ أهوال يوم القيامة بالنفخ في الصور حيث ينفخ فيه الملك المُوكل به على الوجه الذي ذكره سبحانه: ﴿ **وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ** ﴾[1].

ويبعث العباد من قبورهم كما جاء ذلك في قوله سبحانه: ﴿ **يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا** ﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿ ... **وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا** ﴾[3].

الأدلة العقلية في القرآن الكريم على البعث:

أقام الله عز وجل لمنكري البعث الأدلة العقلية عليه من وجوه متعددة، ومن ذلك:

١ - الاستدلال بالخلق على الإعادة: ﴿ **أَوَلَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (٧٧) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ** ﴾[4]، وقال سبحانه: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ** ... ﴾[5].

---

(١) الزمر ٦٨. (٢) طه ١٠٢.
(٣) الكهف ٤٧.
(٤) يس ٧٧ - ٧٩.
(٥) الحج ٥.

٢ ــ الاستدلال بأن القادر على إيجاد الشيء من نقيضه قادر من باب أولى على إيجاده من أصله وذلك في سياق تقرير البعث في تكملة الآيات السابقة: ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾[١].

٣ ــ الاستدلال بخلق الكبير على خلق الصغير: ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ ﴾[٢].

٤ ــ بيان أن الله سبحانه لا يعجزه شيء وأن أمره نافذ بكلمة كن: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾[٣].

٥ ــ الاستدلال بإحياء الأرض الميتة علي إحياء الموتى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[٤].

٦ ــ الاستدلال بصحة القرآن والرسالة وقيام الأدلة على كونهما حق من عند الله على صحة البعث: ﴿ ... فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ (٢) أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ (٣) قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ (٤) بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴾[٥].

---

(١) يس ٨٠.
(٢) يس ٨١.
(٣) يس ٨٢.
(٤) فصلت ٣٩.
(٥) سورة ق ٢ ــ ٥.

٧ – ليس هناك ما يصعب أو يشق على الله تعالى إذ لا يقاس بالعباد، بل الكل يسير عليه سبحانه: ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾(١).

٨ – الاستدلال بالإحياء بعد المنام على البعث بعد الممات كما قال سبحانه: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٢) وقوله سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(٣).

مشاهد يوم القيامة:

يشاهد الناس أهوال يوم القيامة العظيمة التي منها الزلزلة: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ...﴾(٤).

وما ذكره الله في قوله سبحانه: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١) وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ (٢) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (٤) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (٥) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (٦) وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (٧) وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ (٩) وَإِذَا

---

(١) لقمان ٢٨. (٢) الزمر ٤٢.
(٣) الأنعام ٦٠. (٤) الحج ١ – ٢.

الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾[١]، إلى آخر ما جاء في الكتاب عن أهوال ذلك اليوم وما يصيب الناس فيه من رعب وخوف[٢].

ثم تُقام الموازين ويُقضى بين العباد يقول سبحانه: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ...﴾[٣].

ويقول سبحانه عن ذلك اليوم العظيم، وسرعة حساب الله للبشر: ﴿فَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[٤].

ومن نُوقش الحساب يوم القيامة عُذب كما ثبت ذلك في السنة[٥]. إلا أن يتغمد الله من يشاء برحمته.

وأخيراً يمر الناس جميعهم على الصراط وهو جسر منصوب فوق

---

(١) التكوير ١ -١٤ كلها عن أهوال يوم القيامة.

(٢) انظر الآيات الانفطار ١ - ٤، الزلزلة ١ - ٥، القارعة ١ - ٥.

(٣) الأنبياء ٤٧.

(٤) إبراهيم ٤٧ - ٥١.

(٥) البخاري علم ٣٥، مسلم جنة ٧٩.

جهنم كما قال النبي ﷺ : (ويضرب الصراط بين ظهري جهنم)[1]، وهذا معنى قوله سبحانه : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾[2].

الإيمان بالجنة والنار:

ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالجنة دار المتقين، وما فيها من نعيم، والنار دار الكافرين وما فيها من عذاب، والنصوص في الكتاب والسنة في ذلك أكثر من أن تحصر. منها قوله سبحانه: ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨١) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[3].

ويدخل النار بعض عصاة الموحدين ما شاء الله ثم يدخلون الجنة، ولا يخلد في النار إلا أهل الشرك كما دلت على ذلك السنة، ومنها قول النبي ﷺ : (حتى إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار، أمر الملائكة أن يُخرجوا من كان يعبد الله)[4].

---

(١) البخاري الأذان ١٢٩، مسلم إيمان ١٨٢.

(٢) مريم ٧١.

(٣) البقرة ٨١ – ٨٢.

(٤) البخاري الأذان ١٢٩، مسلم إيمان ١٨٢.

المبحث الثالث

الزعـم بأن حقائق اليوم الآخـر

منقولة من الكتب السابقة

المطلب الأول: ما جاء في الدجال:

جاء في مادة الدجال: (إن شخصية المسيح الكذاب في المؤلفات النصرانية الأولى تُرد إلى عناصر شتى أهمها - وهو قول يتفق وتصور المسلمين-:

أ - أنه الشيطان بوصفه عدو الله في علم الساعة.

ب - أنه الملك الذي سيظهر في آخر الزمان فيوحد الأمم على بني إسرائيل.

ج - أنه الطاغية الذي سيخرج من قبيلة دان فيجد ملكاً له في بيت المقدس، ويقضي عليه المسيح هو وجنوده)[1].

حيث يستدل على القول الأول بالحديث في صحيح مسلم عند انتصار المسلمين على الروم في آخر الزمان، وفيه قول النبي ﷺ:

---

(١) الدائرة ٩/١٤٦، الدجال، فنستك.

«فبينما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح قد خلفكم في أهليكم، فيخرجون، وذلك باطل»[1].

ويستدل على القول الثاني بالأحاديث الواردة عن خروج الدجال.

وعلى القول الثالث بالأحاديث في ضلال الدجال وطغيانه[2].

ولا شك أن ما ذكره عن الدجال في القولين الأولين لا يتفق مع معتقدات المسلمين، وقد سبق بيان العقيدة الصحيحة في الدجال، والقول الأخير قريب منها.

فليس هو شيطان، وما استدل به من الحديث الشريف على ذلك لا يدل على مراده كما هو واضح من النص أنهما شخصان مختلفان، كما أن الدجال لن يوحد النصارى أو المسلمين، بل هو على النقيض من ذلك؛ حيث سيسبب الفرقة، نظراً لإيمان بعض الناس به، وكفر بعضهم الآخر.

وليس المقياس ما ذكر عند أهل الكتاب، فإذا كان الدجال هو ما عرف عند أهل الكتاب فلم لا يكون التحريف في كتبهم أصلاً، لا في السنة الصحيحة كما اعترف، خاصة أن كتبهم أبعد عهداً، وغير مُسندة، بخلاف ما في الصحاح.

---

(١) مسلم، الفتن ٣٤.

(٢) الدائرة ٩/١٤٦ – ١٤٨، الدجال، فنسنك.

ثم إنه ليس بالضرورة أن يكون هو ما عند أهل الكتاب إذ أن الأوصاف مختلفة.

كما أن الكاتب ادعى أن كونه الشيطان يتفق مع ما عند المسلمين، وهذا غير صحيح؛ ذلك أن الدجال شخصية مختلفة عن الشيطان، والدجال يأتي في آخر الزمان مدعياً الألوهية، ومعه بعض المعجزات، ولكن النبي ﷺ أخبر أن المؤمنين يعرفونه بكتابة «كافر» على جبهته، وهو أعور، وتعالى الله أن يكون كذلك، وأن الله عز وجل لن يُرى قبل الموت.

إن المنهج الصحيح في تقرير تلك المعتقدات أن يُؤتى بما دل عليه القرآن والسنة، من عقائد اليوم الآخر.

المطلب الثاني: ما جاء في الحساب يوم القيامة:

جاء في الدائرة في مادة «حساب» بعد ذكر الآيات المتعلقة به: (ويمكن مقارنة هذه الأحكام الواردة في القرآن الكريم بكثير مما ورد في النواميس القديمة: الإيرانية واليهودية والمسيحية. ذلك أن الحساب ووزن الأعمال كانا معروفين من المزدكية. وتوجد مرادفات تقاربها في اليهودية بعد التوراة، وفي عهد المسيحية الأولى. ثم حدث من بعدُ أن بعض كتب تفسير القرآن الكريم، وبخاصة بعض المصنفات التهذيب العامة، قد اعتمدت في هذا الموضوع على الإسرائيليات أو المسيحيات التي اعتُرِفَ بصراحة أن لها هذه الصفة.

ومهما يكن من أمر فإن كل بيئة دينية قد طورت هذه القاعدة

الخاصة بالآراء في الآخرة وطبقتها تطبيقاً علمياً بما يناسب روح هذه البيئة)[1].

قلت: سبق بيان ما جاء في الكتاب والسنة فيما يتعلق بحساب الله للبشر، ولا شك أن جميع الأنبياء – صلوات الله وسلامه عليهم – قد جاءوا بذلك، فطبيعي أن يكون هناك تشابه، وليس من المنهج العلمي أن يكون ذلك مستنداً على الاستقاء، كما سبق بيانه[2]، ولو صح ذلك لانسحب على ما عند اليهود والنصارى في نفس الباب، إذ أن تلك الحقائق متشابهة عندهم مع كثيرٍ مما سبقهم، ولم يقدح ذلك في نبوة أنبيائهم – صلوات الله وسلامه عليهم –.

المطلب الثالث: ما جاء في الجنة:

جاء في مادة الجنة: (الجنة: هي الاسم الذي يطلقه القرآن والحديث غالباً على الفردوس الذي هو مقام المقربين، وقد ذكرت مرة واحدة في القرآن بالاسم الفارسي « فردوس »، ومرة أخرى جمعت بين لفظتي « جنات الفردوس »، ومرات عدة باسم « جنات عدن » [انظر تسميتها في التوراة باسم « جن عيدن » التكوين ٢ / ١٥])[3].

وبعد أن سرد الكاتب أوصاف الجنة كما جاءت في القرآن الكريم قال: (ومن البين أن هذه الأوصاف جميعاً صور مرسومة لا شك أنه أوحى بها فن التصوير، ولا بد أن يكون محمد أو معلموه المجهولون قد

---

(١) الدائرة ١٤ / ٢٦١، حساب، كارديه.

(٢) انظر ص ٤١٥ – ٤٢٣.

(٣) الدائرة ١٢ / ٤١٥ – ٤١٦، الجنة، كارده فو.

رأوا بعض التصاوير أو بعض قطع الفسيفساء المسيحية التي تصور حدائق الفردوس، وأولوا صور الملائكة كما لو كانت صور الولدان والحور)[1].

كما جاء في نفس المادة: (ولا يظهر الله في وصف القرآن للجنة، ولكنه مع ذلك حاضر يوم الحساب الذي يصفه القرآن وصفاً مماثلاً لوصف الأخبار وصناعة الصور المسيحية. ويدل أيضاً بألفاظ الجنة والفردوس وعدن على جنة الأرض)[2].

كما جاء في مادة الحوض بعد ذكر ما يتعلق به: (أما النقول عن الكتاب المقدس فكثيرة من ذلك الحديث المشهور وهو أن من شرب من مائه «الحوض» لا يظمأ أبداً «يوحنا ٤ / ١٤»)[3].

قلت: الزعم بالاستقاء من الأمم السابقة لمجرد التشابه سبق بيانه في المطلب السابق.

والزعم بأن ذلك نُقل إلى القرآن بواسطة تلقي النبي ﷺ من معلمين مجهولين أو تم ذلك عن طريق الصور المسيحية فرية لا دليل عليها، وتخبط بغير هدى، ويكذبها عدم ثبوت تعلم النبي ﷺ من غيره، أو دخوله للكنائس مع حفظ سيرته ﷺ ونقل تفاصيلها، وقد تقدم بيانه[4].

---

(١) الدائرة ١٢ / ٤١٧، الجنة، كارده فو.

(٢) الدائرة ١٢ / ٤١٩، الجنة، كارده فو.

(٣) الدائرة ١٦ / ١٨٠، الحوض، فنسنك.

(٤) انظر ص ٤٢٩.

المبحث الرابع

الزعم بأن حقائق اليوم الآخر

من تأليف النبي ﷺ

جاء في الدائرة هذا المعنى في مواضع مختلفة منها: (وقد تردد ذكر جهنم وفكرة جهنم كثيراً في القرآن، إما لأن محمداً نفسه قد بدهته هذه الفكرة، وإما لأنه رأى أنه من المفيد أن يلح في ذكرها لتفعل فعلها في مشاعر السامعين. على أنه لم تكن لديه – فيما يظهر – صورة محددة تمام التحديد عنها، فالواقع أنه في بعض الآيات يتحدث عن جهنم وكأنها شيء يحمل: ﴿ **وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢) وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ** ﴾[١]. ويلوح أن النبي محمد ﷺ في هذه الآية، أن جهنم تتأهب لالتهام المغضوب عليهم)، ويستدل على ذلك: (ويفسر لنا هذا كيف أن النبي ﷺ قال في آية أخرى: ﴿ **وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٦) إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ** ﴾[٢]) حتى قال: (على أن تصور جهنم على هيئة حيوان ليس

---

(١) الفجر ٢٢ – ٢٣.

(٢) الملك ٦ – ٧.

هو الغالب في القرآن)[1].

وقال أيضاً: (ولم يكن لدى النبي محمد ﷺ إلا فكرة أولية عن بناء جهنم، فهو يتحدث عن أبوابها ويحدد عددها بسبعة (سورة لقمان، الأية ٧١، سورة الحجر الآيتان ٤٣، ٤٤ .... ثم أخذ يسرد الخرافات عن جهنم من الكتاب التركي)[2]. [3].

ونجد في مادة البعث: (والروح ليست خالدة طبعاً، وبقاؤها رهن بمشيئة الله، لذا فثمة آيات متأخرة « البقرة ١٤٩، آل عمران ١٦٣ » تتضمن بقاء الروح)[4].

وفي مادة الجنة: (وفي سورة الرحمن، الآية ٥٥[5]، وهي السورة التي صيغت في قالب أنشودة لها لازمة، يتحدث محمد عن الجنتين اللتين أُعدتا لمن خاف مقام ربه، وما لهما من أفنان، وما فيهما من عينان تجريان، ومن كل فاكهة زوجان. وهو يذكر في السورة نفسها (الآيات ١٦ – ١٩)[6] المشرقين والمغربين والبحرين. وليس تفسير هذه

---

(١) الدائرة ١٣ / ٤ – ٥، جهنم، كارده فو.

(٢) ليس في سورة لقمان ما ذكره، وهي كلها ٣٤ آية، وربما عندما رجع الكاتب إلى فهرس ألفاظ القرآن وجد لفظ سبعة في الآية ٢٧ من لقمان: ﴿والبحر يمده من بعده سبعة أبحر﴾ فظنها في جهنم.

(٣) الدائرة ١٣ / ٥ – ٦، جهنم، كارده فو.

(٤) الدائرة ٧ / ٣٤٤ البعث، تريتون.

(٥) آيات وصف الجنة في سورة الرحن ٤٦ – ٧٦، والآية التي أشار إلى رقمها هي: ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾.

(٦) الآيات ١٧ – ١٩.

الإثنينية يسيراً إلا إذا كانت من أجل البحرين. وقد يقال: إن النبي قد التزم في هذا المقام صيغة المثنى لأنها أوقع في السمع)[1].

قلت: الجواب على ما ذكره من وجوه:

الأول: ما الدليل على أن النبي ﷺ بدهته فكرة جهنم؟

إن ترددها في القرآن ليس دليلاً على ذلك، وليس في تكرار جهنم ما يعيب.

إن النبي ﷺ كغيره من الأنبياء الذين ينذرون أقوامهم ويخوفونهم بما هم مقبلون عليه ليأخذوا للأمر عدته، وليس في ذلك ما يطعن فيه، ولا يسوغ أن يقال: إنه بدهته فكرة جهنم لهذا الأمر.

بل يدل الأمر على نصح النبي ﷺ لأمته وخوفه عليهم، وقيامه بما أوجب الله عليه من النذارة.

الثاني: من أين للمستشرق الدليل على أن النبي ﷺ لم تكن لديه صورة محددة عن جهنم، أو أن لديه فكرة أولية فقط؟

إننا لا شك لا نحيط بما في جهنم من عذاب، ولكن وصف جهنم جاء بصورة مفصلة في القرآن في مواضع كثيرة، ليس هذا موضع بسطها[2].

---

(١) الدائرة ١٢/٤١٧، الجنة، كارده فو.

(٢) انظر الآيات: الأعراف ٤١، التوبة ٤٩، إبراهيم ١٦، الإسراء ٩٧، مريم ٦٨، الأنبياء ٩٨، وغيرها كثير.

وأخبر النبي ﷺ أنها عُرضت عليه[1]، وجاء في السنة الصحيحة الأحاديث الكثيرة فيها التي لا يقارن معها ما جاء عند أهل الكتاب مجتمعين[2].

الثالث: ما ذكره في وصف جهنم مما توهم من تعارض هو في القرآن الكريم، فالصحيح نسبته إليه لا إلى النبي ﷺ.

والأوصاف التي ذكرها ليس فيها من تعارض، فجهنم يُؤتى بها، ويُسمع لها شهيق وهي تفور من شدة حرارتها، ولكن لم يشبه النبي ﷺ جهنم بالحيوان، فضلاً أن يكون هو الغالب في القرآن، ولا قيمة لقوله: (إن النبي يمثل جهنم على صورة حيوان، فهي في نظره أشبه بوحش هائل فغر فاه، وكشف عن أنيابه)؛ لأن ذلك محض كذب يعرفه من كان له أدنى علم بالإسلام.

الرابع: فيما يتعلق بالخرافات، فإن كتاب الدائرة دأبوا على ذلك في شتى المواضيع مستندين فيها إلى كتب ليست حجة في الإسلام كالكتاب التركي السالف، والمتعين في تقرير مواضيع الاعتقاد الاستدلال بالكتاب والسنة، وعدم تشويش القارئ بخرافات لا وزن لها، ولا يعتقدها عامة المسلمين.

---

(١) البخاري الصلاة ٥١، مسلم الكسوف ٩.

(٢) الأحاديث في السنة لا تحصى عن جهنم، بل أفرد في وصفها الأبواب الكثيرة كما في الترمذي الذي أفرد لها اثني عشر باباً.

الخامس: فيما يتعلق بالروح فليس في الآيتين المُشار إليهما ما يتعلق بالروح؛ فضلاً عن أن يدل على مراده وما يتعلق بخلود الروح، فالعلم عند الله تعالى القائل: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾[1].

والذي ثبت في القرآن: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾[2]، وقوله سبحانه: ﴿ ...لا إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ... ﴾[3].

والموت إنما يكون بمفارقة الأرواح للأبدان لا فنائها، واستدل بقوله تعالى: ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾[4]، وبالأحاديث الدالة على استمرار نعيم الأرواح وعذابها[5].

السادس: ما يتعلق بسورة الرحمن فإن التثنية في السورة الكريمة بدأت قبل ذكر البحرين بعدة آيات.

وقوله سبحانه: ﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾[6] التي ترددت أكثر من ثلاثين مرة في هذه السورة إنما كانت كذلك لتقرير ذلك المعنى،

---

(١) الإسراء ٨٥.

(٢) الرحمن ٢٦ – ٢٧.

(٣) القصص ٨٨.

(٤) آل عمران ١٦٩.

(٥) الروح، محمد بن أبي بكر بن القيم ٤٥ – ٤٦، دار المدني، جدة، دطت.

(٦) الرحمن ١٣.

وهو وجوب الاعتراف والتصديق والشكر لنعم الله تعالى، والمقصود بالتثنية الإنس والجن كما يظهر من سياق الآيات، وهذا أرجح ما ذكره المفسرون[1] ولقول النبي ﷺ لّما قُرئت عنده سورة الرحمن: (ما لي أسمع الجن أحسن جواباً لربها منكم؟).

قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: (ما أتيت على قول الله تعالى: ﴿فبأي الاء ربكما تكذبان﴾ إلا قالت الجن: لا بشيء من نعم ربنا نكذب)[2].

وما أجمل ما قاله أحمد شاكر في تعليقه حيث قال: (أظن أن الكاتب وأمثاله من المستشرقين آخر من يصلحون علمياً للبحث في لغة القرآن وبلاغته، ومعرفتهم بالعربية محدودة. وأساطين البلغاء والفصحاء من العرب العرباء عجزوا عن معارضته وأحجموا عن نقده، بل لم ينقل عن واحد منهم أنه عاب حرفاً فيه من ناحية البلاغة والسمو في العبارة، على كثرة الدواعي والدوافع. فأين هؤلاء من أولئك)[3].

---

(١) تفسير الطبري ٢٧/٧٢، تفسير ابن كثير ٤/٢٣٨، الجامع لأحكام القرآن ١٧/١٥٨، تفسير الرازي ٢٩/٩٥، جميعهم في تفسير الرحمن ١٣.

(٢) رواه ابن جرير الطبري ٢٧/٧٢، والبزار (انظر مختصر زوائد مسند البزار على الكتب الستة ومسند أحمد لابن حجر العسقلاني ٢/١١٠ ح ١٥١٤، وضعفه ابن حجر، تحقيق صبري عبد الخالق، وصححه الحاكم ٣/٤٧٣ وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وصححه محمد نسيب الرفاعي في تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير ح ٣٠٠، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

(٣) الدائرة ١٢/٤١٧، الجنة، تعليق أحمد شاكر.

المبحث الخامس

التكذيب بحقائق اليوم الآخر

جاء في الدائرة: (الدجال: شخصية أسطورية وردت في علم الساعة عند المسلمين، وهو ضرب من المسيح الكذاب، وتقول القصص العربية..«سرد الحقائق مع الخرافات»... وسيكون ظهوره في خراسان أو في الكوفة، أو في حي اليهود باصبهان) ويذكر مرجعه في المعلومة الأخيرة «ابن الوردي، البيروني الآثار الباقية»(١).

في هذه الأسطر القلائل مخالفات منهجية مُسقطة لموضوعية كاتبها، ولنفس الدائرة حيث يلاحظ ما يلي:

أولاً: حكم على أن الدجال شخصية أسطورية من غير أن يكلف نفسه بدعم هذا الحكم بأي مستند، بل ألقى به هكذا في دائرة المعارف الإسلامية، وهو بهذا لا يأبه بعقيدة المسلمين فيه، لا سيما وأحاديث الدجال مستفيضة عن النبي ﷺ في الصحاح والسنن(٢)،ولكن من قرأ الدائرة يظن أن الدجال ورد في آثار ضعيفة أو موضوعة، وأنه مجرد أسطورة لا حقيقة له.

---

(١) الدائرة، الأولى ٩/١٤٥، الدجال، كارده فو.

(٢) على سبيل المثال: انظر البخاري بدء الخلق ٧/ التوحيد ٣١، مسلم الإيمان ١٥٨، الفتن ٤٠، ١١٩، أحمد ١/ ٤، ٧، أبو داود الملاحم ١٤، الترمذي الفتن ٥٧، ابن =

ثانياً: ضرب الكاتب صفحاً عما ثبت في السنة من الأحاديث الصحيحة في المسيح الدجال، وأخذ بسرد القصص التي لم تثبت في السنة، وكان مرجعه ابن الوردي والبيروني، بينما الحجة في مثل هذا القرآن والسنة النبوية فقط.

* * *

= ماجه الفتن ٣٣. كما أفرد له ابن الأثير في جامع الأصول خمس عشرة صفحة كلها أحاديث من الكتب الستة فقط. (انظر جامع الأصول من أحاديث الرسول، مبارك بن محمد بن الأثير الجزري ١١/ ٥٠ - ٦٥، تحقيق عبد المجيد سليم ومحمد حامد الفقي. الطبعة الأولى ١٣٧٠ هـ - ١٩٥٠ م).

المبحث السادس

ترويـــج الخيالات المخـــالفة لعقيدة اليوم الآخر

جاء في الدائرة عن المسيح الدجال: (وتقول القصص العربية إنه يسكن جزيرة من جزائر إمبراطورية المهارج أو الزايح « جاوة ».

ويزعم البحريون من أهل سيراف وعمان أنهم يسمعون وهم يمرون بهذه الجزيرة أصواتاً مطربة صادرة من العيدان والسرنايات والطبول وسائر أنواع الآلات المطربة مصحوبة بالرقص والتصفيق. وهذه القصة واسعة الانتشار، نجدها في ابن خرادذبة والبيروني والقزويني والدمشقي والجرجاني وابن إياس، وفي كتاب المسعودي: مروج الذهب، وفي كتاب التنبيه والإشراف، وفي كتاب عجائب الهند وغير ذلك من الكتب، وهي تظهر أيضاً في قصة السندباد البحري)[١].

وفي مادة البعث يبدأ الكاتب بذكر آراء المعتزلة ثم الفلاسفة ثم مخالفة أهل السنة لهم، ويستدل بعد ذلك بالآيات القرآنية على

---

(١) الدائرة، الأولى ٩ / ١٤٥، الدجال كارده فو.

البعث، وفي النهاية يأتي باختلاط الأفكار كما سماها، ومنها قوله: (وقد اختلطت الأفكار بعد، فبعض الناس يصبحون رماداً في قبورهم، وتطوف أرواحهم في الملكوت تحت سماء الدنيا.... ولقد بقي محمد على الأرض ثلاثين عاماً إلى مقتل الحسين ثم صعد إلى السماء نافراً)[1].

وعند الحديث عن الجنة؛ جاء في الدائرة: (وقد تمثلت الجنة في عصر متأخر في صورة هرم أو مخروط له طبقات ثمان، وهو يزيد طبقة على ما في جهنم من طبقات، ذلك أنه كان يعتقد أن المقربين سيكونون أكثر عدداً من المغضوب عليهم، وكلما تصاعدت هذه الطبقات، زادت المادة التي بُنيت منها نفاسة، ولكل طبقة باب، وفي القمة سدرة المنتهى التي ورد ذكرها في سورة النجم الآية ١٦ من القرآن، والتي تظلل أغصانها الهرم كله، وتُحفظ في الجنة الكتب التي تُسجل فيها أعمال الناس، كما يُحفظ فيها أصل القرآن الذي يُسميه محمد «الكتاب المبين» [سورة يونس الآية ٦٢][2]، و«اللوح المحفوظ» [سورة البروج الآية ٢٢]، أو «أم الكتاب» [سورة الرعد الآية ٣٩]، وإلى جانبه القلم الذي يُكتب على اللوح. وللكعبة في الجنة أصل أيضاً يعرف باسم «البيت العتيق»، وفيها أشياء تستخدم عند الحساب كالميزان لوزن أعمال الناس، وكراسي للأنبياء ورايات، وترفع راية

---

(١) الدائرة ٧/٣٤٤ - ٣٤٥ البعث، تريتون.

(٢) الآية رقمها ٦١ وليس ٦٢.

محمد – أو قل أصلها السماوي – على جبل يقال جبل الظفر، ويقوم على جانب الهرم الفردوسي.

وهذه الجنة – بما فيها كله – فوق الأفلاك السماوية حيث تدور الكواكب، وهي تستقر على أنواع من البحار لها أسماء مجردة كبحر البقاء «المنقسم»، وبحر الخلود، وبحر الرب، ويمتد فوق الهرم عالم الملكوت وعالم الجبروت وعرش الله ودار المقربين)[1].

قلت: هذه أساطير وخيالات، وأكثر مصادر الكاتب ليست بحجة يعتمد عليها، ويُستنكر على الكاتب عدم الرجوع إلى الكتب المعتمدة عند المسلمين في هذا الموضوع؛ ألا وهي القرآن الكريم وكتب السنة المعروفة التي فيها أقوال النبي ﷺ.

كما أن الثابت عن النبي ﷺ أن أهل النار أكثر من أهل الجنة، بل هم أضعافهم مرات عديدة[2].

قال أحمد شاكر تعليقاً على الكلام الأخير: (هذا كله كلام خيالي وتخليط، يعرف ذلك كل مسلم يقرؤه. ليس فيه شيء علمي يناقش. وما كانت أوهام المتأخرين الخياليين بحجة على الإسلام ولا على القرآن)[3].

---

(١) الدائرة ١٢/٤١٧ – ٤١٨، الجنة، كارده فو.

(٢) البخاري رقاق ٤٥.

(٣) الدائرة ١٢/٤١٨، الجنة، تعليق أحمد شاكر.

وهو في مادة البعث إن كان قد عزل الاعتقادات الفاسدة عن ما جاء في القرآن إلا أنه لا لزوم لها البتة، ذلك أن المادة كلها في صفحتين فقط، وهو لم يأت إلا بمعاني الآيات بصورة أقرب إلى الإخلال، وكذا الأحاديث مع ترك الكثير، فإن كان المسوغ لذلك الاختصار فمن باب أولى ترك هذه الخرافات التي لا يعتقد بها إلا ندرة من المسلمين والاستعاضة عنها بالأحاديث النبوية الثابتة عن سيد المرسلين ﷺ .

* * *

المبحث السابع

مطاعـــن متفرقـــة

المطلب الأول: زعمهم أنه لا يوجد سوى النعيم والعذاب الحسي في الآخرة:

جاء في الدائرة: (وقد عُرف أن فكرة محمد عن الجنة مادية حسية)[1].

كما جاء: (ولقد سلّم التوحيد الإسلامي السني - الذي يمثله الغزالي والأشعري بنوع خاص - بأن للحواس لذات في الجنة، مع ملاحظة أن هذه اللذات لا يبدأ حصولها إلا بعد البعث)[2].

وعند الحديث عن جهنم: (ولم يرض هذا التصوير المادي المسرف لبناء الجحيم، وألوان العذاب فيه جميع المفكرين المسلمين، بل إن الغزالي - وهو التقي المؤمن - قد أباح لنفسه أن يؤول ذلك بعض التأويل. فالصراط في نظره إنما يدل على معنى مجازي، فهو ليس إلا الطريق القويم الذي يسدد به الله خطى المؤمنين، وهو يرمز إلى الطريق السوي، وهو وسط بين الأخلاق المتضادة، فهو الحد الفاصل بين الغلو

---

(١) الدائرة ١٢/٤١٦، الجنة، كارده فو.

(٢) الدائرة ١٢/٤١٨، الجنة، كارده فو.

والقصور وفيه يكون الكمال. ويقول ابن سينا: إن عذاب جهنم ينصب في الغالب على الأرواح المذنبة التي تحتفظ بشهواتها بعد الممات، ومن ثم فهي تتعذب أشد العذاب لأنه ليس لها أجساد ترضى بها هذه الشهوات)[1].

قلت: سأبين الباطل في هذا الكلام بمشيئة الله من وجوه عدة:

الأول: أن النعيم والعذاب الحسي الذي أخبر به القرآن لا مطعن فيه، فقد جاءت كافة الشرائع السماوية بمثل ما جاء في القرآن، كيف لا؟ والحديث عن شيء واحد.

والتوراة والإنجيل مليئان بمثل هذا.

وتأويلات الغزالي أو غيره ليست بحجة، إذ الحجة في الإسلام ما نطق به الكتاب والسنة وإجماع أهل العلم، فكيف بالتأويلات المخالفة لمنطوق الكتاب والسنة وإجماع أهل العلم.

الثاني: أن الزعم بأن ما في الآخرة مادي حسي لا غير، هو كذب على كتاب الله؛ بل إضافة على المادي الحسي يوجد المعنوي الروحي، حيث إن النعيم والعذاب المادي الحسي هو أيضاً روحي؛ لأنه يقارف الأرواح فينعمها أو يؤلمها.

كما يوجد النعيم والعذاب الروحي الخالص، فمن ذلك:

---

(١) الدائرة ١٣/٦، جهنم، كارده فو.

أولاً: تقريع الكافرين عند مفارقة الروح كما قال سبحانه: ﴿ **وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٥٠) ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ** ﴾[١].

ثانياً: الفزع عند خروج الناس من قبورهم فإنه تألم روحي معنوي قبل أن يكون جسدياً حسياً. قال سبحانه: ﴿ **وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ** ﴾[٢]، وقد جاء في الدائرة نفسها في موضع آخر التصريح بذلك، حيث جاء: (وأقسى من العذاب الجسماني الفزع من الديان، فسينشغل كل أمرئ بنفسه، ولا يُعنى بغيره)[٣].

ثالثا: نظر المؤمنين إلى وجه الله الكريم في الجنة كما قال سبحانه: ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** ﴾[٤].

وقال النبي ﷺ: (إنكم سترون ربكم عياناً)[٥].

وفي حديث آخر: (إنكم سترون ربكم كما ترون هذا - ويشير إلى القمر ليلة البدر - لا تضامون في رؤيته)[٦].

---

(١) الأنفال ٥٠ - ٥١.

(٢) النمل ٨٧.

(٣) الدائرة ٧ / ٣٤٤، بعث، تريتون.

(٤) القيامة ٢٢ - ٢٣.

(٥) البخاري، التوحيد ٢٤.

(٦) البخاري، التوحيد ٢٤.

وفي حديث آخر عن نعيم أهل الجنة: (فما أُعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل)[1].

والأحاديث بهذا المعنى كثيرة وصحيحة، ولم يُخالف في هذه المسألة إلا أهل البدع.

قال ابن كثير بعد سرده للأحاديث الصحيحة فيها: «وهذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام وهداة الأنام»[2].

رابعاً: تسليم الملائكة على أهل الجنة وتبشيرهم. كما في قوله تعالى في حق أهل الجنة: ﴿ **... وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ** ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿ **يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾[4].

خامساً: تقريع أهل النار في النار يصاحب العذاب الحسي. كما قال تعالى: ﴿ **إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ (٤٣) طَعَامُ الأَثِيمِ (٤٤) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي**

---

(١) مسلم، الإيمان ١٨١.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٤٥٠، في تفسير القيامة ٢٢.

(٣) الرعد ٢٣ – ٢٤.

(٤) الحديد ١٢.

الْبُطُونِ (٤٥) كَغَلْيِ الْحَمِيمِ (٤٦) خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٤٧) ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ (٤٨) ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (٤٩) إِنَّ هَذَا مَا كُنتُم بِهِ تَمْتَرُونَ ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (١٩) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (٢٠) وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ (٢١) كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾[٢].

ولا شك أن معاتبتهم ووقوع الغم منهم هي جزء من العذاب المعنوي.

سادساً: يؤتى بالموت على هيئة كبش أملح بعدما يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، فُيذبح أمامهم، ويقال لهم: (يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم)[٣].

ولا شك أن هذا الفرح والحزن من العذاب الروحي، وليس من العذاب الحسي.

---

(١) الدخان ٤٣ – ٥٠.

(٢) الحج ١٩ – ٢٢.

(٣) البخاري التفسير ١٩ / ١، الرقاق ٥١، مسلم الجنة ٤٠، ٤٣.

أما ما ذكره من تأويل ابن سينا وغيره، فهو من قبيل تحريف الكلم عن موضعه، فهو تحريف لكلام الله تعالى، وليس تخبطهم بحجة في الإسلام، والواجب أن يفسر كلام الله تعالى بكلام نبيه ﷺ، وبالآثار الصحيحة الواردة عن سلف الأمة.

كما تقدم في المبحث الثاني من هذا الفصل أن النعيم ليس بمقتصر بعد البعث كما ذكر؛ إنما هناك ما يحدث في القبر من نعيم وعذاب وذلك قبل البعث.

* * *

المطلب الثاني: ادعاء التناقض في حقائق اليوم الآخر:

جاء في الدائرة: (والظاهر أن القرآن قد تردد بعض التردد في مسألة خلود العذاب في جهنم، فالآيات التي تشير إلى ذلك لا تتفق تمام الاتفاق، ولعل هذا التردد إنما يرجع إلى أن النبي ﷺ لم يكن من الفلاسفة المفكرين، فلم يستطع أن يعرض بوضوح لمشكلة كمشكلة الخلود يدخل فيها مثل هذا التصور المجرد.

جاء في القرآن: ﴿**وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ**﴾[1]، وجاء في سورة أخرى: ﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ**﴾[2])[3].

قلت: كتاب الله لا تناقض فيه ولا اختلاف، فأخباره كلها حق، وبعضه يشهد بصدق بعضه الآخر، فآياته فصلت من لدن حكيم خبير، ولكنه يحتاج إلى تدبر وفهم، وصدق الله إذ يقول: ﴿**أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا**﴾[4].

---

(١) المؤمنون ١٠٣.

(٢) هود ١٠٦ – ١٠٧.

(٣) الدائرة ١٣/٦، جهنم، كارده فو.

(٤) النساء ٨٢.

أما الجواب على ما توهم الكاتب أنه تردد أو اختلاف بسبب قوله تعالى: ﴿إلا ما شاء الله﴾ في بعض الآيات والتأبيد الأبدي في بعضه الآخر، فقد أجاب عنه المفسرون من أوجه أظهرها: أنه كما هو معلوم أن أهل النار قسمان: مخلدون دائمون، وهم الكفار، وغير مخلدين، وهم العصاة من المسلمين، فقوله تعالى: ﴿إلا ما شاء الله﴾ أي إلا ما شاء عدم خلوده فيها، وهم الصنف الثاني، «وغاية ما في هذا القول إطلاق «ما» وإرادة «من»، ونظيره في القرآن: ﴿...فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ...﴾[1]»[2].

ذلك أن الاستثناء ورد في آيتين هما: قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾[4].

---

(١) النساء ٣.

(٢) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب لمحمد الأمين الشنقيطي ١٢٣، ملحق بالجزء التاسع من أضواء البيان.

(٣) الأنعام ١٢٨.

(٤) هود ١٠٦ - ١٠٧.

فالعذاب في الآيتين ليس خاصاً بالكفار، بل هو عام للعصاة. والاستثناء لعصاة المؤمنين فلا تعارض بينهما وبين الآيات الخاصة بالكفار التي فيها الخلود المؤبد كقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا (١٦٨) إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا** ﴾[١].

وكقوله سبحانه: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا** ﴾[٢].

وعلى ذلك فالآيات التي ذكر فيها الخلود المؤبد هي خاصة بالكفار، وتعرف معاني الآيات بسياق كل آية، وهذه طريقة الراسخين في العلم.

واختار هذا القول ابن جرير ونقله عن قتادة وبعض السلف[٣].

* * *

(١) النساء ١٦٨ – ١٦٩.
(٢) الأحزاب ٦٤ – ٦٥.
(٣) الطبري ١٢/٧١ في تفسير هود ١٠٧.

مراجع البحث

أولاً: الكتب:

١ - القرآن الكريم.

٢ - **الأبطال**، توماس كارليل، تعريب محمد السباعي، دار الرائد العربي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٣ - **أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها: التبشير - الاستشراق - الاستعمار**، عبد الرحمن حسن الميداني، دار القلم، دمشق، الطبعة الخامسة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

٤ - **الإحكام في أصول الأحكام**، علي بن محمد الآمدي، تعليق عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ.

٥ - **إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق عن علم الأصول**، محمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٦ - **الاستشراق بين الموضوعية والافتعال**، قاسم السامرائي، دار الرفاعي، الرياض، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٧ - **الاستشراق: المعرفة - السلطة - الانشاء**، إدوارد سعيد، ترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، الطبعة الثانية دت.

٨ - **الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري**، محمود حمدي زقزوق، دار المنار، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٩ - **الاستشراق والمستشرقون**، مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٠ - **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، يوسف بن عبد البر النمري القرطبي، وهو بهامش الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار صادر، الطبعة الأولى ١٣٢٨هـ.

١١ - **الأسماء والصفات**، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.

١٢ - **الإسلام**، هنري باسيه، صدر بالفرنسية في باريس ١٩٦٠، ترجمة بهيج شعبان، تعليق مصطفى الرافعي ومحمد جواد مغنية، طبع في عويدات بيروت، دطت.

١٣ - **الإسلام على مفترق الطرق**، محمد أسد، ترجمة عمر فروخ، دار العلم للملايين، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

١٤ - **الإسلام كبديل**، مراد فلفريد هوفمان، ترجمة غريب محمد غريب، مؤسسة بافاريا للنشر ومجلة النور الكويتية، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

١٥ – **الإسلام والاستشراق**، محمود حمدي زقزوق، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.

١٦ – **الإسلام والرسول في نظر منصفي الشرق والغرب**، أحمد بن حجر آل بوطامي، مكتبة الثقافة، قطر، الطبعة الثالثة ١٣٩٨هـ.

١٧ – **الإسلام والعرب**، روم لاندرو، ترجمة منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٦٢م.

١٨ – **الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين**، أبو الحسن على الندوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

١٩ – **الإسماعيلية تاريخ وعقائد**، إحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

٢٠ – **الإصابة في تمييز الصحابة**، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، وبهامشه الاستيعاب لابن عبد البر، دار صادر، المدينة، الطبعة الأولى ١٣٢٨هـ.

٢١ – **الأصولية في العالم العربي**، ريتشارد هرير دكمجيان، ترجمة وتعليق عبد الوارث سعيد، الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.

٢٢ – **إظهار الحق**، رحمت الله بن خليل الهندي، تحقيق محمد أحمد ملكاوي، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية

والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

٢٣ - **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، عالم الكتب، بيروت، دطت.

٢٤ - **أضواء على الاستشراق والمستشرقين**، محمد أحمد دياب، دار المنار، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ ١٩٨٩م.

٢٥ - **الإعلام بمناقب الإسلام**، أبو الحسن العامري، تحقيق أحمد عبد الحميد غراب، دار الأصالة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

٢٦ - **أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة**، حافظ بن أحمد الحكمي، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ.

٢٧ - **الأعلام، قاموس وتراجم**، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السادسة ١٩٨٤م.

٢٨ - **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م.

٢٩ - **أعلام النبوة**، علي بن محمد الماوردي، تعليق محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى

١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٣٠ - **إلى الدين الفطري الأبدي**، مبشر الطرازي الحسني، دار عمر ابن الخطاب، الإسكندرية، دطت.

٣١ - **الإلماع إلى معرفة أُصول الرواية وتقييد السماع**، عياض بن موسى اليحصبي، تحقي السيد أحمد الصقر، دار التراث، القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

٣٢ - **الإيمان ومعالمه وسننه واستكماله ودرجاته**، أبو عبيد القاسم ابن سلام، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٣٣ - **الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث**، إسماعيل بن كثير الدمشقي، تعليق أحمد شاكر، دار التراث، مصر، الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٣٤ - **بدائع الفوائد**، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت، دطت.

٣٥ - **البداية والنهاية**، اسماعيل بن كثير الدمشقي، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة الخامسة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٣٦ - **البرهان في علوم القرآن**، محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي وشركاه، الطبعة الثانية دت.

٣٧ – **بين القرآن والإنجيل**، أحمد ديدات، كتاب المختار مصر، دطت.

٣٨ – **تاريخ ابن عساكر** المُسمى التاريخ الكبير، علي بن الحسن بن عساكر، تصحيح عبد القادر أفندي، مطبعة روضة الشام ١٣٣١هـ.

٣٩ – **تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام**، محمد بن أحمد الذهبي، مكتبة القدس، القاهرة ١٣٦٧ هـ.

٤٠ – **تاريخ الحضارة الهلينية**، ارنولد تويني، ترجمة رمزي جرجس، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٣م.

٤١ – **تاريخ الطبري** المسمى تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، الطبعة الرابعة دت.

٤٢ – **تاريخ العرب العام**، ا. أ سيديو، ترجة عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي، ١٣٦٧هـ – ١٩٤٨م.

٤٣ – **تاريخ العلم**، جورج سارتون، ترجمة لفيف من العلماء، إشراف إبراهيم مدكور وآخرين، دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة ١٩٧٦م.

٤٤ – **تحريم النظر في كتب الكلام**، موفق الدين بن قدامة الحنبلي، تحقيق عبد الرحمن دمشقية، عالم الكتب، دطت.

٤٥ – **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي**، عبد الرحمن بن

أبي بكر السيوطي، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف دار الكتب الحديثة، مصر، الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م.

٤٦ - **تذكرة الحفاظ**، محمد بن أحمد الذهبي، ومذيلة بثلاثة ذيول: الأول للمحاسني، والثاني لحظ الألحاظ للهاشمي المكي، والثالث للسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت دطت، موافقة لطبعة حيدر آباد.

٤٧ - **التشريع والفقه في الإسلام تاريخاً ومنهجاً**، مناع خليل قطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٤٨ - **تفسير ابن كثير المسمى تفسير القرآن العظيم**، إسماعيل بن كثير، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٤٩ - **تفسير البغوي** المسمى معالم التنزيل، حسين بن مسعود الفراء البغوي، تحقيق خالد عبد الرحمن العك ومروان سوار، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٥٠ - **تفسير البيضاوي** المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر البيضاوي الشيرازي، ضمن كتاب مجموعة من التفاسير البيضاوي والنسفي والخازن وابن عباس، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تصوير للطبعة الأولى بالمطبعة العامرة ١٣١٧هـ.

٥١ – **تفسير الرازي** المُسمى مفاتيح الغيب، محمد بن عمر الشافعي الملقب بالفخر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة دت.

٥٢ – **تقريب التهذيب**، أحمد بن حجر العسقلاني، تعليق عبد الوهاب عبد اللطيف، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م.

٥٣ – **تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي**، أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق شعبان محمد إسماعيل، نشر مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، دطت.

٥٤ – **تهذيب الأسماء واللغات**، يحيى بن شرف النووي، دار الكتب العلمية، بيروت، دطت.

٥٥ – **تهذيب التهذيب**، أحمد بن حجر العسقلاني، دار صادر، بيروت، طبعة حيدر أباد، الطبعة الأولى ١٣٢٦هـ.

٥٦ – **تهذيب سنن أبي داود**، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، حاشية على مختصر سنن أبي داود للمنذري، تحقيق أحمد محمد شاكر ومحمد حامد الفقي، المكتبة الأثرية، باكستان، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٥٧ – **توجيه النظر إلى أصول الأثر**، طاهر بن صالح الجزائري الدمشقي، المكتبة العلمية، المدينة النبوية، دطت.

٥٨ – **التوحيد**، محمد بن عبد الوهاب، كتاب ضمن مجموعة التوحيد، عدة كتب ورسائل لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب ونخبة من علماء المسلمين، نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، دطت.

٥٩ – **التوسل أنواعه وأحكامه**، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

٦٠ – **تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير**، محمد نسيب الرفاعي، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م.

٦١ – **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق محمد زهري النجار، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤٠٤هـ.

٦٢ – **جامع الأصول من أحاديث الرسول**، مبارك بن محمد بن الأثير الجزري، تحقيق عبد المجيد سليم ومحمد حامد الفقي. الطبعة الأولى ١٣٧٠ هـ – ١٩٥٠ م).

٦٣ – **جامع بيان العلم وفضله**، أبو عمر يوسف بن عبد البر القرطبي، دار الفكر، بيروت، دطت.

٦٤ – **جامع البيان في تفسير القرآن**، ابن جرير الطبري، وبهامشه

تفسير غرائب القرآن للنيسابوري، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، على طبعة بولاق ١٣٢٩هـ.

٦٥ - **الجامع لأحكام القرآن**، محمد بن أحمد القرطبي، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

٦٦ - **الجرح والتعديل**، عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، طبعة حيدر أباد ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م، دد.

٦٧ - **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، دار المجد، دطت.

٦٨ - **حاضر العالم الإسلامي**، لوثرب ستودار، تعليق شكيب أرسلان، ترجمة عجاج نويهض، دار الفكر، بيروت، الطبعة الرابعة ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

٦٩ - **الحديث النبوي «مصطلحه، بلاغته، كُتبه»**، محمد الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٧٠ - **حياة محمد**، محمد حسين هيكل، دار المعارف، مصر، الطبعة الحادية عشر دت.

٧١ - **الخصائص العامة للإسلام**، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، مصر، الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

٧٢ - **دائرة المعارف**، بطرس البستاني، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩١م.

٧٣ - **دائرة المعارف الإسلامية** «الإصدار الأول»، أعلام المستشرقين، أصدرها بالعربية أحمد الشنتناوي، إبراهيم زكي خورشيد، عبد الحميد يونس، مراجعة محمد مهدي علام، دار الفكر، القاهرة ١٩٣٣م.

٧٤ - **دائرة المعارف الإسلامية** «الإصدار الثاني»، أعلام المستشرقين تحت رعاية الاتحاد الدولي للمجامع العلمية، أصدرها بالعربية أحمد الشنتناوي، إبراهيم زكي خورشيد، عبد الحميد يونس، دار الشعب، القاهرة ١٩٦٩م.

٧٥ - **الدراسات الاستشراقية في ضوء العقيدة الإسلامية**، زيد ابن أحمد العبلان، بحث ماجستير مقدم لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، غير مطبوع. دت.

٧٦ - **الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية**، رودي بارت، ترجمة مصطفى ماهر، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٧م.

٧٧ - **دراسات في حضارة الإسلام**، هاملتون جب، ترجمة احسان عباس وآخرين، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٧٩م.

٧٨ - **دراسة عن الفرق في تاريخ الإسلام**، أحمد بن محمد جل، نشر مركز الملك فيصل للبحوث في الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٧٩ - **دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب**، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، ملحق بالجزء التاسع من أضواء البيان للمؤلف، عالم الكتب، بيروت، دطت.

٨٠ -**دلائل النبوة**، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، عالم الكتب، بيروت، طبعة قديمة، دت.

٨١ - **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق عبد المعطي قلعجي، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٨٢ - **الرد على الجهمية والزنادقة**، أحمد بن حنبل، تحقيق وتعليق عبد الرحمن عميرة، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٨٣ - **الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين**، نذير حمدان، مطبوعات رابطة العالم الإسلامي ١٤٠١هـ.

٨٤ - **الرسول ﷺ والإسلام في نظر منصفي الشرق والغرب**، أحمد بن حجر آل بوطامي، مكتبة الثقافة، الدوحة، الطبعة الثالثة ١٣٩٨هـ.

٨٥ - **الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة**، محمد شريف الشيباني، دار الحضارة العربية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٨٦ – **رفع الملام عن الأئمة الأعلام**، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، (ضمن مجموع الفتاوى ٢٠/ ٢٣١ – ٢٩٣).

٨٧ – **روح المعاني**، محمود عبد الله الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

٨٨ – **الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام**، عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، تقديم وتعليق طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة ومطبعة الحاج عبد السلام بن محمد شقرون، القاهرة، دطت.

٨٩ – **رؤية إسلامية للاستشراق**، أحمد عبد الحميد غراب، المنتدى الإسلامي، لندن، الطبعة الثانية ١٤١١هـ.

٩٠ – **الرياض النضرة في فضائل العشرة**، أبو جعفر أحمد المحب الظهيري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ – ١٩٨٤م.

٩١ – **زاد المسير في علم التفسير**، ابن الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.

٩٢ – **زاد المعاد في هدي خير العباد**، محمد بن أبي بكر الدمشقي المشهور بابن قيم الجوزية، تحقيق شعيب وعبد القادر الأرنؤوط، موسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.

٩٣ - **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، محمد ناصر الدين الألباني، الأجزاء ١ - ٤ المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م. الجزء ٥ مكتبة المعارف، الرياض.

٩٤ - **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة**، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.

٩٥ - **سموم الاستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية**، أنور الجندي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٩٦ - **السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي**، مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.

٩٧ - **سنن ابن ماجه**، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر العربي، دطت.

٩٨ - **سنن ابن ماجة**، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، شركة الطباعة العربية السعودية، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٩٩ - **سنن أبي داود**، سليمان بن الأشعث السجستاني، وبهامشه معالم السنن للخطابي، إعداد عزت الدعاس وعادل السيد، نشر دار الحديث، حمص، الطبعة الأولى ١٣٩١هـ -

١٩٧١م.

١٠٠ – **سنن البيهقي**، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، دار المعرفة، بيروت، وبذيله الجوهر النقي للماrديني، دطت.

١٠١ – **سنن الترمذي**، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م.

١٠٢ – **سنن النسائي**، أحمد بن شعيب النسائي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دطت.

١٠٣ – **سير أعلام النبلاء**، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.

١٠٤ – **سيرة الإمام البخاري**، عبد السلام المباركفوري، الدار السلفية، بومباي، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م.

١٠٥ – **السيرة النبوية**، عبد الملك بن هشام المعافري، تعليق عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، الأزهر، دطت.

١٠٦ – **السيرة النبوية الصحيحة**، أكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة – ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

١٠٧ – **شذرات الذهب**، ابن العماد الحنبلي، دار المبرة، بيروت ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

١٠٨ - **شخصيات فوق العادة**، السيد فرج، دار المعارف بمصر، دطت.

١٠٩ - **شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة**، أبو القاسم هبة الله بن الحسين اللالكائي، تحقيق أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى،دت.

١١٠ - **شرح صحيح مسلم**، الإمام يحيى بن شرف النووي، المطبعة المصرية ومكتبتها، دطت.

١١١ - **شرح العقيدة الطحاوية**، ابن ابي العز الحنفي، تخريج محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٣٩١هـ.

١١٢ - **شرح فتح القدير**، محمد عبد الواحد السيواسي «المشهور بابن الهمام الحنفي»، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ- ١٩٧٠م.

١١٣ - **شرح القواعد الفقهية**، أحمد الزرقا، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

١١٤ - **الشريعة**، أبو بكر محمد بن حسين الآجريّ، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

١١٥ - **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، عياض بن موسى اليحصبي، دار التراث، القاهرة، دطت.

١١٦ – **صحيح ابن حبان**، أبو حاتم محمد بن حبان البستي، ترتيب الأمير علاء الدين الفارسي، تحقيق شعيب الأرنؤوط وحسين الأسد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

١١٧ – **صحيح البخاري**، محمد بن إسماعيل البخاري، المكتبة الإسلامية، استانبول، موافقة لطبعة العامر ١٣١٥هـ.

١١٨ – **صحيح الجامع الصغير**، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.

١١٩ – **صحيح سنن ابن ماجة**، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م.

١٢٠ – **صحيح سنن أبي داود**، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.

١٢١ – **صحيح سنن الترمذي**، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م.

١٢٢ – **صحيح سنن النسائي**، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م.

١٢٣ – **صحيح مسلم**، مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ – ١٩٩١م.

١٢٤ - **الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية**، أبو الحسن الندوي، دار القلم، الكويت، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

١٢٥ - **الطبقات الكبرى**، محمد بن سعد البصري، دار صادر، بيروت، دطت.

١٢٦ - **العرب في التاريخ**، برنارد لويس، ترجمة نبيه أمين فارس ومحمود يوسف زايد، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٥٤م.

١٢٧ - **العقيدة الطحاوية**، أبو جعفر بن محمد الطحاوي، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض ١٤٠٤هـ.

١٢٨ - **العقيدة والشريعة في الإسلام**، قولد زيهر، ترجمة وتعليق محمد يوسف موسى وآخرين، دار الكتاب الحديث بمصر، الطبعة الثانية، دت.

١٢٩ - **الفتاوى الكبرى**، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، دار المعرفة، بيروت، دطت.

١٣٠ - **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، أحمد بن حجر العسقلاني، إخراج وترقيم محب الدين الخطيب ومحمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة السلفية دار الفكر، دطت.

١٣١ - **الفتح الرباني مع شرحه بلوغ الأماني**، أحمد عبد الرحمن البنا، دار الشهاب، القاهرة، دطت.

١٣٢ – **فتح القدير**، محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر، دطت.

١٣٣ – **فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد**، عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، نشر رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، دطت.

١٣٤ – **الفتوى الحموية الكبرى**، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، المكتبة السلفية، القاهرة، الطبعة الرابعة ١٤٠١هـ.

١٣٥ – **الفرق بين الفرق**، عبد القاهر بن طاهر البغدادي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، دطت.

١٣٦ – **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، علي بن أحمد بن حزم الظاهري، تحقيق محمد إبراهيم نصر، عبد الرحمن عميرة، شركة مكتبات عكاظ، جدة، الطبعة الأولي ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.

١٣٧ – **فضائل الصحابة**، أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق وصي الله بن محمد عباس، موسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

١٣٨ – **الفهرست**، ابن النديم، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، دطت.

١٣٩ – **في ظلال القرآن**، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، الطبعة الثامنة ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

١٤٠ - **قالوا عن الإسلام**، عماد الدين خليل، نشر الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

١٤١ - **قالوا عن الإسلام**: رسائل إلى سلمان رشدي من كبار مفكري وفلاسفة العالم المسيحي، سيد حافظ أبو الفتوح، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٤٠٩هـ.

١٤٢ - **القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه**، عبد الرحمن بن صالح المحمود، دار النشر الدولي، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م. (رسالة ماجستير).

١٤٣ - **الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية**، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار المعرفة، بيروت، ١٣٤٥هـ.

١٤٤ - **كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على الألسنة**، إسماعيل بن محمد العجلوني، تعليق أحمد القلاش، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٤٥ - **الكفاية في علم الرواية**، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، دطت.

١٤٦ - **لسان العرب**، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، دطت.

١٤٧ - **لسان الميزان**، أحمد بن حجر العسقلاني، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

١٤٨ - **لقط اللآلئ المتناثرة في الأحاديث المتواترة**، محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

١٤٩ - **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية**، محمد بن أحمد السفاريني، مؤسسة الخافقين، دمشق، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

١٥٠ - **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، علي بن أبي بكر الهيثمي، تحرير العراقي وابن حجر، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١٥١ - **المجموع شرح المهذب**، يحيى بن شرف النووي، دار الفكر، دطت.

١٥٢ - **مجموع الفتاوى**، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم، الرياض، دطت.

١٥٣ - **مجموعة التوحيد**، عدة كتب ورسائل، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب ونخبة من علماء المسلمين، نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، دطت.

١٥٤ – **مجموعة الرسائل الكبرى**، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح، القاهرة، دطت.

١٥٥ – **محاضرات في النصرانية**، محمد أبو زهرة، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، الطبعة الرابعة ١٤٠٤هـ.

١٥٦ – **محمد في مكة**، مونتقمري وات، تعريب شعبان بركات، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، دطت.

١٥٧ – **المختار من تاريخ الجبرتي**، محمد قنديل البقلي، مطبعة الشعب، مصر ١٩٥٩م.

١٥٨ – **مختصر العلي الغفار**، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق واختصار محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.

١٥٩ – **مختصر المقاصد الحسنة**، محمد بن عبد الباقي الزرقاني، تحقيق محمد الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠١هـ.

١٦٠ – **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، محمد ابن أبي بكر الدمشقي ابن قيم الجوزية، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م.

١٦١ – **المستدرك**، أبو عبد الله محمد بن محمدالحاكم النيسابوري،

وبذيله التلخيص للذهبي، دار الكتاب العربي، بيروت، دطت.

١٦٢ - **المستشرقون**، نجيب عقيقي، دار المعارف، بيروت، الطبعة الرابعة دت.

١٦٣ - **مستشرقون، سياسيون - جامعيون - مجمعيون**، نذير حمدان، مكتبة الصديق للنشر، الطائف، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١٦٤ - **المستشرقون والإسلام**، عرفان عبد الحميد، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٠م.

١٦٥ - **المستشرقون والدراسات الإسلامية**، محمد عبد الله مليباري، دار الرفاعي للطباعة والنشر، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

١٦٦ - **مسند الإمام أحمد**، أحمد بن حنبل الشيباني، دار الفكر العربي، دطت «موافقة لطبعة المعجم المفهرس».

١٦٧ - **مشكل الآثار**، أحمد بن محمد الأزدي الطحاوي، دار صادر، بيروت، دطت «موافقة لطبعة حيدر أباد ١٣٣٣هـ».

١٦٨ - **المصنف**، عبد الرزاق الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٦٩ - **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد**، حافظ بن أحمد الحكمي، المطبعة السلفية ومكتبتها، دطت.

١٧٠ - **المعجم الأوسط**، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١٧١ - **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي**، جماعة من المستشرقين على رأسهم فنسنك، طبعة بريل، ليدن ١٩٦٥م.

١٧٢ - **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دطت.

١٧٣ - **معجم المؤلفين**، عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دطت.

١٧٤ - **المغني في أصول الفقه**، عمر بن محمد الخبازي، تحقيق محمد مظهر، طبع ونشر جامعة أم القرى بمكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

١٧٥ - **مفتاح كنوز السنة**، أرند جان فنسنك، ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي، دطت.

١٧٦ - **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، أبو الحسن علي بن

إسماعيل الأشعري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تصحيح هلموت ريتر، الطبعة الثالثة، دت.

١٧٧ - **مقدمة ابن خلدون**، عبد الرحمن بن خلدون المغربي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الخامسة دت.

١٧٨ - **الملل والنحل**، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

١٧٩ - **من هم في العالم العربي**، الجزء الأول سوريا، مكتب الدراسات السورية والعربية، دمشق ١٩٥٧م.

١٨٠ - **المنتقى شرح موطأ الإمام مالك**، سلمان بن خلف الباجي، دار الفكر العربي، دطت.

١٨١ - **المنتقى من دراسات المستشرقين**، صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، لبنان، الطبعة الثانية ١٣٩٦هـ - ١٩٨٠م.

١٨٢ - **منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب**، عبد العزيز بن حمد المعمر، دار ثقيف، الطائف، الطبعة الثالثة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م.

١٨٣ - **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية**، أحمد ابن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١٨٤ - **موسوعة المستشرقين**، عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٩م.

١٨٥ - **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة**، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

١٨٦ - **الموضوعات**، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.

١٨٧ - **موضوعية فيليب حتى في كتابه تاريخ العرب المطول**، شوقي أبو خليل، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.

١٨٨ - **موطأ الإمام مالك**، إعداد أحمد راتب عمروش، دار النفائس، بيروت، الطبعة السابعة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.

١٨٩ - **واقعنا المعاصر**، محمد قطب، مؤسسة المدينة، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

١٩٠ - **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، أحمد بن محمد بن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، دطت.

* * *

ثانياً: البحوث والمقالات والرسائل:

١٩١- **اجتماع وزراء داخلية حلف الناتو مع نظرائهم في الدول العربية**، صحيفة الشرق الأوسط اليومية، لندن ١٤١٥/٩/٢٥ هـ، الصفحة الأولى.

١٩٢ - **الاستشراق في نطاق العلم وفي نطاق السياسة**، عمر فروخ، بحث ضمن كتاب الإسلام والمستشرقون، عالم المعرفة، جدة، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

١٩٣ - **الاستشراق والفقه الإسلامي**، محمد الدسوقي، بحث ضمن حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر، العدد الخامس ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

١٩٤ - **تصريح للأمين العام لحلف الأطلسي**، صحيفة الشرق الأوسط اليومية، لندن، ١٤١٥/٩/١٧ هـ.

١٩٥ - **تعليق بدون عنوان لمجلة الهلال** سنة ٤٢ جزء ٢. ١٣ شعبان ١٣٥٢هـ- أول ديسمبر ١٩٣٣م، صفحة ٣٧٧.

١٩٦ - **دوافع مواجهة حلف الأطلسي للأصولية الإسلامية في دول الشرق الأوسط**، فهمي هويدي، صحيفة الشرق الأوسط اليومية، لندن، ١٤١٥/٩/١٤هـ، الصفحة التاسعة.

١٩٧ - **الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام**، ضمن كتاب بنفس العنوان وهو عبارة عن مجموعة بحوث مقدمة لمؤتمر

الفقه الإسلامي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، القسم الأول لعلي عبد الحليم محمود، والقسم الخامس لأحمد بشير، نشر الجامعة، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

١٩٨ - **القرآن والمستشرقون**، د. التهامي نقرة، بحث ضمن كتاب مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، ١٩ - ٥٧، عدة ابحاث لأكثر من مؤلف، المنظمةالعربية للعلوم والثقافة ومكتب التربية العربي لدول الخليج، دطت.

١٩٩ - **كرستيان سنوك هورخرونيه، شوردفان كوننكز قيلد**، مقالة في مجلة عالم الكتب، الرياض، المجلد السابع، العدد الرابع ٧/١٤٠٧هـ صفحة ٤٣٥ - ٤٣٧.

٢٠٠ - **لِمَ الاهتمام بالاستشراق**، شكري النجار، مجلة الفكر العربي، بيروت، العدد ٣١، مارس ١٩٨٣م، صفحة ٦٠ - ٦٩.

٢٠١ - **المستشرقون بين الإنصاف والعصبية**، محمد علوي مالكي، بحث ضمن الإسلام والمستشرقون، عالم المعرفة، جدة، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٢٠٢ - **المستشرقون ليسوا كلهم أعداء، فمنهم من أدى للعروبة والإسلام أجل الخدمات**، عبد الوارث كبير، مجلة الوطن العربي، الكويت، العدد ١٠٢، ١/٢١/١٣٨٧هـ، أيار ١٩٦٧م صفحة ١٤٤ - ١٤٥.

٢٠٣ – **المستشرقون والتاريخ**، أنور الجندي، ضمن كتاب الإسلام والمستشرقون، عالم المعرفة، جدة، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

٢٠٤ – **المستشرقون والسنة**، أنور الجندي، بحث ضمن الإسلام والمستشرقون، عالم المعرفة جدة، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

٢٠٥ – **المستشرقون والسيرة النبوية**، أنور الجندي، بحث ضمن الإسلام والمستشرقون، عالم المعرفة جدة، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

٢٠٦ – **المستشرقون والسيرة النبوية**، عماد الدين خليل، ضمن مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، ١٩ – ٥٧، عدة ابحاث لأكثر من مؤلف، المنظمة العربية للعلوم والثقافة ومكتب التربية العربي لدول الخليج، دطت.

٢٠٧ – **المستشرقون والسيرة النبوية**، عماد الدين خليل، بحث في مجلة البعث الإسلامي الصادرة بالهند عدد رمضان وشوال ١٤٠٢هـ.

٢٠٨ – **المستشرقون وعلم الكلام**، د. بير نصري نادر، مقالة في مجلة الاستشراق الصادرة ببغداد العدد الثالث سنة ١٩٨٩ ص ٩٢ – ١٠١.

٢٠٩ - **المستشرقون والقرآن الكريم**، محمد صدر الحسن الندوي، الإسلام والمستشرقون، عالم المعرفة، جدة، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٢١٠ - **مقابلة مع داستن كاو**، مجلة اليمامة، العدد ١٣٠٧ في ١٤١٤/١٢/٢٢هـ - ١٩٩٤/٧/١ ص ١٥.

٢١١ - **الموسوعة الإسلامية رد علمي للتشويه الغربي لحضارتنا**، مقابلة مع طيارالتي قولاج، صحيفة الشرق الأوسط، لندن، ١٩٩٤/٨/١٢م ص ١٥.

٢١٢ - **موقف العرب من المستعربين**، ميشال حتي، مقالة في مجلة الاستشراق الصادرة من بغداد، العدد الأول ص ٤٢، كانون الثاني ١٩٨٧م.

٢١٣ - **نقض كلام الشيعة الزيدية**، عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ٤ / ٩٧.

* * *

فهرس الأعلام